

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

الجملة العربية والمعنى

الدكتور فاضل صالح السامرائي

دار ابن خزيمة



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

علاء الدين رشدي

www.lisanarb.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٤ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - قريش ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com



المقدمة

يا ربي لك الحمد حتى ترضى، والصلاة والسلام على نبيك المبعوث
رحمة للعالمين، إمام الهدى سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحابه الأبرار
ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

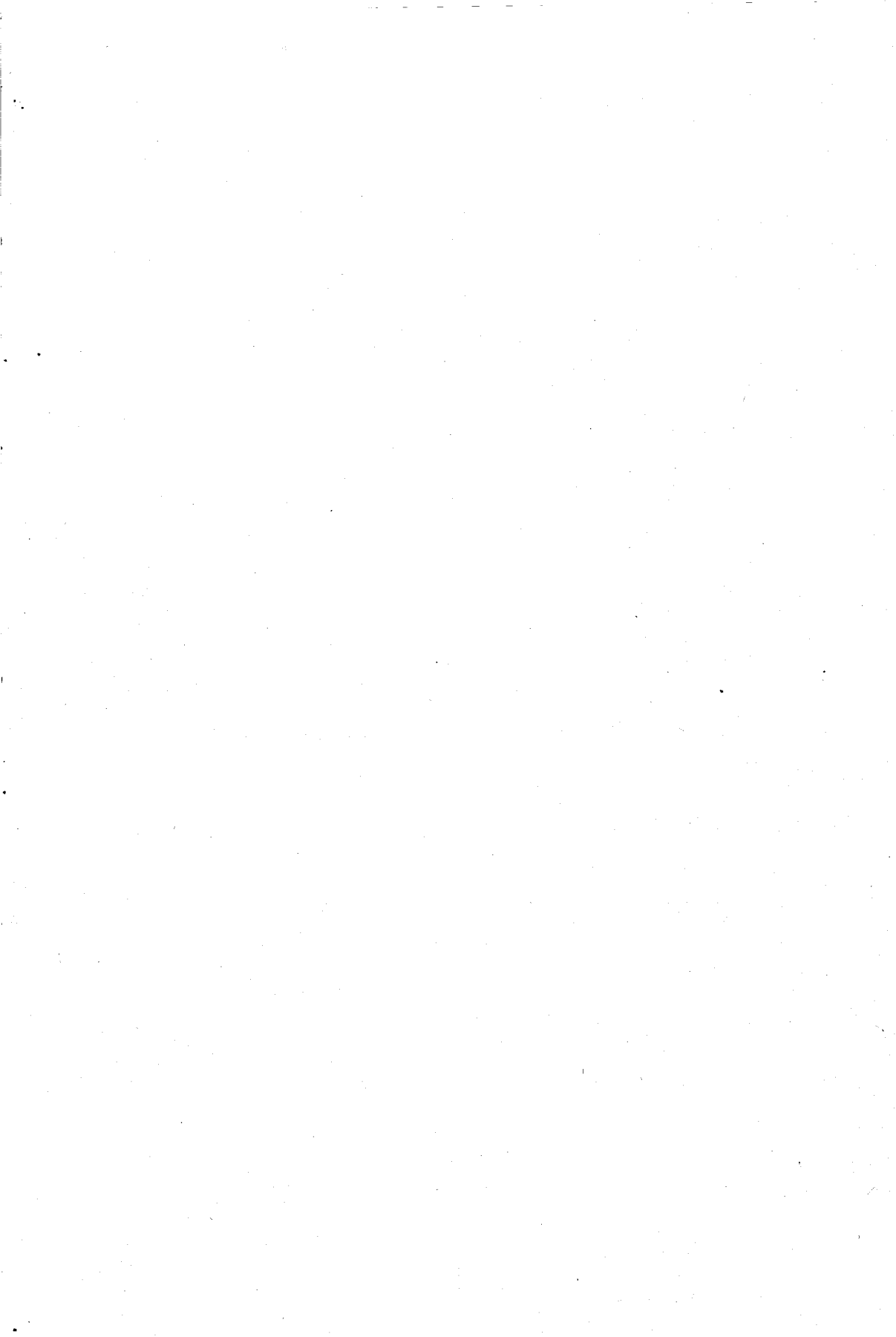
إنه لا شك أن الذي عنده شيء من المعرفة باللغة العربية وأسرارها
يعلم دقة هذه اللغة العظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية
وقدرتها الهائلة على توليد المعاني وعلى التوسع في المعنى وتفوقها الفني
حتى تصل إلى درجة الإعجاز.

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أبين شيئاً من هذه الأسرار اللغوية وأن
أقصر الكتاب على الجملة العربية والمعنى بعد أن أفردت كتاباً للجملة
العربية من حيث تأليفها وأقسامها.

وعلى أي حال فهو جهد المقل، أسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه
الكريم وأن يثقل به ميزان صاحبه حين تخف الموازين وتطيش الأعمال.

إنه سميع مجيب

. فاضل





الجملة والمعنى

إن الجملة لا بد أن تفيد معنى ما، وإلا كانت عبثاً. فلو رتبنا كلمات ليس بينها ترابط يؤدي إلى إفادة معنى ما لم يكن ذلك كلاماً، فلو قلت (سوف محمد حضر) أو (سمع نام لم) أو (ما خالداً منطلقاً أبوك) أو (السماء يحضر محمد) لم يفد ذلك شيئاً.

قال سيويه: «ألا ترى أنك لو قلت (إن يضرب يأتينا) وأشبه هذا لم يكن كلاماً»^(١).

وقال: «لأنك لو قلت (ما زيد عاقلاً أبوه) نصبت وكان كلاماً... [و] لو قلت (ما زيد عاقلاً عمرو) لم يكن كلاماً لأنه ليس من سببه»^(٢). فلا بد إذن أن تؤدي الجملة معنى. وهذا المعنى الذي تؤديه الجملة ينبغي أن يتصف بأمور ليصبح الكلام الذي يؤديه مقبولاً، منها:

١- أن لا يكون المعنى الذي يؤديه التعبير لا فائدة فيه لكونه مبتدلاً معلوماً لكل أحد كقولك (الليل مظلم والنهار مضيء) و (النار حارة والثلج بارد) فهنا ما لا فائدة فيه^(٣). أو لكون الحكم عاماً غير مخصوص بشيء. فلا يفيد نحو (في دار إنسان رجل) و (لرجل ثوب) و (عند رجل مال)^(٤).

(١) الكتاب ٣/١.

(٢) الكتاب ٣٠/١.

(٣) تنظر الأصول ٧٣/١.

(٤) تنظر حاشية الخصري ٩٧/١.

و (وُلِدَ لِرَجُلٍ وُلِدًا) فهذا ونحوه مما لا فائدة فيه لكونه معلوماً ضرورياً.

قال سيويه: «وإذا قلت (كان رجل ذاهباً) فليس في هذا شيء تعلمه كان جهله، ولو قلت (كان رجل من آل فلان فارساً) حسن لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان. ولو قلت (كان رجل في قوم فارساً) لم يحسن لأن لا يستكر أن يكون في الدنيا فارس وأن يكون من قوم، فعلى هذا النحو يحسن ويقبح»^(١).

ويستثنى من ذلك الكلام الذي ليس غرضه إنادة مخاطب وإنما قد يكون من باب الإفصاح عما في النفس من شعور ومعاني كالتعجب والتعظيم والحزن والسرور أو إظهار التحسر أو الضعف أو التشعشع ونحو ذلك، وذلك كأن تقول لشخص (الدنيا حازة) أو (النهار طويل) أو (السماء صافية) وهو يعلم ذلك ويراه ويشعر به فيقول لك: نعم.

ونحو قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] وقول امرأة عمران ﴿رَبِّ إِنِّي وَصَّيْتُهَا أُتْمًا﴾ [آل عمران: ٣٦] ونحو ذلك^(٢).

أو أن تترك بذكر أو نسيح أو بعبارات أخرى طلباً لثواب ونحوه نحو تترك (لا إله إلا الله) أو (سبحان الحي الذي لا يموت) أو (أيها القمر ربي وربك الله) أو (إن الله على كل شيء قدير) جاء في «الأصول»: «فإن قال قائل: فأنت تقول: الله ربنا ومحمد نبينا. وهذا معلوم معروف.

قيل له: هذا إنما هو معروف عندنا وعند المؤمنين وإنما نقوله ردًا على الكفار وعلى من لا يقول به. ولو لم يكن لنا مخالف على هذا القول لما قيل إلا في التعظيم والتحميد لطلب الثواب به. فإن المسيح يسبح وليس يريد أن يفيد أحداً شيئاً وإنما يريد أن يتبرر ويتقرب إلى الله بقول الحق وبذلك أمرنا وتعبدنا. وأصل ذلك الاعتراف بمن الله عليه بأن عرفه نفسه

(١) الكتاب ١/ ٢٦-٢٧.

(٢) انظر المطول على التلخيص ٤٣.

وفضله على من لا يعرف ذلك. وأصل الكلام موضوع للفائدة وإن اتسعت المذاهب فيه، ولكن لو قال قائل: النار حارة والثلج بارد نكان كلاماً لا فائدة فيه وإن كان الخبر فيهما نكرة^(١).

٢- أن لا يكون الكلام متناقضاً نحو (لم يلد لأبي محمد ولد) فهذا تناقض، فكيف يكون أباً لمحمد من لم يكن له ولد؟ هذا إذا لم يكن المقصود مجرد التكنية. ونحو (ليس لأخي زيد أخ) فإنه لا شك أن زيداً أخ لأخيه. ولهذا منع النحاة نحو (ما قمت إلا قياماً) و (ما عاث إلا مفسداً) لتناقضه بالنفي والإثبات^(٢) وذلك أنه أثبت ما نفاء.

جاء في الكتاب: «ولو قلت ما كان مثلك أحداً أو ما كان زيد أحداً كنت ناقضاً لأنه قد علم أنه لا يكون زيد ولا مثله إلا من الناس. وإذا قلت (ما كان مثلك اليوم أحد) فإنه يكون أن لا يكون في اليوم إنسان على حاله إلا أن تقول (ما كان زيد أحداً) أي من الأحدين وما كان مثلك أحداً على وجه تصغيره فتصير كأنك قلت (ما ضرب زيد أحداً) و (ما قتل مثلك أحداً)^(٣). فإن كان في التعبير قرينة تصرفه عن ظاهره وتسلمه من التناقض صح وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ نَطَرْنَا إِلَّا نَظْرًا﴾ [الجنائية: ٣٢] فقد قدروا الظن موصوفاً بصفة أي عظيماً أو ضعيفاً ونحو ذلك^(٤).

٣- أن لا يؤدي التعبير إلى المحال وذلك نحو قولك (صلى جميع الخلق الجمعة الماضية في هذا المسجد) فإن هذا محال إذا أريد به حقيقة التعبير. أما إذا أريد به المبالغة من إطلاق (جميع الخلق) على قسم ممن تصح منهم الصلاة جاز. ونحو قول أحد البله وقد دهسته سيارة (والله لو كنت مت لشكوت صاحبها إلى الحاكم) فنحو ذلك لا يصح لأنه محال. وجعلوا منه التفرغ في الاستثناء في الموجب نحو (حضر إلا خالد)

(١) الأصول ١/ ٧٢-٧٣.

(٢) الأشعري ١٥٠/٢، حاشية الصبان ١٥٠/٢، حاشية الخضري ٢٠٦/١.

(٣) الكتاب ١/ ٢٧.

(٤) انظر الهمع ١/ ٢٢٣، حاشية الصبان ١٥٠/٢، حاشية الخضري ٢٠٦/١، الرضي ٢٣٦/١.

و (أكرمت إلا محمداً) قالوا إن ذلك لا يجوز لأنه يقتضي حضور كل من في الأرض إلا واحداً و إكرام كل الناس إلا واحداً وهو محال^(١). فإذا قام دليل على تعيين المستثنى منه صح التفرغ في الموجب كما إذا قيل لك: ما لقيت صناع البلد، فنقول: لقيت إلا فلاناً^(٢). جاء في (حاشية الخضري): وقوله: فلا تقول (ضربت إلا زيدا) أي لاستحالة ضربك جميع الناس غيره. ووجود قرينة على إرادة جماعة مخصوصة أو المبالغة نادر فأطلق المنع طرداً للباب إلا إذا أمكن تأويله بالنفي نحو ﴿وَيَأْتِيكَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَيِّئَ تَوْرَهُ﴾ [التوبة: ٣٢]...

وجوز ابن الحاجب التفرغ في الموجب بشرط كونه فصلة وأن تحصل به فائدة ك (قرأت إلا يوم كذا) لإمكان أن تقرأ في غيره من الأيام ورد بأنه نادر فتمنع طرداً للباب^(٣).

٤- أن يفيد الجزء الثاني من الكلام ما لا يفيد الجزء الأول، فإن لم يعط الجزء الثاني فائدة غير ما أفاده الجزء الأول لم يصح الكلام، وذلك نحو (مُعبت الرجل قاتله) فإن هذا التعبير غير مفيد وذلك لأنه كأنه قال (قاتل الرجل قاتله) فأخبر بالمتبدأ نفسه. ونحو أن تقول (أخو زيد ابن أبيه) و(قاتل الشعر ناظمه) و(أبو زيد زوج أمه) فهو كما تقول (أبو زيد أبوه) جاء في (الخصائص): «ومنّ المجال قولك (أحق الناس بمال أبيه ابنه)، وذلك أنك إذا ذكرت الأبوة فقد انطوت على البنوة فكانك إذن إنما قلت: أحق الناس بمال أبيه أحق الناس بمال أبيه، فجرى ذلك مجرى قولك زيد زيد، والقائم القائم، ونحو ذلك مما ليس في الجزء الثاني إلا ما في الجزء الأول البتة، وليس على ذلك عقد الإخبار لأنه يجب أن يستفاد من الجزء الثاني ما ليس مستفاداً من الجزء الأول. ولذلك لم يحيزوا (ناكح الجارية واطئها) ولا (رب الجارية مالكها) لأن الجزء الأول مستوفٍ لما انطوى عليه الثاني...

(١) انظر التصريح ٣٤٨/١، الهمع ٢٢٣/١، حاشية البيان ١٥٠/٢.

(٢) الرضي على الكافية ٢٣٥/١.

(٣) حاشية الخضري ٢٠٦/١.

ولكن صحة المسألة أن تقول: أحق الناس بمال أبيه أيزمهم به وأقومهم بحقوقه. فتريد في الثاني ما ليس موجوداً في الأول^(١).

فإذا أفاد الجزء الثاني ما لم يفده الجزء الأول صح الكلام وإن كان تكريراً له وذلك كقولك (زيد زيد) على معنى أن زيداً هو هو لم يتغير أو هو المعروف بكذا وكذا وكقوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي شعري المشهور المعروف بنفسه. وكقوله:

بلاد بها كنا وكنا نحلها إذ الناس ناس والبلاد بلاد
أي إذ الناس أحرار والبلاد أحرار^(٢).

وكقوله (هو ابن أبيه) على معنى أن فيه خصاله وطبعه لا على إرادة معنى البنية المحضة، فكل ذلك جائز.

٥- أن يكون التعبير صحيحاً من الناحية اللغوية جارياً على سنن الكلام الفصيح. فالمعنى ينبغي أن يؤدي بتعبير سليم، وليس لك أن تقول: (إذا كان المعنى مفهوماً فلا عبارة باللفظ) بل لا بد أن يتوصل إلى المعنى المطلوب بتعبير صحيح فصيح فلا تقول (أقبل خالداً) ولا تقول (سوف محمد يحضر) أو (قد أخوك حضر) ولا غير ذلك مما يخالف أصول اللغة وقواعدها.

إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بصحة التعبير والمعنى.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن كثيراً من التعبيرات التي لا تصح لفساد المعنى وعدم صحته قد تصح بالتأويل والتقدير والحمل على المجاز والمبالغة ونحو ذلك مما يصرف الكلام عن ظاهره وذلك نحو (شرب الدار) و (أكل الماء) بمعنى باع الدار وشرب بئمنها وباع الماء واشترى بئمنه ما يأكله، ومنه قوله:

(١) الخصائص ٢/ ٣٣٦-٣٣٨.

(٢) الخصائص ٣/ ٣٣٧ وانظر ٣/ ١٠٢-١٠٣.

ذر الآكلين الماء ظلماً فما أرى ينالون خيراً بعد أكلهم الماء
و (مشى البحر نحوك) و (عانقه الأسد مهللاً ومرحّباً) على سبيل
الاستعارة. و (أنت فضلٌ ومحمد سعيٌ حثيث) على المبالغة بجعل
المخاطب هو الفضل وجعل محمد هو السعي. أو على تقدير أنت ذو فضل
وهو ذو سعي ونحو ذلك مما يدخل الكلام في باب الصحة والصواب.

دلالة الجملة العربية

تقسم الدلالة بحسب اعتبارات مختلفة، فباختبار القطع والاحتمال
تكون إما قطعية أو احتمالية، وباختبار المعنى الظاهر والباطن تكون إما
ظاهرة أو باطنة، وباختبار الخصوص والعموم تكون إما خاصة أو عامة،
وباختبار التمام والنقص تكون إما تامة أو ناقصة، وهكذا.

وهنا سنتنظر إلى الدلالة باعتبارين: باعتبار القطع والاحتمال وباختبار
المعنى الظاهر والباطن.

الدلالة القطعية والاحتمالية:

الناظر في الجملة العربية يرى أنها ذات نوعين من الدلالة:

الأولى: أن تكون ذات دلالة قطعية تدل على معنى واحد لا تحتمل
غيره مثل (حضر محمود) و(سافر خالد) ومثل (الله ربكم ورب آبائكم
الأولين) و(لا إله إلا الله).

والأخرى أن تحتمل أكثر من معنى نحو (عندي حُبٌ عمل) فهذا
يحتمل أن يكون عندك الوعاء وليس عندك العمل، كما يحتمل أن يكون
عندك العمل بخلاف قولك (عندي حُبٌ عملاً) فهذا نص في أن عندك
عملاً مقدار حُب. ومثل (كرم خالد أباً) فهذا يحتمل أن خالداً كرم حال
كونه أباً ويحتمل أن أباه كرم، بخلاف قولك (كرم أبو خالد).

وهناك أسباب تدعو إلى دلالة الاحتمال في الجملة، منها:

١- الاشتراك اللفظي في معنى المفردة: فقد يكون للكلمة أكثر من معنى وليس في العبارة ما ينص على أحدها فتكون دلالة الجملة احتمالية مثل كلمة (العين) فقد تشترك في أكثر من معنى كعين الماء وعين الإنسان والشمس والذهب والجاسوس وعين الميزان وغيرها.

و (القرء) فقد يكون بمعنى الطهر والحيض ولذا اختلفوا في قوله تعالى ﴿يَتَرْتَبَعَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فقيل هو الطهر وقيل هو الحيض^(١). و (اليد) فقد تكون بمعنى القوة والقدرة وقد تكون بمعنى النعمة وقد تكون بمعنى الجارحة ولذا اختلفوا في قوله تعالى ﴿لِيَا خَلْقْتُ يَدَكَ﴾ [ص: ٧٥] فقسم ذهب إلى أنها بمعنى القدرة وأن الشبهة للتأكيد، وقسم ذهب إلى أن اليد ثابتة لله على المعنى اللاتق به سبحانه وهي صفة من صفاته وليست بمعنى القدرة أو النعمة^(٢).

ومن ذلك الاشتراك في الأدوات نحو (ما) و (إن) وغيرها. فقد نشترك (ما) في معاني النفي، والاستفهام والمصدرية والموصولية الاسمية وغيرها.

وتشترك (إن) في الشرط والنفي والتخفيف من (إن) وغيرها.

فإذا كان في الكلام ما يبين أحد المعاني كانت الدلالة قطعية وإلا كانت احتمالية وذلك نحو ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ﴾ فإن (ما) تحتل أن تكون مصدرية أي صدقوا عهد الله، وتحتل أن تكون اسماً موصولاً أي صدقوا الذي عاهدوا الله عليه. فإن جنت بالعائد وقلت ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ صِدْقًا﴾ تعينت اسميتها وصارت الدلالة قطعية. ونحو (ما لك خير) فإن (ما) تحتل النفي أي ليس لك خير وتحتل الموصولية الاسمية أي الذي لك خير. فإن قلت (ما لك من خير) تعينت النافية وصارت الدلالة قطعية بعد أن كانت احتمالية و (من) زائدة.

(١) انظر البحر المحيط ١٨٦/٢.

(٢) روح المعاني ٢٣/٢٢٥، فتح القدير ٤/٤٣٢.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَكْرُومًا يُنزِلُ بِهِ الْجِبَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٦] فإن (إن) تحتل أن تكون شرطية، أي: ولو كان مكرهم مقدماً لإزالة الجبال، وتحتل أن تكون نافية أي: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وغير ذلك من المشترك اللفظي.

٢- الاشتراك في دلالة الصيغة: فقد تشترك صيغة أو بناء في الدلالة على أكثر من معنى وذلك نحو (فعيل) فقد يشترك هذا البناء في المصدر نحو سهيل والصفة المشبهة نحو كريم واسم المفعول نحو طريد والمبالغة نحو سميع.

و (فَعُول) قد يشترك في مبالغة اسم الفاعل نحو صبور واسم المفعول نحو رسول.

و (فَعُول) قد يشترك في المصدر والجمع نحو تُعود وسجود وما إلى ذلك.

وقد ترد صيغة في عبارة تحتل أكثر من معنى فتكون دلالة الجملة غير محددة بل تحتل أكثر من معنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] فكلمة (براء) تحتل المصدر على المبالغة فيكون من الأخبار بالمصدر عن الذات كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَلَىٰ عِزِّ رَبِّكُمْ﴾ [هود: ٤٦] وتحتل أنها صفة مشبهة على وزن فَعَال كجواد وصناع. ومثل (مفتون) و (مجلود) و (ميسور) فهذه تحتل المصدرية بمعنى الفتنة والجلد واليسر وتحتل اسم المفعول ولذا اختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ الْمُفْتُونَ﴾ [١] [القلم: ٦] أمز: بأيكم الفتنة أي الجنون أم أيكم المفتون أي المجنون والباء زائدة^(١)؟

ونحو أن تقول (لا قيام في القاعة) فقد يحتمل أن يراد بالقيام المصدر ويحتمل أن يراد به الجمع أي (القائمون) جمع (قائم) كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتُونَكَ يُرِيدُونَ سَجْدًا وَلِيْنًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

(١) انظر الكشاف ٢/٢٥٦، البحر المحيط ٨/٣٠٩.

ومن الاشتراك في الصيغة نحو (يشاذ) و (يوادّ) كقولنا (لا يشاذ زيد ولا يوادّ لثيم) فقد يكون المقصود به البناء للفاعل أي لا يشادّد ولا يوادّد، وقد يقصد به البناء للمجهول أي لا يشادّد ولا يوادّد.

وغير ذلك من الاشتراك في الصيغة.

٣- عدم التبين من أن القول كلمة أو كلمتان نحو (مالي عندك) فإنها وتحتل أن تكون (مالي) هي (مال) مضافة إلى ياء المتكلم، وتحتل أن تكون هي (ما) وبعدها جار ومجرور على أنها اسم موصول أو اسم استفهام.

نحو قول الشاعر:

نطمعنهم سلكى ومخلوجة كرك لا ميين على نابيل
محتمل (كركلامين).

ونحو قول المثقب^(١):

أفاطم قبل بينك نؤليني ومنعك ما سألت كأن تبيني
وفي رواية (ومنعك ما سألتك أن تبيني).

ومنه المثل السائر (زاحم بعؤد أو دع) أي زاحم بقوة أو فاترك، حتى توهمه بعضهم بعود أودع، فذهب إلى أن (أودع) صفة لعود كقوله (بعود أوقص)... ومن ذلك بيت الطرماح:

وما جلس أبكار أطاع لسرحها جنى ثمر بالواديين وشوع
قيل فيه قولان: وشوع أي كثير... وقيل أنها واو العطف والشوع ضرب من الثبت.

ومنه قوله:

(١) انظر الخصائص ٣/ ١٦٦-١٦٧.

وغلت بها سمحاء جارية تهوي بهم في لجة البحر
يكون (وغلت) من التوغل، وتكون الواو أيضاً عاطفة من الغليان^(١).
ونحو ذلك كثير.

٤- عدم تبيين أصل الكلمة أو وزنها وذلك نحو (أولق) أهي (أفعل) من
(ولق) أم فوعل من (ألق) و (أكيل) أهو (فعيل) من (أكل) أم فعل مضارع من
(كال)، فإذا قلت: (أنا أكيله) أهو بمعنى: أنا مأكوله أي هو أكلني أم أنت
تكيله شيئاً كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَأُولِهِمْ أَوْ وَزَوْجَهُمْ يَخِشُونَ ۝٣﴾
[المطففين: ٣] و (أبان) أهو (أفعل) من (بان) أم هو (فَعَال) من (أبَن) ونحو
ذلك مما لم يتبين أصله أو وزنه. فإذا استبان أصله أو وزنه كانت دلالة
قطعية.

٥- المجيء بصيغة تفضي إلى اختلاف محتمل في الإعراب والدلالة
مثل ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فهذا يحتمل المفعول لأجله أي لأجل الخوف
والطمع ويحتمل الحالية أي خائفين وطامعين، ولو قلت (ادعوا ربكم خائفين
وطامعين) لصارت الدلالة قطعية وهي الحالية.

ونحو (أقبل خمسة عشر رجلاً) فهذا يحتمل الحال والتمييز فمعنى
الحال أنهم أقبلوا يمشون على أرجلهم، ومعنى التمييز أنهم خمس عشرة
جماعة كل جماعة هي رجال، ولو قلت (أقبل خمسة عشر رجلاً) لتعين
التمييز وصارت الدلالة قطعية.

ونحو (عشرون فرساناً) أو (عشرون فارساً) فالجمع في نحو هذا ذو
دلالة احتمالية والمفرد ذو دلالة قطعية.

٦- ذكر ألفاظ تفضي إلى الاحتمال في المعنى سواء كانت قيوداً أم
غيرها ولو لم تذكر لكانت الدلالة قطعية نحو (ما جاني أخوك ركباً) فهذا
يحتمل أنه لم يجثك أصلاً ركباً أو غير ركب كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ

(١) الخصائص ٣/ ١٦٩-١٧٢.

النَّاسِ الْعَكَفَاتُ ﴿ [البقرة: ٢٧٣] أي لا يسألونهم إلحافاً ولا غير إلحاف^(١). ويحتمل أنه جاءك ولكنه لم يأتك ركباً بخلاف ما لو قلت (ما جاءني أخوك).

ومنه (جاء الجند صفأ صفأ) فهذا يحتمل أنهم جاؤوا صفوفاً ويحتمل أنهم جاؤوا صفأً واحداً فتكون (صفأً) الثانية تأكيداً، ولو قلت (جاء الجند صفأً) لكان نصاً في أنهم جاؤوا صفأً واحداً. ومثله (شربت الدواء جرعة جرعة) فهذا يحتمل أنه شربه أكثر من جرعة ويحتمل أنه شربه جرعة واحدة والجرعة الثانية تأكيد. ولو قال (شربه جرعة) لكان نصاً في أنه شربه جرعة واحدة.

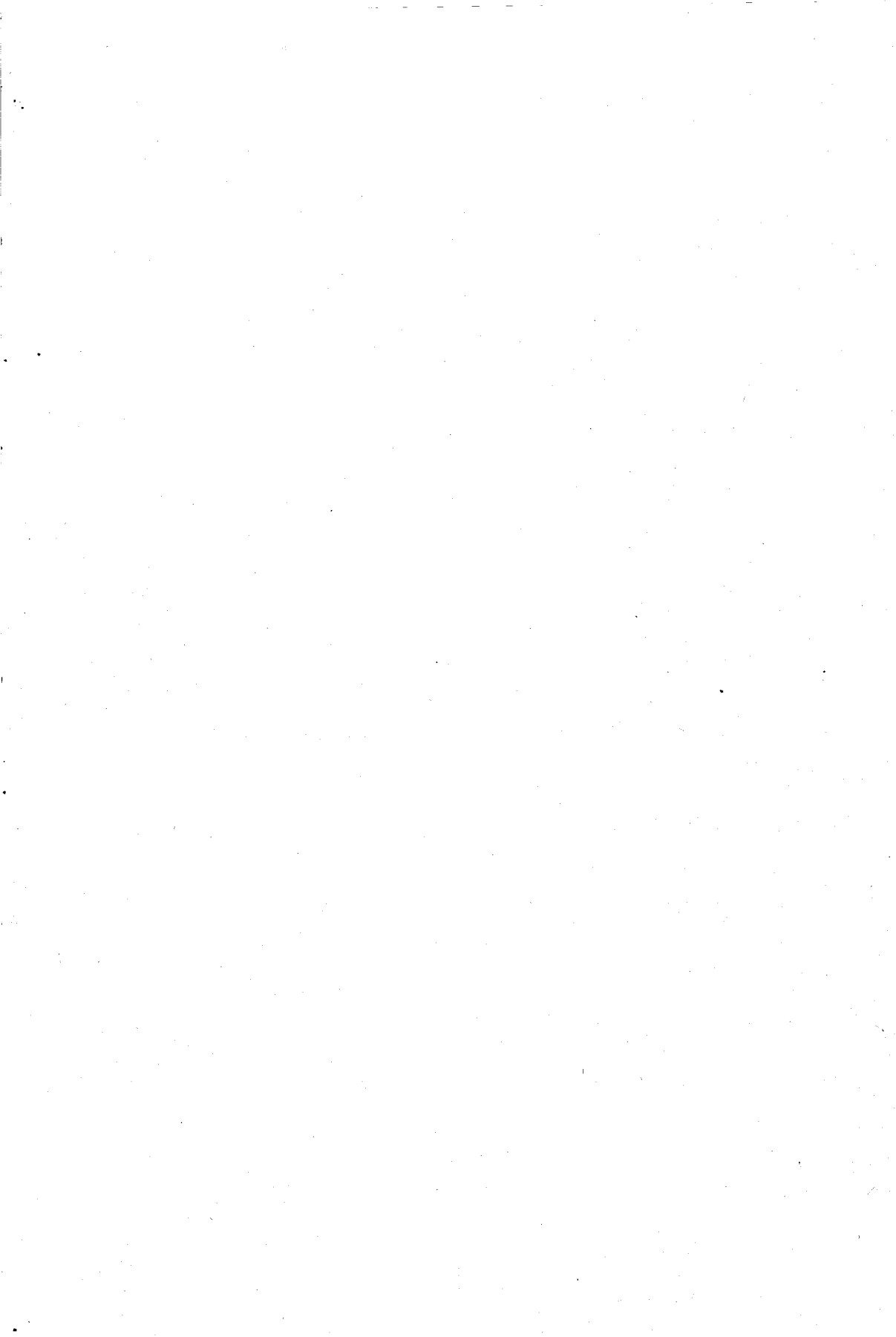
ومثله (تلفف الكرة رجل رجل) فهذا يحتمل أنها تلففها أكثر من رجل على معنى الترتيب ويحتمل أنها تلففها رجل واحد فتكون كلمة (رجل) الثانية تأكيداً، بخلاف ما لو قال (تلففها رجل).

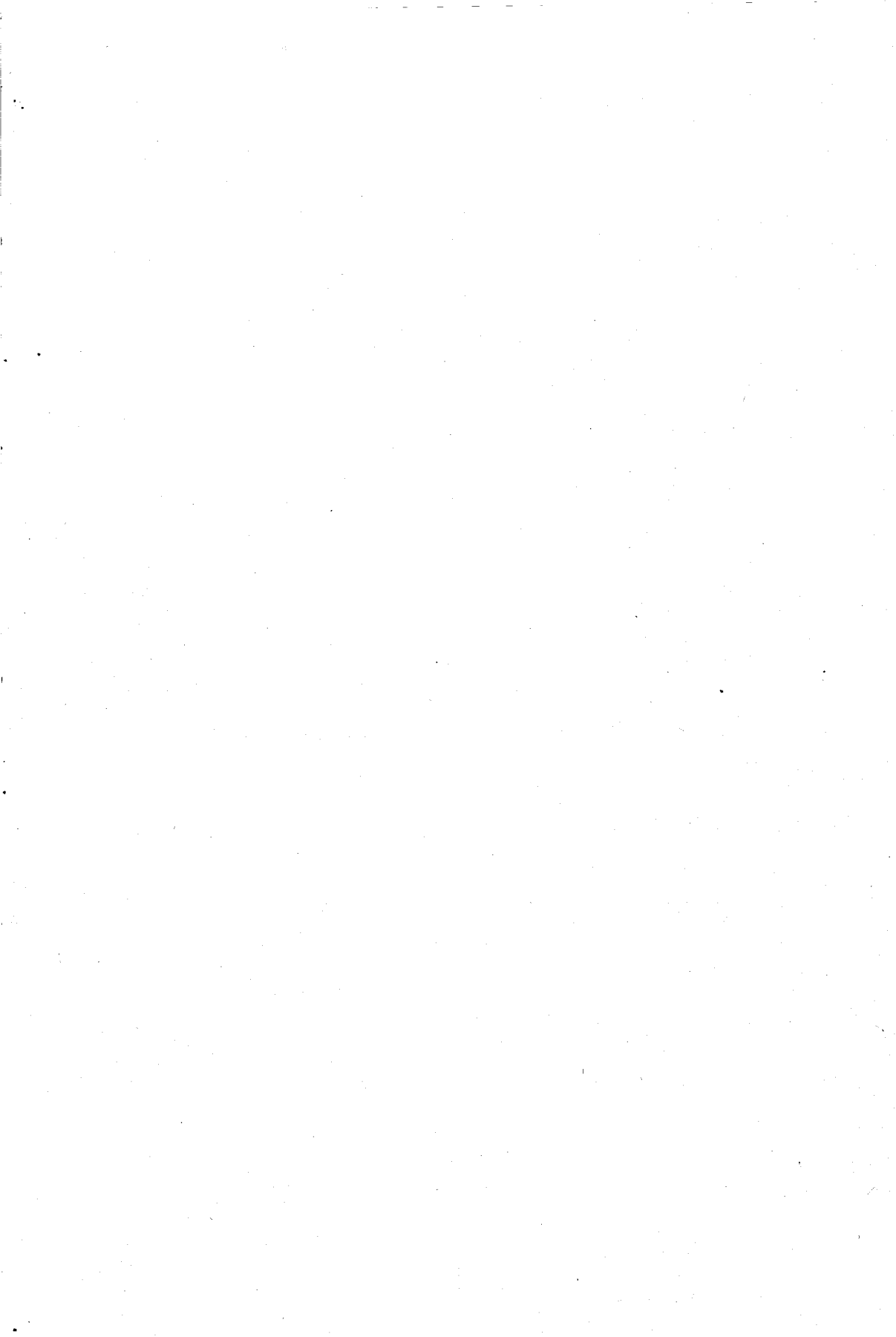
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَمَّ عَلَى الْإِنْسَانِ جِبًّا بَيْنَ يَدَيْهِ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ [الإنسان: ١] فهذا يحتمل أنه لم يكن شيئاً أصلاً مذكوراً أو غير مذكور. ويحتمل أنه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً وذلك من حين خلقه الله من طين إلى أن نفخ فيه الروح^(٢).

٧- الحذف الذي يؤدي إلى احتمال دلالي وإعرابي نحو قوله ﴿تَلَيَّحَمَكُوا قَلِيلاً وَبَكَرُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢] فهذا يحتمل أن المعنى فليضحكوا ضحكاً قليلاً وليبكوا بكاءً كثيراً فيكون قوله (قليلاً) و (كثيراً) من المفعول المطلق، ويحتمل أن المعنى فليضحكوا زمناً قليلاً وليبكوا زمناً كثيراً فيكون قوله (قليلاً) و (كثيراً) من الظروف. ونحو هذا قولك (هو لا يفقه إلا قليلاً) فهذا يحتمل أن المعنى أنه لا يفقه إلا فقهاً قليلاً ويحتمل أنه لا يفقه إلا قليلاً من الأمور فيكون قوله (قليلاً) يحتمل المفعولية المطلقة

(١) انظر معاني القرآن للقرآني للقرآني ١٨١/١.

(٢) انظر البحر المحيط ٣٩٣/٨.





كناية عن الشدة كقولهم في الحرب (حمي الوطيس)^(١).

١١- جمل تحتمل في تأليفيها أكثر من معنى وذلك نحو (قلما رأيت مثلك) فهذا يحتمل النفي وإن المعنى: لم أر مثلك، ويحتمل أنه رأى مثله قليلاً. ونحوه قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] فهذا يحتمل أنهم لم يكونوا آمنوا قليلاً ولا كثيراً، ويحتمل أنهم يصدقون بالشيء قليلاً ويكفرون بما سواه كالإيمان بالرسول ﷺ فيكونون كافرين^(٢) وذلك أن (قليل) و (قل) و (أقل) قد تستعمل لمعنى النفي ولمعنى القلة.

ونحوه قولهم (حلف أن يضربك) فهذا يحتمل نفي الضرب وإثباته فيكون المعنى (حلف أن لا يضربك) و (حلف ليضربك)^(٣).

ومن دلالة النفي في مثل هذا التعبير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَدًى مِّنْ أَنفِهِمْ أَن قَدِ يَعْبُدُكُمْ﴾ [النحل: ١٥] وهو ألقاها لكلا تميد، وقوله ﴿يَبْتَغِي اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] وهو يبين لنا لكلا نضل.

ومن الإثبات قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تَتَّخِذُوا بِاللَّهِ رَبًّا﴾ [المتحة: ١] وهو إثبات الإيمان لا نفيه.

ومن ذلك قولك (الذي يلقي قصيدة له مبلغ من المال) فهذا يحتمل أن المبلغ مترتب على إلقاء القصيدة وأن الاسم الموصول مشبه بالشرط، ويحتمل أن المال ليس مترتباً على إلقاء القصيدة بل هو مستحقه بسبب آخر فإن جئت بإلقاء فقلت (الذي يلقي قصيدة فله مبلغ من المال) كانت العبارة نصاً في أن المال مترتب على إلقاء القصيدة وأن (الذي) مشبهة بالشرط.

ونحوه قولك (لم يكذب يفعل) فإنه يحتمل أنه لم يفعل أصلاً ولم يقارب الفعل ويحتمل أنه فعل بعد جهد^(٤).

(١) انظر فتح القدير ٢ / ٤٧٤ - ٤٧٥.

(٢) انظر معاني القرآن ١ / ٥٩.

(٣) انظر معاني القرآن ٣ / ١٣٩.

(٤) انظر معاني القرآن ٢ / ٧١ - ٧٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِحَمْدِهِ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] فهذا يحتمل معنيين: الأول أنه خلقها مرفوعة بلا عمد، وأنكم لترونها كذلك أي مرفوعة بلا عمد، والآخر أنه خلقها بعمد غير مرئية أي لا ترون تلك العمدة^(١).

ونحو ذلك كثير.

١٢- عبارات تحتمل أكثر من معنى غير أنه قد تتعين الدلالة بالتحليل أو بالوقف على موطن ما من العبارة وذلك نحو ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً﴾ [البقرة: ٧] فهذا يحتمل أن يكون الختم على القلوب والسمع وتكون الغشاوة على الأبصار. ويحتمل أن يكون الختم على القلوب، وتكون الأبصار والسمع منتظمة بحكم واحد^(٢) فإن وقفت على القلوب تعين المعنى الثاني وإن وقفت على السمع تعين المعنى الأول وذلك لتعلقه بالختم وتكون الغشاوة على الأبصار، وهذا المعنى هو الراجح لأن الغشاوة تكون على الأبصار والختم إنما يكون على القلب والسمع بدليل قوله ﴿وَحَتَّمَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَقَلْبِهِمْ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

ونحو قوله تعالى: ﴿فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] فإنه إذا علقت (أربعين سنة) بـ (محرمته) كانت مدة التحريم أربعين سنة. وإذا علقتها بـ (يتيهون) كان المعنى أنها محرمة عليهم أبداً وأن التيه أربعون سنة، والوقف إنما يكون بحسب التعليق^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنثَىٰ وَمِنْ أَنْتَكُمَا الْمَنذُورُونَ﴾ [القصص: ٣٥]. فإذا علقت (بآياتنا) بالوصول كان المعنى أنهم لا يصلون إليهما بسبب الآيات، وإذا علقتها بالغلبة كان المعنى أنهم غالبون بالآيات وهي المعجزات وهو أولى لأنهم غلبوا بالآيات^(٤).

(١) انظر معاني القرآن ٥٧/٢.

(٢) انظر البرهان ١٩٧/٢.

(٣) انظر البرهان ٣٤٥/١.

(٤) البرهان ٣٤٦/١.

والوقوف على هذا المعنى إنما يكون على قوله (إليكما) ويبدأ بقوله (بآياتنا أنتما...) وهو الراجع^(١):

ونكتفي بهذا القدر من الأسباب التي تدعو إلى الاحتمال.

الدلالة الظاهرة والباطنة

ونعني بالدلالة الظاهرة المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ، وبالدلالة الباطنة المعنى الذي يعطيه نحوى الكلام ولا يفهم من ظاهر العبارة. فقد يكون التعبير ذا دلالة ظاهرة مفهومة من ظاهر اللفظ مثل (خالد رجل شجاع) و (حاتم جواد) و ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

وقد يكون ذا دلالة باطنة لا يعطيها ظاهر اللفظ، وذلك كما في المجاز والكنائيات والملاحن ونحوها من الكلام نحو قول امرئ القيس في وصف الليل:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكل كل

وقوله تعالى: ﴿قَرَدُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَوْهَيْتٍ﴾ [إبراهيم: ٩] أي لم يتلقوا النعم بشكر^(٢). و (نهاره صائم وليله قائم) و (أنت تضرب في حديد بارد) و (نؤوم الضحى) أي مخدومة، وما إلى ذلك من المجاز والكنائيات وهو ما أطلق عليه الجرجاني المعنى ومعنى المعنى، يريد بالمعنى الدلالة الظاهرة وبمعنى المعنى الدلالة الباطنة.

جاء في (دلائل الإعجاز): «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت (خرج زيد) وبالانطلاق عن عمرو فقلت (عمرو منطلق) وعلى هذا القياس.

وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن

(١) البرهان ١/٣٤٦.

(٢) البرهان ٢/٢١٣.

يدلک اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتشبيـل... .

أو لا ترى أنك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى فإنك في جميع ذلك لا تنيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ. ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك كـمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف، ومن طويل النجاد أنه طويل القامة... .

وكذا إذا قال (رأيت أسداً) وذلك الحال على أنه لم يرد السبع علمت أنه أراد التشبيه إلا أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز عن الأسد في شجاعته... . وإذا قد عرفت هذه الجملة فهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة.

ويعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفرض بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك^(١).

وجعل مدار الدلالة الباطنة على الكناية والمجاز قال (في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره): «اعلم أن لهذا الضرب اتساعاً وتفنناً لا إلى غاية. إلا أنه على اتساعه يدور في الأمر على شيئين: الكناية والمجاز. والمراد بالكناية هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة. ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه. مثال ذلك قولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة و (كثير رماد القدر) يعنون كثير القيرى. وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومة»^(٢).

(١) دلائل الإحجاز ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) دلائل الإحجاز ٥٢.

والدلالة الباطنة مواضع منها:

١- المجاز بأنواعه نحو قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] وقوله:

وأمرت لؤلؤاً من نرجس وسفت ورداً وعضت على العناب بالبرد
وقوله:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم
ونحو قولهم (شابت مفارق الجبال) و (نعم الصبح في قفا الليل)
ونحو ذلك.

٢- الكناية وذلك نحو قوله: (نؤوم الضحى) أي مخدومة و (بعيدة مهوى القرط) أي طويلة العنق و (جبان الكلب) أي مضياف و (طاهر الثوب) أي عفيف ونحو ذلك.

٣- الملاحن: واللحن أن تقول لأحد قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره^(١). وأصل اللحن أن تريد شيئاً فتوزي بقول آخر^(٢).

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ بعث رجلين ليخبراه بما يريان فقال لهما: إذا انصرفتما فالحنا لي لحناً، أي أشيراً إلي ولا تفصحا وعرضاً بما رأيتما^(٣). وذلك كقول العنبري لشخص أرسله إلى قومه يحذره غزو بكر بن وائل لهم وكان أسيراً فيهم: «قل لهم: إن العرفج قد أدبى، وقد شكّت النساء وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطلالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بأية ما أكلت معكم حيساً، واسألوا الحارث عن خبري... ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال: قد أنذركم، أما قوله (قد أدبى العرفج) يريد أن الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح. وقوله (شكّت النساء) أي

(١) انظر لسان العرب (لحن) ٢٦٣/١٧.

(٢) المزهر ٥٦٨/١.

(٣) لسان العرب ٢٦٦/١٧.

اتخذن الشكاه للسفر. وقوله: الثاقبة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمّان وهو الجمل الأصهب وقوله: بأية ما أكلت معكم حيساً يريد أن أخلاطاً من الناس قد غرّوكم لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط^(١).

٤- المعارض: والتعريض أن تذكر شيئاً يدل على شيء لم تذكره^(٢). وقد فرقوا بين الكناية والتعريض بأن الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له وأنها تدل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، أما التعريض فهو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي كقول من يتوقع صلة: والله إني محتاج، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً وإنما فهم من عرض اللفظ^(٣).

والتعريض في خطبة المرأة في عدتها أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرح به وهو أن يقول لها إنك لجميلة أو إن فيك لبقية أو إن النساء لمن حاجتي.

والتعريض قد يكون بضرب الأمثال وذكر الألفاظ في جملة المقال^(٤). ومن ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن حطم الأصنام وقد سئل ﴿أَتَقْتِ هَذَا يَا لَيْلِيَا يَا زَيْبِيَّةُ﴾ فقال: ﴿بَلْ نَعَكَمُ كَيْبُهُمْ هَذَا تَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣] تعريضاً بأنها لا تصلح أن تكون آلهة^(٥). ومنه قوله:

أنا ك (الذي) أحتاج ما يحتاجه.

تعريضاً بحاجته فإن (الذي) يحتاج إلى صلة وعائد.

٥- التأويل: والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي

(١) المزمر ١/٥٦٩.

(٢) الإتيان ٢/٤٨.

(٣) الإتيان ٢/٤٨.

(٤) لسان العرب (مرض) ٩/٤٦٩.

(٥) الإتيان ٢/٤٨.

إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ^(١).

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: اللهم علمه التأويل^(٢). وقال الله تعالى فيما تشابه من القرآن ﴿وَمَا يَسْتَمُ تُأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ رَبُّكَ لِيَإِلْرَمَادٍ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤] قالوا وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأبهة والاستعداد للمرض عليه^(٣).

وقوله تعالى: ﴿سَيَرَمُ رِمَاحَهُمْ وَيُرْوُونَ الدِّبْرَ ﴿١٩﴾﴾ [القمر: ٤٥] فإنها نزلت بمكة وجاء تأويلها يوم بدر وتلاها الرسول مستشهداً بها عند هزيمة قريش.

ومنه تأويله سورة النصر بقرب أجل رسول الله ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه السورة: «نُعت إلى نفسي»^(٤). وفي الصحيح أن عمر دعا جمعاً من أشياخ بدر ومعهم ابن عباس فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا.

فقال: ما تقول؟

قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له. قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ نزلت علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾.

(١) لسان العرب (أول) ٣٤/١٣.

(٢) البرهان ١٧٢/٢.

(٣) الاتقان ١٧٣/٢.

(٤) انظر تفسير فتح القدير ٤٩٥/٥.

فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول^(١).

ومن ذلك تأويل الرؤى كقوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَأَنْتُمْ لِي سَجِدُونَ﴾ [يوسف: ٤] وجاء تأويلها بعد ذلك بزمان حين رفع أبوه على العرش وخرأوا له سجداً وقال: ﴿يَكُونُ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاكَ مِنْ قَبْلِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وغير ذلك من الرؤى التي ذكرها القرآن أو غيره.

وكثيراً ما نلاحظ في الرؤى استعمال الرموز لتدل على المعاني كالشمس والقمر للدلالة على الأبوين والكواكب للدلالة على الإخوة في رؤيا يوسف.

وكالرمز بالبقرات السمان إلى سنوات الخصب وبالبقرات العجاف إلى سنوات الجذب.

وكثيراً ما تستعمل هذه الرموز والإشارات في مواطن أخرى من الكلام لدواع مختلفة نحو أن تقول (في بيتك فأر) كناية عن الفاسق لأن الرسول ﷺ وصف الفأرة بالفويسقة. أو تقول (بلغ في إنائك كلب) تعريضاً بأمر لا يحسن ذكره.

وفي كتاب كلية ودمنة كثير من الإشارات والرموز.

٦- الأمثال: وكثيراً ما يكون للمثل دلالة باطنة هي المقصودة به كقولهم (يعرف من أين تؤكل الكتف) يضرب هذا المثل لمن يأتي الأمور من مآثها لأن أكل الكتف أعسر من غيرها. ونحو (عرف حميق جملة) وهو مثل يضرب لمن عرف خصمه فاجترأ عليه، والحميق نبت^(٢) ومن الأمثال ما يضرب لبيان حالة يرتقي منها إلى المطلوب، وفي القرآن كثير من هذا وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا

(١) انظر فتح القدير ٤٩٧/٥.

(٢) انظر المزهر ٤٨٩/١، ٤٩٧.

رَبِّهَا وَمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِينٍ أَوْ مَتَّعَ رَبُّكَ يَتْلُوَنَّهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ بَدَهَبٌ وَهَبْ حُبًّا وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَنَكُودٌ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ [الرعد: ١٧].

٧. قد يكون الكلام مبنياً على معتقد ما أو تصور أو تجارب معينة فلا يفهمه إلا من علم المقصود به وذلك نحو قوله:

لا تعجبوا من يلى غلاته قد زرّ أزراره على القمر
فانت قد لا ترى لهذا التعليل مساعاً إذ ما علاقة الغلّاة بالقمر؟

ولماذا إذا زرّ أزراره على القمر فينبغي ألا نعجب من بلاها؟

وتعليل ذلك أنهم يقولون إن القمر يُلي الكتان بسرعة، وهذه خاصة في طبيعة القمر وأمر غريب من تأثيره، فلا عجب إذن من بلى الغلّاة إذا كانت مزروعة على القمر. وفي هذا يقول القائل^(١):

ترى الشباب من الكتان يلمحها نور من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

٨. وقد يكون الكلام غير واضح القصد لغير ذلك وإنما له معنى باطن لا يتبين من تأليف الكلمات وإنما يتبين من الشرح والتوضيح، وذلك نحو قولهم في المثل (يا حذا التراث لولا الذلة) ومعناه: الميراث حلّ لولا أن أهل بيته يقلّون^(٢). وقوله:

رما زلت خيراً منك مذ عض كارها برأسك عادي النجاد ركوب
وهو تعريض بأمه لا يدل عليه ظاهر اللفظ. وقوله:

رويد علياً جدّ ما ثدي أمهم إلينا ولكن ودهم متباين

(١) انظر أسرار البلاغة ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) المزمع ٤٨٩/١.

وقوله:

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام وأنا لا نخط على النمل
يريد أنا لسنا بمجوس ننكح الأخوات^(١).
وقولهم (عنك في الأرض) و (يا شيء مالك) ونحوه كثير^(٢).
إلى غير ذلك من مواطن الدلالة الباطنة.



(١) أدب الكاتب ١٨.

(٢) الصاحبي ٦٨-٦٩، المزمهر ١/ ٦٧-٦٨.



الإعراب

اللغة العربية كما هو معلوم من اللغات المعربة، وقد ورثت العربية الإعراب من اللغة السامية الأم. فاللغة السامية الأم كانت معربة وكذلك اللغات السامية الأخرى، فقد كانت اللغات السامية القديمة كلها معربة^(١)، وقد احتفظت العربية بالإعراب كاملاً إلى الآن.

إن كلمة إعراب مصدر للفعل (أعرب) وهو مشترك في معانٍ منها:

الإبانة: يقال أعرب الرجل عن حاجته أي أبان عنها، ومنه الحديث (الطيب تعرب عن نفسها)، ومنها التحسين فيقال: أعربت الشيء أي حسنته. وإزالة الفساد فيقال أعربت الشيء أي أزلت فساده ذلك أن معنى (عرب) فسد يقال (عربت معدة الفصيل) إذا فسدت، ويقال (أعرب) أي أزال الفساد، والهمزة للسلب كما في قسط وأقسط وجار وأجار^(٢).

والإعراب في النحو مأخوذ من المعنى الأول وهو الإبانة عما في النفس والكشف عنه^(٣) ذلك أن الإعراب يبين عن المعاني ويكشف عنها ولولاه لكان الكلام مبهماً غير مفهوم ولا معلوم فقولك (ما أحسن خالد) مثلاً يحتمل معاني عدة ولا يتضح المعنى المقصود إلا بالإعراب، فإن قلت

(١) العربية ليرمان فك ٣٣، التطور النحوي لبرجستراسر ٧٥، فصول في فقه العربية ٣٨٢ وما بعدها.

(٢) انظر الهمع ١/ ١٣-١٤، أسرار العربية ١٨-١٩.

(٣) انظر الرضي على الكافية ١/ ٢٤، شرح ابن بيميش ١/ ٧٢.

(ما أحسن خالد) كنت نافياً، وإن قلت (ما أحسن خالداً) كنت متعجباً، وإن قلت (ما أحسن خالد) كنت مستفهماً.

وقولك (لا يذهب محمود) يحتمل النفي والنهي، فإن قلتها برفع الفعل كنت نافياً وإن قلتها بالجزم كنت ناهياً.

وقولك (إن محمد حاضر) بسكون النون يحتمل النفي والإثبات، فإن قلتها برفع الاسمين أو برفع الأول ونصب الثاني كنت نافياً على لغتين، وإن قلتها بنصب (محمد) ورفع (حاضر) كنت مثبتاً مؤكداً، والمعنى أن محمداً حاضر. وهكذا.

جاء في (شرح ابن عيش): «اعلم أن الإعراب في اللغة البيان، يقال أعرب عن حاجته إذا أبان عنها، ومنه قوله عليه السلام (الطيب تعرب عن نفسها)...»

والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها، ألا ترى أنك لو قلت: (ضرب زيد عمرو) بالسكون من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول؟! ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب. ألا ترى أنك تقول: ضرب زيد عمراً وأكرم أخاك أبوك فيعلم الفاعل برفعه والمفعول بنصبه سواء تقدم أو تأخر.

فإن قيل: فأنت تقول: ضرب هذا هذا وأكرم عيسى موسى، وتقتصر في البيان على المرتبة، قيل: هذا شيء قادت إليه الضرورة لتعذر ظهور الإعراب فيهما ولو ظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما أو وجدت قرينة معنوية أو لفظية جاز الاتساع بالتقديم والتأخير نحو: ضرب عيسى زيداً^(١).

وهذا الذي ذكرناه من أن الإعراب في الكلام إنما هو للإبانة عن المعاني هو ما أطبق عليه النحاة جميعاً إلا أبا علي قطرباً فإنه لا يرى ذلك،

(١) شرح ابن عيش ٧٢/١.

وذهب مذهبه إبراهيم أنيس من المحدثين^(١). جاء في (الإيضاح في علل
 النحو) للزجاجي في بيان الغرض من الإعراب: «إن الأسماء لما كانت
 تعورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة إليها لم تكن في صورها
 وأبنتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب
 فيها تنبئ عن هذه المعاني فقالوا (ضرب زيداً عمراً) فدلوا برفع (زيد) على
 أن الفعل له وينصب (عمرو) على أن الفعل واقع به. وقالوا: (ضرب زيد)
 فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع (زيد) على أن الفعل ما لم يسم فاعله وأن
 المفعول قد تاب منابه. وقالوا (هذا غلام زيد) فدلوا بخفض زيد على إضافة
 الغلام إليه.

وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا في
 كلامهم ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه
 لتكون الحركات دالة على المعاني. هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً فإنه
 عاب عليهم هذا الاعتلال. وقال: لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني
 والفرق بين بعضها وبعض لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب
 مختلفة المعاني، وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني. فما اتفق إعرابه
 واختلف معناه قولك: إن زيداً أخوك ولعل زيداً أخوك وكأنّ زيداً أخوك.
 اتفق إعرابه واختلف معناه.

ومما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك: ما زيد قائماً وما زيد قائم.
 اختلف إعرابه واتفق معناه. ومثله: ما رأيت منذ يومين ومنذ يومان. ولا مال
 عندك ولا مال عندك، وما في الدار أحد إلا زيد وما في الدار أحد إلا
 زيداً، ومثله أن القوم كلهم ذاهبون وأن القوم كلهم ذاهبون، ومثله: إن
 الأمر كله لله، وأن الأمر كله لله قرىء بالوجهين جميعاً. ومثله: ليس زيد
 بجبان ولا بخيل ولا بخيلاً. ومثل هذا كثير جداً مما اتفق إعرابه واختلف
 معناه، وما اختلف إعرابه واتفق معناه.

(١) انظر من أسرار اللغة ١٤٢، ١٥٨.

قال: فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه لا يزول إلا بزواله.

قال قطرب: وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل. وكانوا يبطنون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحرك جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام...

وقال المخالفون له ردًا عليه: لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة ورفع أخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكوناً يعتدل به الكلام. وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو محير في ذلك... واحتجوا لما ذكره قطرب من اتفاق الإعراب واختلاف المعاني واختلاف الإعراب واتفاق المعاني التي تقدم ذكرها بأن قالوا إنما كان أصل دخول الإعراب في الأسماء التي تقدم الأفعال لأنه يذكر بعدها اسمان أحدهما فاعل والآخر مفعول فمعناهما مختلف فوجب الفرق بينهما ثم جعل سائر الكلام على ذلك^(١).

وهنا نريد أن نقف عند الشبهة التي احتج بها قطرب وهي أنا نجد أسماء متفقة الإعراب مختلفة المعاني كقولهم: إن زيداً أخوك ولعل زيداً أخوك وكان زيداً أخوك، ونجد أسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني كقولهم: ما زيد قائم وما زيد قائماً ولا مالٌ عندك ولا مالٌ عندك وما في الدار أحد إلا زيدٌ وإلا زيداً ونحوه، فنقول:

١- إن النحاة قالوا أن الإعراب يدل على معنى ولم يقولوا أن الذي يحمل إعراباً واحداً يتفق في معناه، فهذا لا يكون لأن الكلام يختلف بين إثبات ونفي واستفهام وتعجب وتمنٍ وترجٍ وغير ذلك، فهل يريد لكل معنى من هذه المعاني إعراباً خاصاً به؟ أيريد للفاعل المبتدئ إعراباً وللنفي إعراباً وللستفهام عنه إعراباً وللترجى إعراباً وللتمنى إعراباً؟ هل هذا ممكن وهل يصح؟

(١) الإيضاح في علل النحو ٦٩-٧١.

نحن نقول: حضر محمود وقد حضر محمود وما حضر محمود وهل حضر محمود؟ وربما حضر محمود ولو حضر محمود وهلا حضر محمود ولعلما حضر محمود وكأنما حضر محمود وغيرها. وهذه معانٍ مختلفة وفي كلها نعرب (حضر محمود) فعلاً وفعلاً.

أفيقتض هذا قول النحاة بأن الإعراب يدل على معنى؟

أيريد لكل حالة إعراباً خاصاً بها؟

إنه على هذا ينبغي أن يكون لكل جملة في العربية إعراب خاص بها فجملة (سافر محمود) لها حالة إعرابية و (حضر محمود) لها حالة إعرابية و (صام محمود) لها حالة، و (أفطر محمود) لها حالة. وهذا لا يقول به أحد ولا يمكن أن يقول به أحد.

٢. إن الحالات الإعرابية محدودة، وهي ثلاث في الأسماء: الرفع والنصب والجر، وثلاث في الفعل المضارع وهي الرفع والنصب والجزم، وإن المعاني غير محدودة فلا بد أن تشترك معانٍ عدة في حالة إعرابية واحدة إذ لا يمكن أن يكون لكل معنى إعراب ولذا اشتركت في حالة النصب مثلاً المفاعيل الخمسة والحال والتمييز والمستثنى وغيرها.

وفي حالة الرفع الفاعل ونائبه والمبتدأ والخبر وغيرها.

ولذا قد يشترك أيضاً الحال والتمييز في تعبير واحد، والمفعول المطلق والظرف في تعبير نحو (بكى كثيراً) أي بكى بكاء كثيراً أو وقتاً كثيراً وغيرها.

وهذا لا يمنع من القول أن الإعراب إنما جاء به للدلالة على المعنى والتمييز بين المعاني.

٣. إن النحاة قالوا إن الرفع علم الابتداء أو الفاعلية أو علم العمدة، والنصب علم الفضلة وما ألحق بها، والجر علم الإضافة ونحو ذلك من التفسيرات ولا تخرج الأمثلة التي ذكرها قطرب عما قاله النحاة فقولهم (إن زيداً أخوك ولعل زيداً أخوك وكان زيداً أخوك) كلها الاسم المنصوب فيها

مسند إليه والمرفوع مسند فهي إذن لم تخرج عن انقاعده التي ذكرها النحاة والمعنى الذي ذكره. فلم يكن الاسم المنصوب في أحدها عمدة والآخر فضلة أو غير ذلك مما يؤدي إلى تغيير أساسي في طبيعة التقسيم الذي وضعوه.

٤- ونعود إلى الأمثلة التي ضربها قطرب وغيرها وهي (إن زيدا أخوك ولعل زيدا أخوك وكان زيدا أخوك وليت زيدا أخوك) فنقول: إنه إذا كان الإعراب لا يدل على معنى فلماذا يصح العطف بالرفع على اسم إن وأن ولكن ولا يصح في ليت ولعل وكان؟ لماذا يصح أن يقال: إن زيدا وخالد حاضر ولا يصح أن يقال: لعل زيدا وخالد حاضر ولا ليت زيدا وخالد حاضر؟ أليس ذلك بسبب المعنى وذلك أن العطف بالرفع على اسم لعل وليت وكان لا يدل على معنى لأن المعطوف لا يدخل مع المعطوف عليه في الترجي والتمني والتشبيه فلا يكون له معنى بخلاف العطف على اسم أن ولكن فإن المعنى يبقى على حاله.

لماذا يصح أن يقال: (إن محمداً حضر والله) ولا يصح أن يقال: (إن محمداً حضر والله أو والله) بنصب أو رفع لفظ الجلالة، أليس ذلك يعود إلى صحة المعنى وعدمه؟ ذلك أن الأولى قسم، وأنه لا يصح العطف في التعبيرين الآخرين فلا يصح أن يقال: حضر الله.

لماذا يصح أن يقال (إن زيدا شجاع والله) بالجر ولا يصح أن يقال (إن زيدا شجاع والله أو والله) أليس ذلك بسبب صحة المعنى أو فساده فإنه لا يصح أن يوصف الله بالشجاعة فلا يصح العطف.

ونحوه (إن زيدا جواد وحقك) فإنه يصح فيه الجر على القسم ولا يصح النصب أو الرفع إذ لا يصح أن يقال (حقك جواد) في حين يصح أن يقال (إن محمداً بريء منك والله أو والله أو والله) بالرفع والنصب والجر. أليس ذلك بسبب صحة المعنى أو فساده؟

ونحوه في الفعل المضارع وذلك نحو قوله (يريد أن يعربه فيعجمه) فإنه يصح الرفع في (فيعجمه) ولا يصح النصب لأن المعنى سيتناقض فإن

المعنى يكون على ذلك: يريد إعرابه بإعجابه، ونحو (أريد أن تأتيني فنتشمني) فإنه لا يصح النصب في (تتشمني) بل يلزم الرفع لأنه لم يرد الشئمة ولكنه أراد: أريد أن تأتيني ولكتك تشمني.

ونحو (لا تكذب تدخل النار) فإنه يلزم رفع (تدخل) ولا يصح جزمه. لأن المعنى سيكون (إن لا تكذب تدخل النار) وهو لا يصح. ونحو ذلك كثير.

٥- إذا كان الإعراب لا يفيد معنى فكيف يميز المخاطب بين الفاعل والمفعول أو غيرهما والعربية تبيح التقديم والتأخير في ذلك فلا تلتزم تقديم الفاعل وتأخير المفعول كما في سائر اللغات المبنية؟ كيف نعلم الفاعل من المفعول في قولنا (ضرب خالداً محمداً) والإعراب لا يدل على معنى؟ كيف نعلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الخاشي من المخشي؟ فإن قال نعلم ذلك من الرفع والنصب قلنا له: فأنت لا ترى أن الإعراب دليل معنى.

ثم كيف نعلم دلالة قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أن تكون براءة الله من المشركين والرسول أم من المشركين فقط؟

فإن قال: تعلم ذلك من حركة (الرسول) قلنا له: فقد أقررت بأن للإعراب معنى. فلا يصح إذن القول: إن الإعراب لا يدل على معنى.

٦- ثم ليس من المعقول ألا يفرق قطرب أو غيره ممن له أدنى معرفة باللغة بين معنى تعبير وآخر مما اختلف إعرابه وذلك نحو:

(أكرمك وزيدٌ) و (أكرمك وزيداً) فإن (زيداً) الأولى معطوفة على الفاعل المتكلم، فالتكلم وزيد أكرما المخاطب، وفي الثانية أن المتكلم أكرم المخاطب وأكرم زيداً. كما هو واضح.

ونحو (إن زيداً نائم ومريض بالقلب) و (إن زيداً نائم ومريضاً بالقلب) ففي الأولى أنت مخبر عن زيد بأنه نائم وأنه مريض بالقلب، وفي الثانية أخبرت عن زيد أنه نائم وأخبرت عن شخص مريض بالقلب أنه نائم أيضاً.

ونحو (لعل أخاك العائدُ والرايحُ بالمال الكثير) و (لعل أخاك العائدُ والرايحُ بالمال الكثير) يدل على أن أخاك هو العائد وهو الراح، فالعائد شخص واحد، ونصبه يدل أن الراح بالمال شخص آخر غير أخيك وأن العائدين اثنان هما أخوك والراح بالمال.

ونحو (هذا رطباً أطيب منه بساً) و (هذا رطبٌ أطيب منه بساً) فأنت في الأولى تخبر عن شيء واحد في حالتين، وفي قولك (هذا رطبٌ أطيب منه بساً) تخبر عن شيئين، والمعنى: هذا رطب غير أن هناك بساً أطيب منه.

ونحو (واعدناه جانب الطور الأيمن) بجر الأيمن ونصبه فإذا قلتها بالجر كان نعتاً للطور ويقتضي ذلك وجود أكثر من طور، ولو قلتها بالنصب لكان نعتاً للجانب ولا يقتضي ذلك وجود أكثر من طور، ثم هل من المعقول ألا يعرف قطرب أن مكان المواعدة في قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْتُّكَ بِجَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [طه: ٨٠] هو الجانب الأيمن من الطور وليس الطور الأيمن؟

٧- ثم إن المعنى قد يتم أو لا يتم بحسب الحالة الإعرابية فنقولنا (أشهد أن محمداً رسولُ الله) برفع (رسول) تام المعنى، ولو قلتها بالنصب لم يتم المعنى حتى تأتي بالخبر، ولو قلت (كأنه منطلق) كان تام المعنى ولو قلت (كأنه منطلقاً) لم يتم المعنى حتى تأتي بالخبر فتقول مثلاً: كأنه منطلقاً سهم.

وغير ذلك من الأمثلة التي لا تنحصر والتي يتغير المعنى فيها لتغير الإعراب.

أما الشبهة الثانية وهي قوله إنه قد يختلف الإعراب ويتفق المعنى فهو غير صحيح أيضاً وذلك إما أن تكون الجملتان المذكورتان من لغتين مختلفتين نحو (ما زيد قائم) و (ما زيد قائماً) ونحو (ليس الطبيب إلا المسكُ وإلا المسكُ) و (لعل محمداً حاضر) و (لعل محمداً حاضر) ونحو: (ما في الدار أحد إلا زيدٌ وإلا زيداً) فهذه لغات واللغات قد تختلف في التعبير عن المعنى الواحد. ومع ذلك حاول النحاة أن يذكروا الاختلاف في المعنى في بعض التعبيرات في مثال المستشي المذكور.

أما ما كان من لغة واحدة فلا بد أن يختلف المعنيان إذا اختلفا في الإعراب كما في لا مالَ عندك ولا مالَ عندك، ونحو ليس زيد بجان ولا بخيل ولا بخيلاً كما هو مقرر. وقد نقلت جملة من أقوال النحاة وتعليقاتهم في كتابي (معاني النحو) في الاختلاف في معاني الجمل التي ذكرها فلا نعيد القول فيها.

إن القول بأن الإعراب إنما هو للدلالة على المعاني المختلفة حقيقة لغوية ليس فيها شك فيما نرى، وإلا فمن ينكر أن قولنا مثلاً (أرهب الناس سلمان) إذا كان غفلاً احتمال معاني عدة ولا يتضح المعنى المراد إلا بالإعراب وذلك نحو:

أرهبَ الناسُ سلمانَ

أرهبَ الناسُ سلمانَ

أرهبُ الناسِ سلمانُ

أرهبِ الناسَ سلمانُ

وإن قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الشُّرَكِيِّنَّ وَرَسُولُهُ﴾ لو غيرت حركة الرسول من الضمة إلى الكسرة لانتقض المعنى وفسد، وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] لو غيرت حالة الإعراب فيه فرفع لفظ الجلالة ونصب العلماء لانعكس المعنى وصار الله خاشياً تعالى الله عن ذلك، ولو قلت (خلق الله الناس) لكنت صادقاً في قولك ولو قلت (خلق الله الناس) لكنت كافراً ضالاً مضلاً. وغير ذلك وغيره مما هو واضح كل الواضح.

معاني القاب الإعراب والبناء:

يسمي النحاة أحوال الإعراب الرفع والنصب والجر والجزم، ويسمون أحوال البناء الضم والفتح والكسر والسكون ويسمون العلامات الضمة والفتحة والكسرة والسكون وهذه التسميات ليست تسميات اعتباطية وإنما هي مترعة من أوصاف حركات النغم عند النطق بها.

سميت الضمة بذلك لأن الشفتين تنضم إحداهما إلى الأخرى عند النطق بها وترتفعان من مكانهما، فسميت الحالة الإعرابية رفعاً وسميت الحركة ضمة.

وسميت الفتحة بذلك لأن المتكلم عند النطق بها يفتح فمه وأما النصب فمعناه الإقامة والوقوف، فنصب الشيء إقامته ومنه نصب الراية أي إقامتها، فعند النطق بالفتحة يتنصب الفم أي يقف كأنه كان الفم شيئاً ساقطاً فأقامته ونصبته فسميت الحالة نصباً والحركة فتحة، فعند النطق بالفتحة يتنصب الفم أي يقف.

وأما الجر فهو جر الفك الأسفل إلى أسفل عند النطق بالكسرة، وسميت الكسرة بذلك لأن المكسور يهوي إلى أسفل فإنك إذا كسرت عصا أو خشبة هوى القسم المكسور إلى أسفل فسميت الحركة كسرة والحالة جراً وخفضاً والخفض هو ما يقابل المرتفع، والخفض والجر بمعنى واحد.

وأما الجزم فهو القطع والمراد به قطع الحركة أو الحرف فإن قطعت الحركة كان الحرف ساكناً. فالسكون ضد الحركة. إن الحركات ثلاث: الضمة والفتحة والكسرة، وأما السكون فهو تقيض الحركة فإن قطعت الحركة كان الحرف ساكناً.

والمجزوم إما مقطوع منه حركة أو حرف، فما قطع منه الحركة كان ساكناً نحو لم يذهب، والمقطوع منه الحرف نحو لم يرم ولم يخش ولم يدع ولم يذهب، ولا جزم من غير قطع وحذف، جاء في (الإيضاح في علل النحو): «فنسبوا الرفع كله إلى حركة الرفع لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه...»

والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه فيبين حنكه الأسفل من الأعلى فيبين للناظر كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه.

وأما الجر فإنما سمي بذلك لأن معنى الجر الإضافة، وذلك أن الحروف الجارة تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك (مررت بزيد) فالباء أوصلت مرورك إلى زيد وكذلك: المال لعبد الله وهذا غلام زيد.

هذا مذهب البصريين وتفسيرهم. ومن سماه منهم ومن الكوفيين خفضاً فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به وميله إلى إحدى الجهتين.

أما الجزم فأصله القطع، يقال جزمت الشيء وجذمته وبترته وجذذته وصلمته وفصلته وقطعته بمعنى واحد فكأن معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة، هذا أصله ثم جعل منه ما كان بحذف حرف على هذا لأن حذف الحركة وحذف الحرف يجمعهما الحذف^(١).

وجاء في (شرح الرضي على الكافية): قال «وإنما قيل لعلم الفاعل رفع لأنك إذا ضمنت الشفتين لإخراج هذه الحركة ارتفعتا عن مكانهما فالرفع من لوازم مثل هذا الضم وتوابعه فسمى حركة البناء ضمّاً وحركة الإعراب رفعاً لأن دلالة الحركة على المعنى تابعة لثبوت نفس الحركة أولاً.

وكذلك نصب الفم تابع لفتحته كأن الفم كان شيئاً ساقطاً فنصبته أي أقمته بفتحك إياه فسمى حركة البناء فتحاً وحركة الإعراب نصباً.

وأما جر الفك الأسفل إلى أسفل وخفضه فهو ككسر الشيء، إذ المكسور يسقط ويهوي إلى أسفل فسمى حركة الإعراب جرّاً وخفضاً وحركة البناء كسراً لأن الأولين أوضح وأظهر في المعنى من المقصود من صورة الفم من الثالث.

ثم الجزم بمعنى القطع، والوقف والسكون بمعنى واحد والحرف الجازم كالشيء القاطع للحركة أو الحرف فسمى الإعرابي جزماً والبنائي وقفاً وسكوناً^(٢).

وجاء في (التصريح): «الفتح وهو أقرب الحركات إلى السكون لحصوله بأدنى فتح الفم بخلاف الضم والكسر، فإن الأول إنما يحصل بإعمال العضلتين معاً الواصلتين إلى طرف الشفة، والثاني إنما يحصل بالعضلة الواحدة الجاذبة إلى أسفل...»

(١) الإيضاح في علل النحو ٩٣-٩٤.

(٢) شرح الرضي ٢٤/١.

وأقوى الحركات الضم وزليه انكسر ثم انفتح، وسمي الأول ضمّاً لأنه ينشأ من ضم الشفتين أولاً ثم رفعهما ثانياً.

وسمي الثاني كسراً لأنه ينشأ من انجرار اللحي الأسفل إلى أسفل انجراراً قوياً.

وسمي الثالث فتحاً لأنه يتولد من مجرد فتح الفم^(١).

معاني الإعراب:

ذهب كثير من النحويين إلى أن الرفع علم الفاعلية وبقية المرفوعات مشبهة به، وإنما النصب علم المفعولية وبقية المنصوبات ملحقه بالمفاعيل، وأن الجر علم الإضافة^(٢).

وقيل: بل المبتدأ والخبر هما الأول والأصل في استحقاق الرفع وبقية المرفوعات محمولة عليها^(٣).

وقيل: بل المرفوعات كلها أصول^(٤).

وذهب ابن مالك إلى أن الرفع علم العمدة وهي مبتدأ أو خبر أو فاعل أو نائبه أو شبيهه لفظاً، يعني بالشبيه به اسم كان وأخواتها ونحوه.

وأن النصب علم الفضلة وهي مفعول مطلق أو مقيد (يعني بالمقيد بقية المفاعيل) أو مستثنى أو حال أو تمييز أو مشبه بالمفعول نحو (مررت بحسن الوجه) بنصب الوجه.

وأن الجر لما بين العمدة والفضلة وهو المضاف إليه «وإنما كان بين العمدة والفضلة لأنه في وضع يكمل العمدة نحو (جاء عبدالله) وفي موضع يكمل الفضلة نحو (أكرمت عبدالله). وفي موضع يقع فضلة نحو: هذا

(١) التصريح ١/ ٥٨-٥٩.

(٢) المنفصل ١/ ٥٠، الرضي على الكافية ١/ ٢٤، الهمع ١/ ٩٢.

(٣) شرح ابن يعيش ١/ ٧٢، الهمع ١/ ٩٢.

(٤) الهمع ١/ ٩٢.

ضارب زيد^(١).

والحق من العمد بالفضلات المنصوب في باب كان وإن ولا^(٢).

ورجع الرضي ما ذهب إليه ابن مالك في الرفع والنصب، وأما الجر فقد ذهب فيه مذهب النحاة. قال في تعقيه على كلام ابن الحاجب (فالرفع علم الفاعلية) والأولى أن يقال: «الرفع علم كون الاسم عمدة الكلام ولا يكون في غير العمد، والنصب علم الفضلة في الأصل ثم يدخل في العمد تشبيهاً بالفضلات... وأما الجر فعلم الإضافة أي كون الاسم مضافاً إليه معنى أو لفظاً كما في غلام زيد وحسن الوجه»^(٣).

وقال أيضاً: «والأولى على ما اخترناه أقبل أن يقال: المرفوعات ما اشتمل على علم العمدة لأن الرفع في المبتدأ والخبر وغيرهما من العمد ليس بمحمول على رفع الفاعل كما بينا بل هو أصل في جميع العمد»^(٤).

وقد أوضح رأيه في مكان آخر بصورة مفصلة فقال: «وجعل الرفع الذي هو أقوى الحركات للعمد وهي ثلاثة: الفاعل والمبتدأ والخبر، وجعل النصب للفضلات سواء اقتضاها جزء الكلام بلا واسطة كخبر المفعول معه من المفاعيل وكالحال والتمييز أو اقتضاها بواسطة حروف كالمفعول معه والمستثنى غير المفرغ والأسماء التي تلي حروف الإضافة أعني حروف الجر.

وإنما جعل للفضلات النصب الذي هو أضعف الحركات وأخفها لكون الفضلات أضعف من العمد وأكثر منها.

ثم أريد أن يميز علامة ما هو فضلة بواسطة حروف ولم يكن بقي من الحركات غير الكسر فيميز به مع كونه منصوب المحل لأنه فضلة فصار

(١) المساعد ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٢) انظر التهيل ٤٢-٤٣، المساعد ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٣) الرضي ٢٤/١.

(٤) الرضي ٧٠/١ وانظر ١٠٩/١.

معنى كون الاسم مضافاً إليه معنى العمدة بحرف معنى آخر منضماً إلى المعنيين المذكورين علامته الجر فإن سقط الحرف ظهر الإعراب المحلي في هذه الفصلة نحو (اللة لأفعلن) فإذا عطف على المجرور فالحمل على الجر الظاهر أولى من الحمل على النصب المقدر. وقد يحمل على المحل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسِكُوا بُرُءُوكُمْ وَأَتَيْنَاكُمْ﴾ بالنصب فإن سقط الجار مع الفعل لزوماً كما في الإضافة زال النصب المقدر...

فأصل الجر أن يكون علم الفصلة التي تكون بواسطة حرف ثم يخرج في موضعين عن كونه علم الفصلة ويبقى علماً للمضاف إليه فقط: أحدهما فيما أضيف إليه الاسم.

والثاني في المجرور المسند إليه نحو: مَرَّ بزيد.
والأصل فيهما أيضاً ذلك كما بيناه^(١).

ويبدو أن قول ابن مالك وما رجحه الرضي من أن الضمة دليل العمدة هو الأصل لقول إبراهيم مصطفى ومن تابعه إن الضمة دليل الإسناد. والذي أراه في معاني الإعراب ما يأتي:

١- إن الرفع دليل الإسناد أو العمدة وليس في العربية اسم مرفوع إلا وهو طرف في الإسناد أي عمدة.

٢- إن حق العمدة أن يرتفع ولكن قد يدخل على المسند أو المسند إليه ما يعدل حركته الأصلية إلى النصب أو إلى الجر كالنصب بالأحرف المشبهة بالفعل والجر بالحروف الزائدة.

٣- النصب علامة الفصلة.

٤- قد يدخل على قسم من الفضلات ما يعدل حركتها إلى الجر كقولهم: ما رأيت من أحد، ورب رجلٍ أكرمت.

(١) الرضي على الكافية ١ / ٢١ - ٢٢.

٥- الجر دليل الإضافة وأحياناً يكون علامة لإسناد غير مباشر أو
مفعولية غير مباشرة^(١).

دلالة العلامات على المعاني

الأصل أن تدل العلامات (الفتحة، الضمة، الكسرة، السكون مع بقية
العلامات الفرعية الأخرى) على معانٍ نحو ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْمُتَّقُونَ﴾ ويستثنى من ذلك مواطن منها:

١- علامات البناء: فعلامات البناء لا تدل على معانٍ نحو (أقبلت
هذه المرأة ورأيت هذه المرأة ومررت بهذه المرأة) فكسرة (هذه) ونحو ذلك
من علامات البناء لا تدل على معنى إذ هي لا تتغير بتغير موقعها في
الجملة. ونعني بذلك حركة البناء الأصلي، أما حركة البناء العارض فهي قد
تفيد معنى نحو (يا رجل) و (سقط الحجر من عل) و (لا رجل في الدار).
فقولك (يا رجل) بالضم يفيد أن الرجل نكرة مقصودة. و (لا رجل)
يفيد نفي الجنس تنصيماً، و (سقط من عل) يفيد تعيين العلو لأنه علو
مخصوص كما أوضحه النحاة في مظانه.

٢- اختلاف اللغات: فإن اختلاف اللغات في العبارة الواحدة لا يفيد
بالضرورة اختلاف المعاني وذلك نحو (ما محمد قائماً) و (ما محمد قائم)
فإننا لا نستطيع أن نقول أن معنى (ما محمد قائماً) في لغة الحجاز يختلف
عن معنى (ما محمد قائم) في لغة تميم. وإن نحو (ليس الطيب إلا المسك)
يأعمال (ليس) في لغة الحجاز يختلف عن (ليس الطيب إلا المسك) بإهمالها
في لغة تميم، وأن معنى (لعل أبي المغوار منك قريب) في لغة عقيل
يختلف عن (لعل أبا المغوار منك قريب) في لغة سائر العرب وهكذا.

٣- الإتياع والمجاورة: والإتياع قائم على الانسجام الموسيقي بين
الكلمات والحركات. وحركات الإتياع لا تدل على معنى نحو (وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا) بضم التاء إتياعاً لضم الجيم في ﴿أَسْجُدُوا﴾. ومنه قراءة

(١) انظر الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣٤٦.

(الحمد لله) بكسر الدال إبتاعاً لكسر اللام بعدها. ونحو (يا طلحة أقبل) بإتباع التاء للمفتوح قبلها^(١).

ومنه المجاورة نحو (هذا جحر ضبٌ خرب)^(٢) بجر (خرب) لمجاورة ما قبله ومنه قوله:

كأنما ضربت قدام أعينها قطناً بمستحصد الأوتار مخلوج
والوجه أن يقول (محلوجاً).

وقوله:

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب
بجر (غير) والوجه أن يقول (سنة وجه غير مقرفة) بنصب (غير).

وقوله:

كان أباناً في عرانيين وبله كبير أناس في بجاد مزمل
ونحوه ليس بالقليل^(٣).

وقد يكون الإبتاع في الكلمات كقولهم (الغدايا والعشايا) والغدوة لا تجمع على (الغدايا) ولكنهم لما جاءت مع (العشايا) أتبعوها.

ومنه قول العرب لمن قدم من سفر (أؤية وطوية) والأصل (طية) لكن قالوه بالوار لمحاذاة أؤية.

ومن ذلك قولهم (هنأني ومرأني) والأصل (أمرأني).

ويقولون (أخذني من ذلك ما قدم وحدث)، لا يضم (حدث) في شيء من الكلام إلا في هذا الموضع وذلك لمكان (قدم) على الازدواج^(٤).

(١) انظر الهمع ٢٠/١، شرح السيراني بهامش الكتاب ٢٦/١.

(٢) انظر الكتاب ٢١٧/١.

(٣) انظر معاني القرآن ٧٤/٢، المعنى ٢/ ٦٨٢ - ٦٨٤.

(٤) انظر المزهر ٣٤٠/١ وما بعدها، المعنى ٦٨٤/٢.

بل ربما جيء بكلمات ليس لها معنى إتباعاً لما قبلها كقولهم (حسن بسن) و (جائع نائع) وعطشان نظشان و حار بار ونحوه.

٤- حركة النقل كقراءة من قرأ (قد افلح) بفتح الدال و (ألم تعلم ان) بفتح الميم^(١) وذلك بنقلهما من الهمزة بعدهما. ومنه قول الشاعر:

عجبت والدهر كثير عجبته من عنزني سبني لم أضربته
بنقل حركة الهاء في (اضربه) إلى الباء الساكنة قبلها^(٢).

٥- حركة الحكاية وذلك كقولهم (من زيداً؟) لمن قال: رأيت زيداً. و (من زيدا) لمن قال (مررت بزيد) يحكون الكلمة كما نطقت. جاء في (الكتاب): «اعلم أن أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجل: رأيت زيداً (من زيداً؟) وإذا قال: مررت بزيد قالوا (من زيدا؟) وإذا قال: هذا زيد قالوا (من زيدا؟)».

وأما بنو تميم فيرفعون على كل حال وهو أقيس القولين.

فأما أهل الحجاز فإنهم حملوا قولهم على أنهم حكوا ما تكلم به المسؤول كما قال بعض العرب (دعنا من تمرتان) على الحكاية لقوله (ما عنده تمرتان).

وسمعت أعرابياً مرة وسأله رجل فقال: أليس قرشياً؟ فقال: (ليس بقرشياً) حكاية لقوله^(٣).

ومن ذلك قولهم (بدأت بالحمد لله رب العالمين) وقول الشاعر:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعمار
فقد حكى (أحق الخيل بالركض المعمار) و (الحمد لله) ولا يجوز إلا ذلك^(٤).

(١) الهمع ٢٠/١.

(٢) انظر الكشاف ٤٢٠/١.

(٣) الكتاب ٤٠٣/١ وانظر المساعد ٣٢/١، الهمع ٢٠/١.

(٤) المقضب ٩/٤ - ١١، الكتاب ٦٥/٢.

ومن ذلك أن تسمي أحداً بشيء قد عمل بعضه في بعض نحو تأبط
شراً وبرق نحره، كل ذلك يحكى ولا دلالة لعلاماته وإن كان الأصل في
نسم مما يحكى أن يجري على سنن التعبير في العربية.

٦- حركة التخلص من الساكنين نحو ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) وقوله
﴿إِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾.

٧- حركة الخفة نحو (لم يعد) ونحو قوله ﴿مَنْ يَرْتَدَّ يَنْكُرْ عَنْ وَجْهِهِ
سَوَافٍ إِنَّ اللَّهَ يَتَوَبُّ﴾.

٨- حركة المناسبة نحو (غلامي) و (إن أبي يدعوك)^(٢).

٩- حذف الحركة لسبب إعرابي وذلك كقراءة أبي عمرو ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ﴾ و ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ﴾^(٣) ونحو ﴿مَالِكٌ لَا تَأْمَنُ﴾ بحذف ضمة
المضارع^(٤).

وكثير من هذا الحذف سببه التخفيف^(٥).

١٠- الضرورة: وذلك أن لغة الشعر لغة خاصة وأنه يجوز للشاعر ما
لا يجوز لغيره وذلك نحو قوله (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم) بكسر الميم من
(تكلم) ونحو قوله (يوم الصليفاء لم يوفون بالجار) ونحو:

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسا وإبنا نزار فأنتم بيضة البلد
وغير ذلك من المواطن.

وكل ذلك ليس له علاقة بدلالات الإعراب.

(١) المساعد ٣٢٢/١، الهمع ٢٠/١.

(٢) انظر الهمع ٢٠/١.

(٣) الخصائص ٣٤٠/٢.

(٤) انظر معاني القرآن ٣٨/٢.

(٥) انظر معاني القرآن ٢/ ١٢-١٣، الهمع ٢٢/١.

أغراض الإعراب:

الإعراب سمة من سمات العربية ومزية من مزاياها، وله فوائد وأغراض حرمت منها اللغات المبنية.

قد تقول: إن الإعراب مدعاة إلى التعقيد في تعلم اللغة واستعمالها وإن اللغة المبنية أيسر تعلماً واستعمالاً، فإن عليك في اللغة المعربة أن تتعلم ثلاثة استعمالات لكل كلمة معربة ترفعها مرة وتنصبها مرة وتجرها مرة أخرى، فكلية (محمد) مثلاً عليك أن تتعلم كيف تنطقها في كل جملة فمرة تقولها بالرفع نحو (حضر محمد) ومرة تقولها بالنصب نحو (أكرمت محمداً) ومرة تقولها بالجر نحو (سلمت على محمد).

وكذلك الأمر في الفعل المضارع فإن عليك أن تعرف متى تستعمله مرفوعاً أو منصوباً أو مجزوماً في حين لا تتطلب اللغات المبنية شيئاً من ذلك بل تنطق الكلمة بحالة واحدة في جميع الأحوال فتقول مثلاً:

حضر خالدَ Khalid came

رأيت خالداً I saw Khalid

ذهبت مع خالدِ I went with Khalid

فلا يتطلب ذلك شيئاً من التغيير.

وكذلك الأمر في الفعل فتقول:

أنا أذهبُ I go

أريد أن أذهبَ I want to go

أنا لم أذهبَ I didn't go

في حين عليك أن تقول الفعل المضارع في ثلاث حالات: أنا أذهبُ (بالرفع) وأريد أن أذهبَ (بالنصب) وأنا لم أذهبَ (بالجزم) فأتضح أن البناء أسهل وأيسر تعلماً واستعمالاً. ونحن نقول أيضاً أن البناء أسهل وأيسر تعلماً واستعمالاً ولكن هل السهولة مزية دائماً؟ لو كان عندك جهازان: غسالتان

مثلاً أو جهازاً تسجيلياً تلفازياً (فيديو) أو حاسبتان أو نحو ذلك أحدهما أعقد من الآخر وأصعب فإن كان في هذا التعقيد والصعوبة مزايا وفوائد كبيرة لا يؤديها الجهاز الآخر كان هذا التعقيد مزية له، وإن لم يكن في هذا التعقيد نفع أو فائدة توازي صعوبته كان هذا التعقيد عيباً لا مزية، فليست السهولة هي المقياس وإنما المقياس الفائدة.

واللغة إنما وجدت للتعبير عن المعاني، فما كان أكثر دقة في التعبير عن المعاني وأكثر اتساعاً وشمولاً في الدلالة عليها كان أمثل وأحسن. ولا شك أن الإعراب في العربية يؤدي ما لا تؤديه اللغات المبنية من دقة في المعاني واتساع فيها، فهو مزية لها على ما فيه من بعض صعوبة.

إن اللغة العربية تبدو وكأنها جهاز متطور جداً وإن اللغات الأخرى بالنسبة إليها كأنها جهاز قديم متخلف، وإن فيها مزايا وخصائص لا ترقى إليها بل لا تقرب منها اللغات المبنية، ولأضرب مثلاً يوضح ذلك.

أنت تقول في العربية في النفي مثلاً:

أنا ما أذهب، وأنا لا أذهب، وأنا إن أذهب، وأنا لست أذهب.
يقابلها في الإنكليزية تعبير واحد I don't go مع أن لكل تعبير معنى خاصاً به لا يؤديه الآخر.

وتقول: (لا طالب غائب) و (لا طالب غائباً) و (ما طالب غائباً) و (ما من طالب غائباً) و (ما طالب بغائب) و (إن طالب غائباً) و (إن من طالب غائباً) وغير ذلك، وكل تعبير له معنى. في حين تقول كل ذلك في الإنكليزية بعبارة واحدة هي: No student is absent

وغير ذلك كثير كثير.

فالإعراب مزية للغة القرآن.

إن من أهم أغراض الإعراب:

١- التعبير عن المعاني المختلفة: فإن قسماً من العبارات - كما ذكرنا - لا تفهم إلا بالإعراب، وإن أي تغيير فيه يلحقه تغيير في المعنى

وذلك نحو قولك (بعت طعامك بعضه مكيلاً وبعضه موزوناً) «إذا أردت أن الكيل والوزن وقعا في حال البيع فإن رفعت فإلى هذا المعنى ولم يكن متعلقاً بالبيع فقلت: بعت طعامك بعضه مكيل وبعضه موزون أي بعت وهو موجود كذا وكذا فيكون الوزن والكيل قد لحقاه قبل البيع وليساً بصفة للبيع. وتفهم هذا بأن الرجل إذا قال: بعتك هذا الطعام مكيلاً وهذا الثوب مقصوراً فعليه أن يسلمه إليه مكيلاً ومقصوراً. وإذا قال بعتك وهو مكيل فإنما باعه شيئاً موصوفاً بالكيل ولم يتضمنه البيع»^(١).

ونحو قولك (هذا غلاماً أحسن منه رجلاً) يريدون بيانه في شخص واحد أي هذا عندما كان غلاماً أحسن منه عندما صار رجلاً. فإن قلت (هذا رجل أحسن منه غلاماً) كنت قصدت شخصين^(٢) أي هذا رجل وهناك غلام أحسن منه.

وهو نظير قولك (هذا بسرأ أطيب منه رطباً) فأنت فضلت التمر في حالة كونه بسرأ عليه حالة كونه رطباً، فإن قلت (هذا بسرأ أطيب منه رطب) كان المعنى أن هذا البسر هناك رطب أطيب منه. ولذا يصح أن تقول (هذا رطب أطيب منه عنب) ولا يصح (هذا رطباً أطيب منه عنباً) لأنك في الأولى فضلت عنباً على تمر وأما في الثانية فقد جعلت التمر حالة من حالات العنب أي هذا عندما يكون رطباً أطيب منه عندما يكون عنباً ولا يصح هذا.

ونحو (كيف أنت ومحمد) و (كيف أنت ومحمداً) ففي العطف بالرفع يكون السؤال عن كل واحد منهما أي كيف أنت وكيف محمد، وبالنصب يكون السؤال عن العلاقة بينهما قالوا: «ومن ذلك جاء الشتاء والحطب ولم يرد أن الحطب جاء وإنما أراد الحاجة إليه فإن أراد مجيئهما قال: والحطب»^(٣).

(١) الأصول ٢ / ٤٩ - ٥٠.

(٢) الصاحبي ١٩١.

(٣) الصاحبي ١٩١.

ونحو ذلك قولك (كم رجلاً عندك قال الحق) و (كم رجلٍ عندك قال الحق) و (كم رجلٌ عندك قال الحق) ففي حالة نصب ما بعد (كم) تكون (كم) استفهامية والسؤال عن عدد الرجال الذين قالوا الحق عنده. وفي حالة جره تكون (كم) خبرية ويراد بها التكثير وليس الاستفهام والمعنى أن رجلاً كثيرين قالوا الحق عنده.

وفي حالة الرفع يكون المعنى: كم مرة رجل عندك قال الحق، ويكون السؤال عن عدد المرات التي قال فيها الحق رجلٌ عنده. فالسؤال عن رجل واحد كم مرة قال الحق.

ونحو قولهم (سل أيهم قام) و (سل أيهم قام) ففي رفع (أي) تكون (أي) استفهامية ويكون المعنى سل الناس أيهم قام. وفي النصب تكون (أي) اسماً موصولاً والمعنى سل القائم.

ونحو (طعن الغلام جانب الرجل الأيسر) فإذا قلت (الأيسر) بالرفع كان وصفاً للغلام وإذا قلتها بالنصب كان وصفاً للجانب، وإذا قلتها بالجر كان وصفاً للرجل.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ [القمر: ٥٢] برفع (كل) والمعنى أن كل شيء فعلوه مثبت في الزبر أي مدون فيها.

فـ (فعلوه) صفة لـ (شيء) والخبر (في الزبر) ولا يصح النصب لأن المعنى سيكون أنهم فعلوا كل شيء في الزبر وهو لا يصح لأنهم لم يفعلوا شيئاً فيها.

جاء في (معاني القرآن): «وأما قوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ فلا يكون إلا رفعاً لأن المعنى والله أعلم: كل فعلهم في الزبر مكتوب فهو مرفوع بفي و (فعلوه) صلة لشيء. ولو كانت (في) صلة لـ (فعلوه) في مثل هذا من الكلام جاز رفع (كل) ونصبها كما تقول: (وكل رجل ضربه في الدار). فإن أردت ضربوا كل رجل في الدار رفعت ونصبت. وإن أردت: وكل من ضربه هو في الدار رفعت»^(١). ونحوه قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

(١) معاني القرآن ٢/ ٩٥-٩٦.

تَحَصَّنَهُ فِي إِمَامٍ تُبِينُ ﴿ [يس: ١٢] بِنَصَبِ (كل). والرفع ضعيف لأن
 المعنى: أحصينا كل شيء في إمام مبين وهو اللوح المحفوظ. ولو رفع
 لاحتمل معنيين: المعنى الذي ذكرناه، والآخر أن كل شيء أحصيناه إنما هو
 مثبت في إمام مبين فتكون (أحصيناه) صفة لـ (شيء) و (في إمام) خبراً.

وعلى هذا تكون الأشياء على قسمين: قسم مُحَصَّنٌ فهو مثبت في
 اللوح وقسم غير مُحَصَّنٌ فهو غير مثبت وهذا لا يصح.

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]
 بنصب (كل) والرفع ضعيف لأن المعنى على النصب أنا خلقنا كل شيء
 بقدر، وعلى الرفع يحتمل هذا المعنى ويحتمل أن تكون (خلقناه) صفة
 لـ (شيء) والخبر (بقدر) فتكون الأشياء على قسمين: قسم خلقه الله فيكون
 بقدر وقسم خلقه غيره فلا يكون بقدر، تعالى الله عن الشريك.

ونحو ذلك كثير.

ومثله إعراب الفعل المضارع فإن الفعل المضارع قد تتوارد عليه
 المعاني المختلفة فلا يبين المعنى المراد إلا بالإعراب وذلك كالنفي والنهي
 نحو (لا يضرب محمدٌ خالداً) فإنك إذا رفعت (يضرب) كنت نافياً وإذا
 جزمت كنت ناهياً.

ونحو (أعطني فأمدحك) فإن رفعت (أمدحك) كان المعنى أعطني فأنا
 أمدحك والفاء استئنافية أي أنا قائم بمدحك فأعطني، وإن قلتها بالنصب كان
 المعنى أعطني لأمدحك والفاء سببية والمعنى أن المدح غير حاصل.

ونحو (لم تؤذ فيرهيك) فإن قلتها بالجزم كان المعنى لم تؤذ فلم
 يرهيك فأنت نافية للرهبة والفاء عاطفة. وإن قلتها بالنصب كان المعنى أن
 ليس ثمة داع لرهيتك فأنت لم تؤذ أي أنت لم تؤذ فلماذا يرهيك؟ وبالرفع
 معناه أنت لم تؤذ وهو يرهيك مع ذلك. فهو نفي للإيذاء وإثبات للرهبة.
 ونحوه المثال النحوي المشهور (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) فَإِنَّ نَصَبَ
 (تشرب) دليل على النهي عن المصاحبة، وجزمه دليل على أنه نهى عن أكل
 السمك وشرب اللبن على كل حال اجتماعاً أو افتراقاً.

ورفعه دليل على إباحة شرب اللبن ونبيه عن أكل السمك.
ونحوه كثير.

٢- السعة في التعبير: إن الإعراب يعطي المتكلم سعة في التعبير وحرية في الكلام فيقدم ويؤخر من دون لبس إذ يبقى الكلام مفهوماً، وذلك لأن المفردة تحمل معها ما يدل على وظيفتها اللغوية، وهذا ما حرمت منه اللغات المبنية فهي تتبع طريقة حفظ المراتب لأن أي تغيير في موقع الكلمة يلبس المعنى فلا يمكن في اللغة المبنية تقديم المفعول به وتأخير الفاعل مثلاً، بل لا بد للمتكلم أن يسير على طريقة واحدة في التعبير. وهذا يتضح في العربية فيما لا يتبين فيه إعراب. وليست ثمة قرينة تدل على المعنى الذي تقصد فلا بد أن تسير على ترتيب معين لا تحيد عنه وذلك نحو (ضرب موسى عيسى) فلا بد أن تقدم الفاعل على المفعول وإلا التبس الكلام.

جاء في (شرح السيرافي على الكتاب) في قوله (ضرب زيداً عبدالله) «إنما قدموا المفعول هنا على الفاعل لدلالة الإعراب عليه فلم يضر من جهة المعنى تقديمه واكتسبوا بتقديمه ضرباً من التوسع في الكلام لأن في كلامهم الشعر المقفى والكلام المسجع، وربما اتفق أن يكون السجع في الفاعل فيؤخرونه. فإذا وقع في الكلام ما لا يتبين فيه الإعراب في فاعل ولا مفعول قدم الفاعل لا غير كقولهم (ضرب عيسى موسى) فعيسى هو الفاعل لا غير. وإن كان الإعراب في أحدهما جاز التقديم والتأخير كقولهم ضرب زيداً عيسى وضرب عيسى زيداً»^(١).

وجاء في (شرح ابن يعيش): «والإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها، ألا ترى أنك لو قلت: ضرب زيد عمرو بالسكون من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول. ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق

(١) شرح السيرافي ١٤/١.

المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب.
 ألا ترى أنك تقول: ضرب زيدٌ عمرًا وأكرم أخاك أبوك فيعلم الفاعل
 يرفعه والمفعول ينصبه سواء تقدم أو تأخر.

فإن قيل: فأنت تقول: ضرب هذا هذا وأكرم عيسى موسى، وتقتصر
 في البيان على المرتبة، قيل: هذا شيء قادت إليه الضرورة لتعذر ظهور
 الإعراب فيهما. ولو ظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما أو وجدت قرينة
 معنوية أو لفظية جاز الاتساع بالتقديم والتأخير نحو ضرب عيسى زيد^(١).

واليك مثلاً يوضح كيف يعطي الإعراب السعة في الكلام، ففي قولك
 مثلاً (ظن خالدٌ محمداً مسافراً) نستطيع أن نجعلها بصور متعددة كلها
 واضحة المعنى وذلك نحو قولنا:

ظن خالدٌ محمداً مسافراً	مسافراً محمداً ظن خالدٌ
خالدٌ ظن محمداً مسافراً	ظن محمداً مسافراً خالدٌ
محمداً ظن خالدٌ مسافراً	ظن محمداً خالدٌ مسافراً
مسافراً ظن خالدٌ محمداً	ظن مسافراً خالدٌ محمداً
محمداً مسافراً ظن خالدٌ	مسافراً ظن محمداً خالدٌ

فهذه عشر صور لتعبير واحد والمعنى واضح فيها جميعها فكليهما الظان
 فيها خالد وقد عرفنا ذلك من الضمة التي يحملها الاسم فهو الفاعل فيها
 كلها.

يقابلها في الإنكليزية:

Khalid thought that Mohamed was travelling.

ولا نستطيع أن نغير موضع أية كلمة منها وإلا تغير المعنى.
 ونحو قولنا (أطعم محمدٌ خالدًا خبزاً) فإننا نستطيع أن نجعلها بصور

(١) شرح ابن يعيش ٧٢/١.

متعددة كلها واضحة المعنى وذلك نحو:

أطعم محمد خبزاً	أطعم محمد خالداً
محمد أطعم خبزاً	أطعم محمد خالداً
خالداً أطعم محمد خبزاً	أطعم محمد خالداً
خبزاً أطعم محمد خالداً	أطعم محمد خالداً
خالداً خبزاً أطعم محمد	أطعم محمد خالداً
خبزاً خالداً أطعم محمد	أطعم محمد خالداً
خالداً خبزاً محمد أطعم	أطعم محمد خالداً
خبزاً خالداً محمد أطعم	أطعم محمد خالداً

فهذه ست عشرة صورة لجملة يقابلها تعبير واحد في الإنكليزية هو:

.Mohamed fed Khalid bread

فقد أعطى الإعراب حرية في التعبير وسعة لا تمتلكها اللغات المبنية.

٣- الدقة في المعنى: وللإعراب غرض آخر هو الدقة في المعنى مما لا تستطيع اللغات المبنية على التعبير بمثله وذلك نحو: (لا رجل حاضراً) و (لا رجل حاضراً) فإن الأولى نص في نفي الجنس. والثانية تحتمل نفي الجنس والوحدة، هذا إضافة إلى أن الأولى أكد من الثانية، قال تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] بنصب أصغر وأكبر وقال في سورة سبأ ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] برفعهما ولكل منهما دلالة ويدل على ذلك الإعراب ولا يمكن أن يؤدي مثل هذا المعنى في اللغات المبنية.

ونحو (هو في الدار مقرىء) و (هو في الدار مقرئاً) فإن الأولى لا تقتضي وجوده في الدار ولا أنه مقرىء في وقت الإخبار، ولكن إذا أراد أن يُقرىء فإنه يقرىء في الدار. أما الثانية فإنها تقتضي وجوده في الدار وأنه يقوم بالإقراء فيها وقت الإخبار.

ونحو (محمد مشياً) و (محمد مشي) فإن الأولى تعبير حقيقي ومعناه أنه يمشي مشياً كثيراً متصلاً ببعضه ببعض وأن الثانية تعبير مجازي والمعنى أن محمداً تحول إلى مشي.

ونحو (إن محمداً منطلق وخالداً) و (إن محمداً منطلق وخالداً) فإن (خالداً) في الجملة الأولى مؤكدة بخلاف الثانية.

ونحو (صبراً جميلاً) و (صبراً جميلاً) فإن الجملة الأولى أمر بالصبر الدائم الطويل والثانية أمر بالصبر غير الدائم لأن الأولى جملة اسمية والثانية فعلية ونحوه قوله تعالى: ﴿إِذْ كَتَبْنَا عَلَيْكَ النَّبَأَ قَالَ سَلِّمْ﴾ [الذاريات: ٢٥] فهو رد التحية بخير منها.

ونحو ﴿وَالَّذِينَ يَمْتَدِينُ إِذَا عَاهَدُوا وَالْقَدِيرِينَ فِي الْأَسَاءِ وَالْقَرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فمطف بالنصب على الرفع لغرض التعظيم.

ونحو (مررت بمحمد الشجاع) بالاتباع و (مررت بمحمد الشجاع) بقطع الصفة، والجملة الأولى تقال لمن علم أنه متصف بالصفة ولمن لم يعلم، وأما الثانية فلا تقال إلا لمن علم اتصاف الموصوف بالصفة.

ونعود إلى صور الجملة الواحدة ودلالاتها لنرى كيف تختلف كل صورة عن الأخرى مع أن المعنى العام فيها واحد وهي قولنا (أطعم محمد خالداً خبزاً) فإن كل صور هذه الجملة المختلفة تفيد أن محمداً أطعم خالداً خبزاً ولكن ثمة اختلاف جزئي بين معنى كل تعبير وآخر.

واليك إيضاح ذلك بصورة موجزة:

١- أطعم محمد خالداً خبزاً - هذا تعبير ابتدائي يقال والمخاطب خالي الذهن وكل جزئياته مجهولة للمخاطب فكأنه جواب لمن قال: ماذا حدث؟

٢- محمد أطعم خالداً خبزاً - يقال هذا التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن شخصاً ما أطعم خالداً خبزاً ولكن لا يعلمه أو كان يظن أنه غير محمد فيصحح له هذا الوهم، فكأنه جواب عن سؤال: من أطعم خالداً خبزاً؟

٣- خالداً أطمع محمدَ خبزاً - يقال التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن محمداً أطمع شخصاً ما خبزاً ولكنه لا يعلم هذا الشخص الذي أطمعه محمد، أو كان يظن أنه غير خالد فيقال له هذا التعبير. فكأنه جواب عن سؤال:

من أطمع محمدَ خبزاً؟ أو بتعبير آخر: من الذي أطمعه محمد خبزاً؟

٤- خبزاً أطمع محمدَ خالداً - يقال هذا التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن محمداً أطمع خالداً شيئاً ما ولكنه لا يعلم هذا الشيء أو كان يظنه لهماً مثلاً فيصحح له هذا الوهم فكأنه جواب عن سؤال: ماذا أطمع محمد خالداً؟

٥- خالداً خبزاً أطمع محمدَ - يقال هذا التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن محمداً أطمع شخصاً ما شيئاً ما ولكنه يجهل الشخص وما أطمعه فيقال له هذا التعبير لإيضاح ما يجهله وكان هذا التعبير جواب عن سؤال من أطمع محمد؟ وماذا أطمعه؟

أو بتعبير آخر: من الذي أطمعه محمد وماذا أطمعه؟

٦- محمدَ خالداً أطمع خبزاً - يقال هذا التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن شخصاً ما أطمع آخر خبزاً ولكن لا يعلم المُطعم ولا المُطعم فكأنه جواب عن سؤال: من أطمع خبزاً ومن المُطعم؟

٧- محمدَ خبزاً أطمع خالداً - يقال هذا التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن شخصاً أطمع خالداً شيئاً ما ولكن لا يعلم المُطعم ولا ماذا أطمع، فكأنه جواب عن سؤال: من أطمع خالداً؟ وماذا أطمعه؟

٨- محمد خالداً خبزاً أطمع - يقال هذا التعبير إذا كان المخاطب يعلم أن شخصاً ما أطمع شخصاً آخر شيئاً ما ولكنه لا يعلم المُطعم ولا المُطعم ولا ماذا أطمعه، فكأنه جواب عن سؤال: من المُطعم ومن المُطعم وماذا أطمعه؟

٩- أطمع خالداً خبزاً محمد - هنا تُدم المفعولان على الفاعل

لأهميتهما، ذلك أن محمداً من شأنه أن يُطعم فلا غرابة في الإخبار عن ذلك ولكن الغريب أن يطعم خالداً خبزاً، فالغرابة في الشخص الذي أضعمه محمد وفي الشيء الذي أطعمه إياه. فإن محمداً لا يطعم خالداً من جهة ولا يُطعم خبزاً من جهة أخرى ولكن في هذه المرة أطعم خالداً وأطعمه خبزاً فقدم هذين الشيئين لأهميتهما.

١٠- أطعم خبزاً محمداً خالداً - يقال هذا التعبير إذا كان من شأن محمد أن يطعم خالداً ولكن الاهتمام وقع على ذكر الخبز لأن من شأن محمد ألا يطعم خالداً خبزاً فإن خالداً ليست به حاجة إلى الخبز ولكن هذه المرة أطعمه خبزاً.

وهكذا تترتب الأهمية في الإخبار بحسب التقديم والتأخير.





القرينة

الكلام على ضريين:

ضرب لا يحتاج إلى قرينة وهو ما وافقت دلالة الظاهرة دلاكة الباطنة من غير إيهام أو احتمال آخر في المعنى وذلك نحو ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ونحو ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ وَإِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه مَا زِدْنِي عِشْقًا لِلدَّهْرِ إِنَّ أَرْضَكَ وَرَأْسَكَ فِي صَلَاتِي لَمُبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وضرب لا يتضح مقصوده إلا بقرينة كقولك (رأيت أسداً) بمعنى الشجاع أو (رأيت عيناً) بمعنى الجاسوس أو (هذا بحر) أي جواد.

فإنه لا يتضح هذه المعاني إلا بالقرينة التي تصرفه عن معناه الحقيقي أو تصرفه إلى أحد المعاني المشتركة.

والمقصود بالقرينة الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه^(١)، وقبل هي أمر يشير إلى المطلوب^(٢).

وهي عنصر مهم لفهم الجملة فيها نعرف الحقيقة من المجاز ونعرف المقصود للألفاظ المشتركة ونعرف الذكر والحذف وخروج الكلام عن ظاهره وما إلى ذلك مما يحتمل أكثر من دلالة في التعبير.

(١) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي -

١٣٣٨/٥

(٢) التعريفات ١٥٢.

وقد قسمها علماؤنا إلى حالة ومقابلة أو لفظية ومعنوية^(١).

ويمكن تقسيمها إلى ما هو أكثر تفصيلاً وإن كان في الإمكان ردها إلى الحال والمقال. وأوثر تقسيمها على ما يأتي:

١- القرينة اللفظية: وهي اللفظ الذي يدل على المعنى المقصود ولولاه لم يتضح المعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَقَالُتْ أَتَيْكَ أَكْبَرُ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: ٩١] فقوله (من قبل) وضع أن المقصود بقوله (تقتلون) هو الزمن الماضي وليس الحال أو الاستقبال. ونحو قوله تعالى: ﴿نَبِيذُ إِلَهِكُمْ وَإِلَهُهُمُ آبَاءُكُمْ لَمَّا خَسَفَ وَنَحْوَهُمْ وَإِلَهُهُمُ آبَاءُكُمْ لَمَّا خَسَفَ﴾ [البقرة: ١٢٣] فقوله: ﴿إِلَهُكُمْ وَنَحْوَهُمْ﴾ بين أن إلهه وإله آباءه هو واحد وليس اثنين.

ونحو قولك (ما مثل أبيك ولا أخيك يقولان ذلك) و(ما مثل أبيك ولا أخيك يقول ذلك) فقولك (يقولان) في الجملة الأولى يدل على أن في الكلام حذفاً وأن الأصل (ما مثل أبيك ولا مثل أخيك يقولان ذلك) بدليل تنية الخبر، فهما شخصان. وإن قولك في الثانية (يقول) يدل على أنه ليس في الجملة حذف بدليل أفراد الخبر (يقول) فهو شخص واحد.

ونحو قوله تعالى: ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] فالضمير (هو) يعود إلى العدل، والمعنى (العدل أقرب للتقوى) والذي وضع الضمير هو تقدم مادته في الاشتقاق وهو قوله: ﴿أَعْدِلُوا﴾^(٢).

ونحو قولك (ضربت موسى سلمى) فالتاء عينت الفاعل ولولاها لكان موسى هو الضارب. ولذا إذا لم تكن قرينة تعين المقصود وجب حفظ المراتب نحو (أعطيت زيدا أخاك) و (أكرم عيسى موسى) و (ضرب من في الدار من على السطح).

وكذلك الأمر في تعيين المحذوف فقد يتعين بقرينة لفظية نحو قولك (خالداً) جواباً لمن قال: من أكرمت؟ فإن المعنى: أكرمت خالداً. ونحو

(١) موسوعة اصطلاحات العلوم ١٢٢٨/٥، الرضي ١٢٩/١.

(٢) انظر حاشية الخضري ٥٤/١.

قولك (محمد) جواباً لمن قال: من حضر؟ والتقدير حضر محمد.

ونحو قولك (أعط الذي رثتي وصلتك) أي أعط الذي وصلك بدليل ما بعده^(١).

٢- القرينة العقلية: وهي التي تنتزع من المنطق العقلي نحو (أكل الكمشري موسى) و (أرضعت الصغرى الكبرى) فإن العقل عين الأكل في الجملة الأولى والمرضعة في الجملة الثانية، ونحو قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ أَيْبٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] وقولهم (بنو فلان يطؤهم الطريق) وقوله (إذا ما نام ليل الهوجل) فإنه لا يصح الإسناد إلى المذكور عقلاً.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] فإن العجل لا يشرب في القلوب وإن المعنى وأشربوا حب عبادة العجل.

ونحو قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مَا بَيْنَنَا كُلَّهَا فَنَكَذِبُ وَأِنَّ﴾ [طه: ٥٦] ولا شك أن الله لم يُر فرعون كل آياته وإنما أراه الآيات التي آتاه موسى.

وقوله: ﴿بَلْ نَعْمَكُمُ كَكِبْرُكُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] ومعلوم عقلاً أنه لا يصح أن يحطم الصنم الكبير الأصنام الصغار فهو يريد بذلك تبكيتهم ونحو ذلك.

٣- القرينة المعنوية: وهي التي يحكم بدلالاتها المعنى وصحة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] أي سفينة صالحة ولولا هذا التقدير لم يصح المعنى فإن عيبها لا يخرجها عن كونها سفينة.

ونحو قوله تعالى على لسان بني إسرائيل لموسى حينما أمرهم بذبح البقرة ﴿قَالُوا أَتَمَنَّا بِإِلَهِكَ﴾ [البقرة: ٧١] أي الحق الواضح وإلا فإنه قد جاءهم بالحق ابتداءً. ونحوه قوله تعالى: ﴿أَتَرِبَ بِمَمَّاكَ أَلْحَبَّرُ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نِحْيًا﴾ [البقرة: ٦٠] أي فضرِب فانفجرت فإن

(١) انظر حاشية الخفزي ٧٦/١، ٦٢/١.

المعنى ينتضي ذلك وهو أن يكون الانفجار بعد الضرب، ونحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ رَئِيصًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] والمعنى (فأفطر) وإلا فليس عليه قضاء.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] فإنه لا يصح عطف (بالوالدين) على قوله (لا تشركوا به شيئاً) لأن المعنى لا يصح فلا بد من تقدير ما يقتضيه المعنى نحو (وأحسنوا بالوالدين) أو (أوصيكم بالوالدين) وما إلى ذلك.

ونحو قوله: ﴿وَمُسْكِنًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَجِدَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] فإنه لا يصح عطف (لأحل) على قوله (لما بين يدي) فإنه لا يصح أن تقول (ومصدقاً لأحل) بل لا بد من تقدير ما يقتضيه المعنى نحو (وجتكم لأحل) وما إلى ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آتَىٰ﴾ [الإسراء: ٢٣] فما فوق هذا القول من الضرب والشم هو أولى بالنهي. ولا يصح الوقوف عند ظاهر النص. ونحو ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ يَشْكَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] [الزلزلة: ٧] ولا شك أن ما فوق المثقال داخل في الرزية. وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَتَطَكَّرْ يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ وَيُسْهِمُهُ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَدِينَاوْ لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. فلا شك أنك إذا اتمنت الأول بما دون القنطار أذاه إليك وإذا اتمنت الثاني بما فوق الدينار لا يؤذيه إليك فإن ذلك من باب أولى وهو ما يقتضيه المعنى.

ويمكن إدخال نحو هذا في القرينة العقلية أيضاً من وجه آخر. جاء في (المستصفي من علم الأصول): «النص ضربان:

ضرب هو نص بلفظه ومنظومه.

وضرب هو نص بفحواه ومفهومه نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آتَىٰ﴾ [٧] «وَلَا تَقُلُوا لِمَا لَا يَنْبَغُ لَكُمْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» [٧] «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَدِينَاوْ لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ» فقد اتفق أهل اللغة على أن فهم ما فوق التأفيف من الضرب والشم وما وراء الفتيل والذرة من المقدار

الكثير أسبق إلى الفهم من نفس الذرة والفيل والتأيف،^(١).

٤- القرينة الحالية: وذلك كما إذا رأيت شخصاً في يده خشيبة قاصداً لضرب شخص آخر فنقول: زيدا^(٢) أي اضرب زيدا. وكقولك لمن قدم من حج (حجاً مبروراً) أي حججت. ولمن نوى الإقامة: إقامة طيبة، ولمن قدم من سفر: خير مقدم. ونحو ذلك.

٥- السياق والمقام: والسياق غير المقام ولكنهما قد يتداخلان.

فالسباق هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض.

وأما المقام فهو الحالة التي يقال فيها الكلام وذلك كأن يكون المقام مقام حزن وبكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك. فقد يتكلم متكلم بكلام فيقال: هذا الكلام لا يناسب المقام وذلك لأنه قد جاء بكلام يدل على الفراق والحزن في مقام سرور وفرح، أو جاء بكلام فيه مرح وفرح في مقام حزن وبكاء، أو جاء بمناسبة افتتاح دار جديدة بما يدل على الخراب فيقول مثلاً:

لدا للسموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب
أو يقول:

يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك
ونحو هذا مما يناسب المقام. وقد أخذ على البيهقي أنه ابتداء قصيدة مدح أشدها أمام الممدوح بقوله (لك الويل من ليل تقاصر آخره).

فمراعاة المقام في غاية الأهمية، فإنك لو جئت بأعلى الكلام وأبلغه فيما لا يناسب المقام عيب عليك. وقد حضرت مرة مجلس عزاء فجاء معز فانتح تعزيتة بقوله تعالى: ﴿رَسُلٌ كَلِمَةٌ حَبِيشَةٌ كَنَجْرَةٍ حَبِيشَةٌ لَبَعَثَتْ مِنْ قَوْقِ

(١) المستصفى من علم الأصول ج ١/٣٣٥.

(٢) الرضي على الكافية ١/١٢٩.

الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٦٦﴾ [إبراهيم: ٢٦] فامتعض الحاضرون جميعاً. وذكر لي مرة عن رئيس ناد رياضي أتاه الله بسطة في الجسم دون العقل أنه رحب بأعضائه نادٍ آخر كانوا في زيارة له فكان مما قال: (اللهم اجعله هبة مشوراً) فقبل له في ذلك. فقال: يا أخي إنها آية قرآنية.

وكذلك لو تكلم متكلم في مجلس بكلام دون ما يقتضيه المقام أو أعلى من مستوى الحاضرين فيقال في نحو هذا كله: إن هذا الكلام لا يناسب المقام ولا يقال: لا يناسب السياق.

وهما - أي السياق والمقام - من القرانين المهمة في فهم الكلام والدلالة على معناه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ فهذا لا يتضح معناه إلا من السياق الذي ورد فيه. فإن ظاهر العبارة الشكر والثناء وحقيقتها التحقير والاستهزاء قال تعالى: ﴿حُدُوهُ فَاعْتَبِرْهُ إِنَّ سَوَاءَ لَلْبَاحِثِ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا قَوْلَ رَأْيِدٍ مِنْ عَنَابِ الْحَبِيرِ ﴿١٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾ [الدخان: ٤٧-٤٩].

ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] فإنه لا يفهم القصد من هذه العبارة إلا في سياقها الذي وردت فيه. فإن ظاهرها مدح وثناء وحقيقتها استهزاء قال تعالى: ﴿قَالُوا يَسْتَعِيبُ سَأْتُونَكَ نَأْمُرُكَ أَنْ تَتَّكِرَ مَا يَعْبُدُ آبَاءَنَا أَوْ أَنْ تَتَّعَلَ فِي آمْرِنَا مَا فَتَنَّا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِغُونَ﴾ فإن ظاهره المدح ولكن السياق الذي وردت فيه العبارة يدل على أن المتكلمين لا يريدون بها المدح بل الذم ذلك أن هذا القول هو قول الكفار في لوط وآله عندما نهاهم عن فعل الفاحشة قالوا ﴿وَمَا كُنَّا جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِغُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

ونحو قول الشاعر (وإن مالك كانت كرام المعادن) فإن هذا التعبير ظاهره الذم لأن (إن) تحتمل أن تكون نافية وأن تكون مخففة من الشقيلة، والفصل بينهما وقوع اللام الفارقة مع المخففة نحو قوله تعالى: ﴿وَأِنْ نَطَّقَكَ

لَيْنَ الْكٰذِبِيْنَ ﴿ فَإِن لَّمْ تَكُنْ مَعَهَا اللّٰمُ فَهِيَ النَّافِيَةُ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن
 أَدْرَيْتَ أَقْرَبُ أَمْ يَبِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴾ وهي في قول الشاعر ليس معها اللام
 فيترجح أن تكون نافية إلا أن السياق الذي وردت فيه العبارة أوضح المعنى
 ودل على أنها مخففة من الثقيلة. قال الشاعر:

ونحن أباة الضيم من آل مالك وإن مالك كانت كرام المعادن
 فقد مدح نفسه وقومه بقوله (ونحن أباة الضيم) فدل على أنه مادح
 مفتخر لا ذام.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْتِيهِ لِيَكُلِ وَجِبُوَ فِيهَا الشُّدُسُ ﴾ [النساء: ١١]
 فلا مرجع للضمير في (أبويه) إلا أن السياق يدل عليه وهو (الميت) وذلك
 بقرينة توزع الإراث^(١) قال تعالى: ﴿يُؤَيِّبُكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ
 الْأُنثَىٰ إِنَّ كُنَّ نِسَاءً لَّوَكَّ تَوَكَّقْ أَلْفَتَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا
 النِّصْفُ وَلَا يُؤْتِيهِ لِيَكُلِ وَجِبُوَ فِيهَا الشُّدُسُ وَمَا تَرَكَ ﴾ [النساء: ١١].

فالسباق من أهم القرائن الدالة على المعنى. جاء في (البرهان): «دلالة
 السباق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد،
 ونخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة
 على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾﴾ كيف
 تجد سياقه يدل على أنه الدليل الحتمية^(٢).

وكذلك قرينة المقام فإنها تدل على المعنى سواء تبينت من السياق أو
 لا كقولك للرجل «تسجهله يا عاقل، وللمرأة تستقبها يا قمر»^(٣).

فالمقام يوضح أن هذا من باب الذم لا من باب المدح، ونحوه أن تقول
 ساخراً وذاماً (أنت أشعر من المتشبي وهو أجود من حاتم وأنت أنحى من

(١) انظر حاشية الخضري ٥٤/١.

(٢) البرهان ٢/ ٢٠٠-٢٠١.

(٣) فقه اللغة العربية ٤٩٨.

سيبويه) فحقيقة المعنى مخالفة لظاهر اللفظ، والذي يبين ذلك المقام الذي تنال فيه العبارة. ولذا قد تكون العبارة الواحدة مدحاً وذماً بحسب المقام نحو قولهم (لا أبا لك) فإنها يمكن أن تكون مدحاً وتكون ذماً بحسب المقام.

٦- النغمة الصوتية: والنغمة الصوتية من القرائن الظاهرة التي تدل على المعنى فيها يتضح الخبر من الاستفهام والمدح من الذم وما إلى ذلك، فقولك (هو شاعر) يمكن أن يكون خبراً ويمكن أن يكون استفهاماً بحسب النغمة الصوتية، ويمكن أن يكون مدحاً وأن يكون ذماً، فإن فحمت الصوت بـ (شاعر) ومددته كنت مادحاً وتستغني بذلك عن قولك هو شاعر مجيد، وإن كسرت صوتك ورقفته كنت ذاماً ساخراً. فالعبارة الواحدة يختلف مدلولها بحسب النغمة الصوتية كما هو ظاهر.

٧- القرينة العلمية: ونقصد بالعلم الشروري الذي يعلمه المخاطب فقد يكون الكلام يحتمل أكثر من معنى وترجح أحدها قرينة العلم الشروري وذلك نحو قول الشاعر:

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقبيا
فإن (لا) العاملة عمل ليس تحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة أما في هذا البيت فلا تحتمل نفي الوحدة وإنما هي نص نفي الجنس استناداً إلى علم المخاطب بأن ما ورد في البيت لنفي الجنس على سبيل الاستغراق.

وقد يكون ظاهر الكلام يدل على معنى ولكنه في الحقيقة غير ذلك استناداً إلى هذا العلم وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ أَسْمَأًا مِّنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٠] فظاهره النهي عن أكله إذا كان أضعافاً مضاعفة فإن لم يكن كذلك لم يتوجه النهي إليه. والحقيقة أن الربا منهى عنه في كل الأحوال سواء كان أضعافاً أم لم يكن وليس قوله ﴿أَسْمَأًا مِّنْكُمْ﴾ قيداً للنهي بل هذه صورة من صور الواقع في الجاهلية^(١).

(١) انظر البحر المحيط ٥٤/٣، روح المعاني ٥٥/٤.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا قَبَائِكُمْ عَلَى الْبَيْتِ إِذْ أُرِدْنَ تَحَصُّا﴾ [النور: ٣٣]
فظاهر ذلك مشروط بإرادتهن التحصن فإن لم يردن ذلك جاز إكراههن.

والحق أن ذلك لا يجوز سواء أردن التحصن أم لا، إلا أن هذه الآية
نزلت في حادثة معينة أراد فيها عبدالله بن أبي إكراه أمت على البقاء لتجلب
له النقود وهي تريد العفاف.

ومرد ذلك إلى العلم العام والحكم المعروف وهو حرمة الربا والزنى.

٨- الوقف والابتداء: وهما من القرائن التي تدل على معنى الكلام
وذلك أن معنى الكلام قد يتغير بحسب مواطن الوقف والابتداء وذلك نحو
قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾
[المائدة: ٢٦] فإنه إذا وقف على ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ كان المعنى أنها محرمة
عليهم أبداً وأن التيه أربعون وإذا وقف على (سنة) كان المعنى أنها محرمة
عليهم مدة أربعين سنة^(١).

ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ آلِ مِثْرَةَ اللَّهِ جَبِيماً﴾
[يونس: ٦٥] فإنه يجب الوقف على قوله: ﴿وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ ثم
يتبدى بقوله ﴿إِنَّ آلِ مِثْرَةَ اللَّهِ جَبِيماً﴾^(٢) لتلا يفهم أن هذا من قولهم.

ونحو قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أُنشَأَ وَمِنَ أَيْتَمَكُمَا
الْفَلِيلُونَ﴾ [الفصص: ٣٥] فإن وقفت على (إليكما) كان المعنى أنهم لا
يصلون إليهما. وأن الغلبة بآيات الله. وإن وقفت على (بأيائنا) كان المعنى
أنهم لا يصلون إليهما بآيات الله وأنهم الغالبون على وجه العموم لا
بالآيات. والأول أولى لأن الغلبة كانت بالآيات^(٣).

٩- قرينة الفهم العام لأهل اللغة: وذلك أن العبارة قد لا يفهم
المقصود بها لأن كلماتها وطريقة تأليفها لا تنبئ عن معناها ولا تدل على

(١) انظر البرهان ١/٣٤٥.

(٢) انظر البرهان ١/٣٤٥.

(٣) انظر البرهان ١/٣٤٥-٣٤٦.

مقصودها وإنما يفهم المقصود منها أهل اللغة المتكلمون بها وذلك نحو قولهم (للبيدين وللنقم) أي كبه الله، وقولهم: (فأهاً لفيك) أي قم الداهية وهو بمعنى: دهاك الله^(١).

ونحو قولهم (يا شيء مالك) و (يا شيء مالي) ومعناه: يا عجبني لك ويا لهفي ويا حسرتي ويا أسفي ونحو ذلك^(٢).

ومنه قول العرب (أصبحت باردة) و (أمسدت دافئة) من غير ذكر لمرجع الضمير لأن معناها معروف. جاء في (معاني القرآن) في قوله تعالى: ﴿وَالْقَارِ إِذَا جَاءَهَا ﴿٣﴾﴾ «جلى الظلمة، فجاز الكتابة عن الظلمة ولم تُذكر لأن معناها معروف. ألا ترى أنك تقول: أصبحت باردة وأمسدت دافئة وهبت شمالاً فكنتي عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر لأن معناها معروف»^(٣).

١٠- القرينة الحسية: وذلك كالإشارة بنحو الإصبع في اسم الإشارة^(٤) وكزبي النقم وتقطيب الوجه وما إلى ذلك فتقول (كلم هذا هذا) و (ضربت هذه هذه) مشيراً بيدك إلى كل واحد منهما فتكون القرينة حسية لمعرفة الضارب من المضروب والمكلم من المكلم. وقد تقول أن هذا شبيه بقولنا (ضرب عيسى موسى) فإنه لا يبين فيهما الإعراب فكان المقدم منهما هو الفاعل. والحقيقة أن الأمر مختلف فإن عيسى وموسى مختلفان في اللفظ وأما (هذا وهذا) و (هذه وهذه) فهما لفظ واحد ولا يعلم المتقدم من المتأخر. فكل منهما هو (هذا) في العبارة الأولى و (هذه) في العبارة الثانية. والذي يميز بينهما في الفاعلية والمفعولية هو الإشارة الحسية إلى الفاعل وإلى المفعول.

ومن القرائن الحسية زبي النقم فتقول مثلاً (هو شاعر) وتزوي فمك وتقطب وجهك فيدل على أنه ليس بذلك.

إلى غير ذلك من القرائن.

(١) لسان العرب (نوه) ٤٢٤/١٧.

(٢) انظر لسان العرب (شيء) ١٠١/١.

(٣) معاني القرآن ٢٦٦/٣.

(٤) انظر حاشية الخضري ٦٢/١.



أمن اللبس

أمن اللبس من الأغراض المهمة التي راعتها العرب في كلامها. إذ الغرض الأول من التعبير الإفهام. واللبس عكس الإفهام إذ هو يؤدي إلى الإبهام وعدم الفهم ولذلك كان إزالة ما يؤدي إلى اللبس من أولى أغراض المتكلم.

وقد سلكت العربية السبل التي يأمن فيها المخاطب اللبس ما أمكن ذلك سواء كان في المفردات أم في الجمل. فمن مظاهر أمن اللبس في المفردات:

١- تغيير الحركات في أبنية الكلم للدلالة على اختلاف المعاني وذلك نحو قَدَمٌ وقَدَمٌ وقَدِيمٌ، فَقَدَمَ القَوْمَ بفتح الدال تقدّمهم. وقديم المدينة بكسرها إذا آب وأتى. وقَدَمُ البناء بضمها صار قديماً.

عَرَفٌ وعَرُفٌ وعَرِيفٌ. فمعنى عَرَفَ بفتح الراء علم، ومعنى عَرُفَ الرجل بضمها أكثر من الطيب، وعَرِيفَ بكسرها إذا ترك الطيب^(١).

ونحو حَظِيرٌ وحَظْرٌ، فحَظِيرٌ بكسر الذال صيغة مبالغة وفتحها مصدر، ونحوها فِرْحٌ وفَرَحٌ وقَلْبٌ وقَلْبٌ، فالأولى صفة والثانية مصدر وهكذا.

ونحو (البِرِّ) بكسر الباء وفتحها وضمها، فالبِرُّ بكسر الباء فعل الخير، وفتحها اليابسة وهي ما يقابل البحر أو صفة بمعنى الباز، وضمها الحنطة.

(١) انظر اللسان (هرف).

ونحو (الطوال) بكسر الطاء وفتحها وضمها فوي بالكسر جمع طويل
ويضمها الرجل الطويل البالغ في الطول ويفتحها الطول. وغير ذلك.

٢- التغيير في حروف العلة للدلالة على اختلاف المعاني نحو قال
وماك وعصا وحلي وحلا. فـ (قال) الذي مضارعه (يقول) من القول، والذي
مضارعه (يقيل) من القيلولة. و (مال) الذي مضارعه (يميل) من الميل،
والذي مضارعه (يمول) من المال. يقال: مال الرجل يمول إذا كثر ماله.

(وعصى يعصي) من العصيان، و (عصا يعصو) إذا ضرب بالعصا.

ويقال (حلا الطعام في فمي) و (حلي الشيء بعيني)^(١).

ونحو (الخَيْل) و (الخَوْل) فالخَيْل بمعنى القوة والخَوْل التحول وما
إلى ذلك.

٣- تصحيح ما يوجب الإعلال: وذلك نحو حال وحوّل وحوار وحوّور
وصاد وصيّد ونحوهما. فكل من حوّل وحووّر وصيّد مصحح مع موجب
الإعلال لئلا يلتبس معناه بما حصل فيه الإعلال.

فمعنى (حال بين اثنين) حجز و (حوّلت عينه) من الخَوْل و (حوار)
رجع و (حووّر) من الخَووّر في العين، و (صاد الصيد أخذه) و (صيّد) إذا
رفع رأسه كبيراً أو هو الذي لا يلتفت يميناً ولا شمالاً.

ونحوه (الخَوْل) و (الخال) فالخَوْل العبيد والإماء وأتباع الرجل،
والخال أخو الأم، والخَوْل مصحح مع موجب الإعلال.

ونحو (الجَوْل) و (الجَيْل) فـ (الجَوْل) التحول ومنه قوله تعالى: ﴿لَا
يَسْتَوُونَ عَنَّا جَوْلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] و (الجَيْل) جمع حيلة وكلاهما من
الواو، والذي اقتضى إعلال (جَيْل) من الناحية الصوتية موجود في (الجَوْل)
فكلاهما أصله (جَوْل) إلا أنه قلبت في الجَيْل دون الجَوْل دفناً للبس.

ومثله (قيام) و (قوام) و (لواذ) و (لياذ) فقيام أصله (قوام) وقد أعلن

(١) انظر القاموس المحيط (المحل).

لأنه أعلن فعله وهو (قام). وأما (قوام) فلم يعلن لأن فعله مصحح وهو (قارم) فهما في الأصل بلفظ واحد وقد أعلن أحدهما وصحح الآخر منعاً للبس. ونحوه لواذ ولياذ وما أشبههما.

٤- فك الإدغام فيما يوجب الإدغام وذلك نحو ضبب وضبّ ولحح ولخ وألل وآل فالذي اقتضى الإدغام في ضبّ ولخ وآل موجود في ضبب ولحح وألل غير أن العرب لم تدغمها دفعاً للبس.

فـ (ضبب البلد) كثرت ضبابه و (ضبّ) سال، و (لححت عينه) التصقت من وجع و (لخت القرابة بين فلان وفلان) إذا صارت لختاً، و (ألل السماء) إذا تغيرت رائحته و (آل) أسن أو صفا لونه.

ونحوه كثير.

٥- المخالفة بين جموع المفردة الواحدة لاختلاف المعنى وذلك كالأخوال والخيّلان فالأخوال جمع (الخال) الذي هو أخو الأم، والخيّلان جمع (الخال) الذي هو الشامة.

وكالثود والأساود، فالثود جمع (الأسود) الذي هو الصفة، والأساود جمع (الأسود) الذي هو الحية.

وكالثورة والثيرة، فالثورة جمع (الثور) الذي هو القطعة العظيمة من الأنط ولا يقال (ثيرة)، والثيرة للثور الذي هو ذكر البقرة.

ونحوه كثير.

وغير ذلك من مظاهر أمن اللبس في المفردات.

ومن مظاهر أمن اللبس في الجمل ما يأتي:

١- الإعراب: وهو من أهم ما يؤدي إلى الإفهام ويزيل اللبس فإنك بالإعراب تعرف مواقع الكلام ومعانيه كما سبق إيضاحه، فبه تعرف الفاعل من المفعول والخير والحال والنعمة والظرف وغيرها. فتعلم من رفع (محمد) في قولنا (أكرم خالدأ محمد) أنه هو الذي أكرم خالدأ، وتعلم من

رفع (أي) في قولنا (سل أيهم قام) أنها استفهامية وأنها في قولنا (سل أيهم قام) بنصبها موصولة وأن معنى النصب سل القائم ومعنى الرفع سل عن القائم من هو؟

وه تمييز بين كم الخبرية والاستفهامية - مثلاً - فجر التمييز بعدها يدل على أنها خبرية ونصبه يدل على أنها استفهامية وذلك نحو (كم رجل أكرمت) و (كم رجلاً أكرمت). وما إلى ذلك من مواطن الإبانة في الإعراب. فإن لم يستبن الإعراب وجب اتباع طريقة واحدة في التعبير وذلك نحو (ضرب موسى مصطفى) فيجب تقديم الفاعل وتأخير المفعول أمناً للليس، ونحو (كان أخي رفيقي) فتقدم اسمها وتؤخر خبرها فإذا كان اللبس مأموناً كان لك أن تقدم أو تؤخر مثل (أكل الكمشى موسى) و (أرضعت الصغرى الكبرى).

٢- حركات غير إعرابية تبين المقصود وذلك ككسر كاف الخطاب وفتحها نحو أكرمتك وأكرمتك، فالفتحة للمذكر والكسرة للمؤنث، وكحركة ضمائر الرفع المتصلة نحو أكرمت وأكرمت وأكرمت، فالضم للمتكلم والفتح للمذكر المخاطب والكسر للمخاطبة.

ومنه على سبيل المثال فتح لام المستغاث وكسر لام المستغاث له نحو يا لزيد لعمرو، فإن فتح اللام يدل على أنه مستغاث وإن كسرهما يدل على أنه مستغاث له، فلو قلت (يا لعمرو) بفتح اللام كنت مستغاثاً به، ولو قلت (يا لعمرو) بكسر اللام كنت مستغاثاً له أي تطلب من يعينه ومنه قوله:

يا لأناس أبوا إلا مشابرة . على التوغل في بغى وعدوان
فدل كسر اللام الداخلة على (أناس) أنه مستغاث لهم لا مستغاث بهم
ولو فتحها لكان مستغاثاً به^(١).

ومنه حركات الفعل الثلاثي المعتل العين المبني للمجهول إذا أسند إلى

(١) انظر شرح شواهد العيني على الأشموني ١٦٧/٣.

ضمير متكلم أو مخاطب أو ضمير غائب متحرك فإن كان مكسور الغاء في بنائه للمعلوم ضمت عند بنائه للمجهول وإذا كان مضموم الغاء في بنائه للمعلوم كسرت عند بنائه للمجهول أمناً لليس وذلك نحو قاد وباع. تقول (قَدت) بضم القاف في المبني للمعلوم و (قَدت) بكسرهما في البناء للمجهول. وتقول (بعت) بكسر الباء في المبني للمعلوم و (بعت) بضمها في المبني للمجهول أمناً لليس. وما إلى ذلك.

٣. البناء والإعراب في الكلمة الواحدة: فقد تكون الكلمة ذات دلالة على معنى معين في حال بنائها وذات دلالة أخرى في حال إعرابها وذلك نحو قولك (لا مصلي في الجامع) و (لا مصلياً في الجامع) فمعنى الجملة الأولى نفي وجود أي مصلٍ سواء كان مصلياً في الجامع أم في غيره، ومعنى الثانية نفي وجود مصلٍ يصلي في الجامع وقد يكون فيه من صلى في غيره. ونحوه (لا بائع في الدار) و (لا بائعاً في الدار) فمعنى الجملة الأولى نفي وجود بائع على الإطلاق سواء كان يبيع في الدار أم في غيرها، ومعنى الجملة الثانية نفي وجود بائع يبيع في الدار وقد يكون من يبيع في السوق أو في غيره.

ومن ذلك قولنا (سقط من عل) و (سقط من عل) فالجملة الأولى تنفيذ تعيين العلو وأنه سقط من علو معلوم والثانية لا تنفيذ تعيين العلو بل معناها أنه سقط من مكان عال. ونحو ذلك الظروف المعرفة بالقصد نحو (خرج من تحت) و (من تحت) فالجملة الأولى تنفيذ تعيين المكان الذي خرج منه، وأما الجملة الثانية فلا تنفيذ تعيين المكان الذي خرج منه وإنما المعنى أنه خرج من مكان ما من تحت.

ومنه المنادى المبني والمعرب نحو (يا رجلُ يا رجلاً) فالأولى تنفيذ تعيين المنادى وأنه معرفة والثانية تنفيذ أنه نكرة غير مقصودة.

ونحوه (أقبلت حذام وحذام أخرى) فالأولى معرفة والثانية نكرة.

ونحوه (لا رجل ولا رجل) فالأولى نص في نفي الجنس والثانية تحتل نفي الجنس والوحدة كما هو معلوم.

٤- التنوين: وهو من سبل منع اللبس في تعبيرات متعددة نبه نعين العلم من غيره في طائفة من الأسماء الممنوعة من الصرف نحو (راجحة) فإن كان منوناً كان وصفاً وإن كان غير منون كان علماً.

وبه يتعين أصل الاشتقاق في طائفة من المفردات وذلك نحو (حسان) و (رِيان) و (أولق) فالتنوين يفيد أن حساناً من الحسن وعدمه يفيد أنه من الحسن وهو القتل أو الإحساس. ويفيد التنوين في (رِيان) أنه من الرين وعدمه يفيد أنه من الري، ويفيد التنوين في (أولق) أنه من (ألِق) وعدمه يفيد أنه من (ولق) ونحو ذلك.

وقد يدل التنوين وعدمه على التنكير والتعريف في طائفة من الأسماء وذلك نحو زيتب علماً وأحمد علماً و (سَحْر) وغيرها من الأسماء الممنوعة من الصرف فالمنون نكرة بخلاف غير المنون. ويدل كذلك على التنكير والتعريف في الأسماء المبنية نحو سيويه وصه.

إلى غير ذلك من الأغراض التي يفيدها التنوين.

٥- الذكر والحذف: قد يكون ذكر لفظة يؤدي ما لا يؤديه حذفها من المعنى ولولا ذكرها لالتبس معنى بمعنى آخر وذلك كاللام الفارقة مع إنَّ المخففة من الثبيلة فلولاها لالتبس المخففة بالنافية نحو (إنَّ محمدَ حاضرٌ) و (إنَّ محمدَ لحاضر) فذكر اللام عيّن أن (إنَّ) مخففة من الثبيلة والمعنى إنَّ محمداً حاضر، وحذفها يفيد أن (إنَّ) نافية والمعنى ما محمد حاضرأ. فلولا اللام لالتبس المخففة بالنافية ولا يصح الحذف إلا عند أمن اللبس.

ومن ذلك ذكر اللام في جواب القسم إذا كان فعلاً مضارعاً مثبتاً وذلك نحو (والله لأذهبُ إليه الآن) فإن حذفها يفيد أن الجواب منفي، فلو قلت (والله أذهبُ إليه) كان المعنى: والله لا أذهبُ إليه. ولولا اللام لالتبس النفي بالإثبات.

ومن ذلك إبراز الضمير إذا جرى الخبر على غير من هو له نحو (محمد أخوه ضاربه) و (محمد أخوه ضاربه هو) فذكر الضمير (هو) عين أن الضارب محمد وحذفه يفيد أن الضارب الأخ ولولا لالتبس المعنيان.

ومن ذلك قولك (خرجت هي نفسها) لتوكيد الضمير المستتر في (خرجت) ولا بد من ذكر الضمير المنفصل ولولاه لالتبس المعنى. فإنك لو قلت (خرجت نفسها) لكان المعنى أنها ماتت فذكر الضمير أزال اللبس.

ومنه ذكر (من) فيما احتمل الحال والتمييز للتخصيص على التمييز نحو (حسبك به رجلاً والله دره شاعراً وكفى به ناصراً) فإن هذه المنصوبات تحتل الحال والتمييز فإن ذكرت (من) فقلت: حسبك به من رجل والله دره من شاعر وكفى به من ناصر تعين إرادة التمييز^(١).

ومن ذلك عدم حذف ألف الاثنين عند توكيد الفعل بالنون بخلاف المسند إلى واو الجماعة وياء المخاطبة فتقول (لتصهران) فلا تحذف ألف الاثنين على الرغم من التقاء الساكنين، وذلك لأن حذفها يؤدي إلى الالتباس بالمفرد، ولا يزيل كسر النون الالتباس في تعبيرات كثيرة فلو قلت (لتصرن) لالتبس المثنى بالمفرد، وإن كسرة النون قد تكون إشارة إلى ياء المتكلم المحذوفة، وأما حذف واو الجماعة وياء المخاطبة فلا يؤدي إلى اللبس إذا قلت (لتصرن) أو (لتصرن) كان المعنى واضحاً فلذلك حذف كل من الواو والياء ولم تحذف الألف.

قالوا ومن ذلك أنه امتنع حذف حرف النداء من المستغاث به لئلا يلتبس لأمه بلام الابتداء في المقصور والمبني وفي حالة الوقف^(٢). فلو قلت (للفتى لمحمد) و (لهذا لخالد) أو (لزيد) في حالة الوقف لالتبس المستغاث بالمبتدأ فذكر (يا) أزال الالتباس.

ومنه المجيء بنون الوقاية لإزالة اللبس بين فعل الأمر المسند إلى ياء المخاطبة والمتصل بياء المتكلم في نحو (أكرمي وأكرمني)، وبين فعل الأمر والماضي في نحو (تعاورني وتعاورني) والاسم والفعل في نحو (حجرتني وحجرتني) وما إلى ذلك^(٣).

(١) انظر الأشباه والنظائر ٣٠٢/١.

(٢) الأشباه والنظائر ٣٠٢/١.

(٣) انظر معاني النحو ٧٣/١ وما بعدها.

ولذلك قالوا لا يجوز نزع الخافض إذا أدى إلى اللبس نحو (أرغب أن أزورك) فلا يعلم المعنى أهو أرغب في أن أزورك أو عن أن أزورك.

٦- الفك والإدغام في نحو (لا يضارُ كاتب) فهذا يحتمل أن يكون الفعل مبنياً للمعلوم وللمجهول، فإذا أردت التمييز فككت الإدغام فقلت (لا يضارُز) أو (لا يضارِز).

ومن ذلك أن تقول في التعجب ما أحسنا وفي النفي ما أحسنا وفي الاستفهام ما أحسنا؟ فلا تدغم في التعجب ولا في الاستفهام لئلا يلبس أحدهما بالآخر والنفي بهما^(١).

٧- التزام طريقة واحدة في التعبير إذا لم يؤمن اللبس، وذلك نحو تقديم الفاعل على المفعول أو تقديم اسم كان على خبرها إذا لم يؤمن اللبس نحو (أكرم عيسى مصطفى) و (كان أخي رفيقي في السلاح).

وكتقديم المبتدأ على الخبر وجوباً إذا كانا معرفتين أو نكرتين ولم تكن هناك قرينة تميز أحدهما من الآخر نحو (زيد أخوك) و (أفضل منك أفضل من عمرو) فإن أمن اللبس جاز التقديم والتأخير نحو (أبو حنيفة أبو يوسف) ونحو قول الشاعر:

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نعمل
فإن المراد تشبيه كلامنا بكلام النبيين وليس تشبيه كلام النبيين بكلامنا، والمراد في الأولى تشبيه أبي يوسف بأبي حنيفة وليس العكس. فكل من (أبو حنيفة) و (كلام النبيين) خير مقدم.

ومنه وجوب تقديم المفعول الأول على الثاني إذا لم يؤمن اللبس نحو: (أعطيت محمداً خالداً) و (ظننت خالداً محمداً) فلا يصح التقديم والتأخير لأن المعنى سيختلف.

ومنه عدم جواز تقديم الخبر إذا كان فعلاً رافعاً لضمير المبتدأ مستراً

(١) الأشباه والنظائر ٣٠٢/١.

ثلاثا يلتبس المبتدأ بالفاعل فلا يصح في قولنا (أخوك قام) أن تقول (قام أخوك) على جعل (أخوك) مبتدأ مؤخرأ و (قام) جملة الخبر.

ومنه عدم جواز التقديم والتأخير في القصر ثلاثا يلتبس المعنى، فلا تقول في (ما أحمد إلا شاعر) (ما شاعر إلا أحمد) ولا في (إنما ضرب عمرأ زيد) (إنما ضرب زيد عمرأ). ومنه وجوب إنابة المفعول الأول من المفعولين مناب الفاعل إذا لم يؤمن اللبس نحو: (أعطيت محمداً خالدأ) فتقول (أعطي محمداً خالدأ) ولا يصح أن تقول (أعطي محمداً خالد) لأن المعنى سيتغير فيكون محمد مأخوذاً بعد أن كان آخذأ. ومنه عدم التقديم والتأخير في الأحوال المتعددة إذا لم يؤمن اللبس نحو:

(رأيت محمداً مسرعاً مبطنأ) فالمسرع محمد والمبطن المتكلم ولا يصح أن تقول للمعنى نفسه (رأيت محمداً مبطنأ مسرعأ) بل لا بد أن يكون الحال القريب للقريب والبعيد للبعيد.

ومنه ترخيم ما يفرق بين مذكروه ومؤنثه بالتاء نحو (مسلمة) و (قائمة) فإنه لا يرخم إلا على لغة من ينتظر فتقول في (قائمة) (يا قائم) بفتح الميم وفي (مسلمة) (يا مسلم) بفتح الميم ولا يصح ترخيمه على لغة من لا ينتظر ثلاثا يلتبس بالمذكر فلا يقال فيهما: يا قائم ويا مسلم بالضم.

وغير ذلك مما يلزم طريقة واحدة في التعبير.

٨ القرائن التي توضح المعنى: فإن القرائن قد توضح المقصود فيؤمن معها اللبس وذلك نحو حذف خبر (لا) النافية للجنس وذكره، فإن كان المراد ظاهراً جاز حذفه وإلا وجب ذكره وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُتِحُوا قَلَّا قَوْتًا﴾ [سبا: ٥١].

فحذف الخبر لأن المعنى ظاهر أي فلا فوت لهم.

ونحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠] أي علينا ونحو (أنا أنصح العرب ولا فخر) فحذف الخبر في كل ذلك لوضوح المعنى.

أما إذا لم يفهم القصد فإنه يجب ذكره نحو قوله ﷺ: «لا أحد أغير

من الله وقول الشاعر: (ولا كريم من الوالدان مصبوح)^(١).

ومن ذلك أن تقول مثلاً (إن خالد ساجر يريد أن يجمع المال بسحره) فإن (إن) هنا مخففة كما هو ظاهر وليست نافية ولم يأت باللام الفارقة لأن المعنى واضح من السياق وهو قولك (يريد أن يجمع المال بسحره) فلم يأت باللام لأن اللبس مأمون.

ومنه مجيء (أو) بمعنى الواو عند أمن اللبس كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا بَيْنَهُمْ آيَةً أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] ذ (أو) هنا بمعنى الواو لأنه منهي عن إطاعتها جميعاً. ونحو قول الشاعر:

وكان سيان أن لا يسرحوا نعماً^٥ أو يسرحوه بها واغبرت السوح
فإن (سيان) بمعنى (مستويان) وهو بين الشين^(٢).

قال ابن مالك في مجيء (أو) بمعنى الواو:

وربما عاقبت الواو إذا لم يلف ذو النطق للبس منفاذا
إلى غير ذلك من سبل منع اللبس.

وقد تقول: ولكن اللبس قد يقع في المفردات والجمل ولم تسلك العربية سبباً لدفعه، فما وقع فيه اللبس في المفردات على سبيل المثال:

١- اسم الفاعل والمفعول من نحو اختار وانتقاد واحتل فيما يكونان بصيغة واحدة، فاسم الفاعل والمفعول من (اختار) مختار ومن (انتقاد) منقاد ومن (احتل) محتل لا فرق بينهما.

٢- اسم المفعول والمصدر الميمي واسما الزمان والمكان من غير الثلاثي فهي كلها تشترك في صيغة واحدة نحو منطلق ومستخرج.

٣- المفرد وجمع المذكر السالم المضافان إلى ياء المتكلم من

(١) ابن عقيل ١٤٧/١، حاشية الخضري ١٤٧/١.

(٢) الرضي على الكافية ٤١٠/٢.

المنقوص فهما يكونان بلفظ واحد نحو قاضٍ وقاضين وقاضون إذا أُضيفت إلى ياء المتكلم قيل فيها كلها (قاضي) ونحوه راميٌّ وراميٌّ.

٤- المفرد وجمع المذكر السالم من المنقوص المضاف في حالة الجر فهما يشتركان في لفظ واحد فكل من مُجرٍ ومُجرين إذا أُضيف قيل بلفظ واحد نحو مررت بمُجري الخيل وراميها فهذا يحتمل الإفراد والجمع.

٥- الأسماء غير الثلاثية قد تشترك في صيغة التصغير فكل من مُخرج ومُخرج ومُتخَرَج ومُستخَرَج يصغر على لفظ (مُخِرج) وكل من مُقتل ومقاتل ومقتل ومقاتل ومستتل يصغر على (مُقْتيل).

٦- النسب: قد تشترك في صيغة النسب الواحدة عدة أسماء منسوبة فكل من حيٍّ وحيّة وحياة وحيا يقال فيه (حيوي). وكل من رضا ورضٍ ورضيٍّ ورضية يقال فيه (رضوي).

٧- الجموع: قد تشترك في الجمع الواحد عدة ألفاظ فكل من مخرج ومُتخَرَج ومُستخَرَج بجمع على مخارج.

وقد يشترك المفرد والجمع بلفظ واحد كالفُلك وكالدُلاص والهجان والقُراء.

٨- الفعل المضارع المبني للمجهول من الثلاثي والرباعي قد يشتركان في لفظ واحد، فكل من يجري ويُجْرى إذا بني للمجهول قيل فيه (يُجْرى) وكل من ينام ويُنم إذا بني للمجهول قيل فيه (يُنم) وكل من يلوم ويُلم قيل فيه (يُلام).

وقد يشترك أكثر من فعل في لفظ واحد، فكل من يقول ويُقيل ويُقيل إذا بني للمجهول قيل فيه: يُقال.

٩- قد يشترك فعل الأمر والماضي المبني للمجهول في لفظ واحد نحو يبعأ وبيعوا وصدّ.

١٠- قد يشترك الفعل الماضي والأمر فيما أوله تاء زائدة في لفظ واحد نحو تقدما وتعلّموا.

وغير ذلك من الاشتراك في المفردات.

وكذلك قد يقع اللبس في الجمل، فقد تشترك الجمل في أكثر من معنى وليس هناك ما يزيل اللبس بينها، ومن ذلك على سبيل المثال:

١- اشتراك الحال والتمييز في تعبيرات كثيرة نحو لله دره فارساً وحجداً أخوك منطلقاً.

٢- اشتراك الحال والمفعول له في نحو: دعا ربه خوفاً وطمعاً.

٣- اشتراك الحال والنعت في نحو: ما رأيت رجلاً راكباً.

٤- اشتراك اسم الاستفهام والاسم الموصول في نحو: علمت من

قام.

٥- اشتراك اسم الاستفهام والاسم الموصول والحرف المصدر في

نحو: علمت ما فعلت.

٦- اشتراك عطف البيان والبدل في تعبيرات كثيرة نحو: أقبل أخوك

محمد.

٧- الاشتراك في إضافة المصدر إلى فاعله وإضافته إلى مفعوله في

نحو: (ساهني ضربك) و (أعجيني إطعامك) فقد يكون المخاطب ضارباً وقد يكون مضروباً وكذلك ما بعده.

٨- الاشتراك في الاختصاص والنداء في تعبيرات كثيرة نحو (عليّ أيها

الرجل يُعتمد)، فإذا كنت تعني نفسك ب (أيها الرجل) كان اختصاصاً.

وإذا كنت تخاطب به أحداً كان نداء.

٩- الاشتراك بين كم الاستفهامية والخبرية في تعبيرات متعددة نحو

(كم فتى مبعك) و (كم صحراء في بلاد المغرب).

١٠- الاشتراك في ترخيم عدة أسماء فكل من صادق وصادق وصادق وصادق

وصادم إذا رخم قيل فيه: يا صاد.

وغيره كثير، فما العلة في ذلك؟

والجواب من أوجه، منها:

١- إن كثيراً من اللبس يزول في الاستعمال ويتضح من السياق.

٢- إن المتكلم قد يريد الإبهام لغرض ما. ولو أراد الإبانة لاستعمل ما يزيل الإبهام وذلك كأن يستعمل (الذي) مكان (من)، أو أن يذكر (يا) مع المنادى فلا يبقى إبهام، واللغة لا تعدم وسيلة لأمن اللبس إذا أراد المتكلم ذلك.

٣- إن الاشتراك قد يكون له غرض وهو التوسع في المعنى فيكسب المتكلم به أكثر من معنى كما سنبين ذلك في موطنه.

٤- إن الاشتراك في المفردات والجمل هو من قبيل المشترك اللفظي الموجود في كل اللغات على ما نعلم والذي يميز بينها الاستعمال في الغالب.

٥- إن اللغة هي في الأصل خطاب وبالخطاب يزول كثير من اللبس، فبالتنظيم مثلاً أو بغيره من أحوال الخطاب يتضح المعنى ويزول اللبس الحاصل من الاشتراك في تعبيرات عديدة. فبالتنظيم مثلاً يزول اللبس بين كم الاستفهامية والخبرية فيما لا يميز بينهما بإعراب.

وبالخطاب يزول اللبس الحاصل بين النداء والاختصاص ويزول اللبس الحاصل في الترخيم لأنك تنادي شخصاً معيناً اسمه صادق أو صادق أو صادق أو صادق فإذا قلت (يا صادق) فلا لبس فيه.

إلى غير ذلك من الأمور التي تزيل اللبس الحاصل في المفردات والجمل.

إن التعبيرات في العربية على قسمين:

قسم واضح بين لا لبس فيه وقد وضعت اللغة الوسائل التي تزيل اللبس بكل سبيل عما تريد إيضاحه وتبينه بحيث يتضح التعبير اتضاحاً لا لبس فيه وهذا أكثر اللغة. وقسم تسامحت فيه اللغة وهو في جملة قليل سواء كان في المفردات أم في الجمل وهو مع ذلك قد يخدم غرضاً معنوياً

لا يؤديه الوضوح والتخصيص. وهذا القسم تحتاج إليه اللغة كما تحتاج إلى القسم الأول فكل منهما يراد في موطنه ولا يغني أحدهما عن الآخر وبهما معاً تتكامل اللغة.

فإنك قد تحتاج إلى نحو (ليت عينيه سواء) وما فيه من إيهام كما تحتاج إلى نحو: (أحل الله البيع وحرم الربا) وما فيه من وضوح. وسنبين طرفاً من ذلك في موضعه الذي هو أحرى به إن شاء الله تعالى.





الجمل ذات الدلالات المتعددة

في العربية جمل ذات دلالة واحدة وجمل ذات دلالات متعددة نظير المفردات فكما أن المفردات قد تكون ذات دلالة واحدة وقد تكون ذات دلالات متعددة وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي فكذلك الجمل. جاء في (أمالي ابن الشجري):

«إنه كما جاز في الألفاظ المفردة ما يتفق لفظه ويختلف معناه كذلك أن يكون في الألفاظ المركبة المفيدة ما يختلف معناه واللفظ واحد كقولهم في المفرد (العين) لعين الإنسان وكل ذي بصر، والعين الرجل المتجسس والعين سحابة تأتي من ناحية القبلة.. والعين الدنانير الناض والعين الميل في الميزان...»^(١).

وقد بينا ذلك في موضوع الدلالة القطعية والاحتمالية. ومن دواعي التعدد في دلالة الجملة:

١- تعدد دلالات المفردة: فقد تكون للمفردة أكثر من دلالة فتعددت دلالات الجملة تبعاً لذلك وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَتَّ لِيْلُنْ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا يَسْتَوْا فِي الْعَذَابِ الْهَبِينَ﴾ [سبأ: ١٤] فهذا التعبير يحتمل أكثر من دلالة تبعاً لمعنى الفعل (تبين) «فاحتمل أن يكون من (تبين) بمعنى (بان) أي ظهرت الجن، والجن فاعل وأن ما بعدها بدل من الجن كما تقول تبين زيد جهله أي ظهر جهل زيد فالمعنى ظهر للناس جهل الجن علم الغيب وأن ما ادعوه من ذلك ليس بصحيح.

(١) الأمالي الشجرية ٢٧٧/١.

واحتمل أن يكون من (تبيين) بمعنى علم وإدراك، والجن هنا خدم الجن وضعفتهم أن لو كانوا أي لو كان رؤسائهم وكبرائهم يعلمون بالغيب.

ويجيه (تبيين) بمعنى بان وظهر لازماً، وبمعنى علم متعدياً^(١).

وكالاختلاف في دلالة الواو أهى واو الحال أم الاستئناف أم العطف أم انقسم أم غيرها وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا﴾ [طه: ٧٢] فهذا يحتمل أن تكون الواو عاطفة عطفت (الذي فطرنا) على قوله (ما جاءنا) فيكون المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من الهدى وعلى الذي فطرنا. ويحتمل أن تكون الواو للقسمة فيكون المعنى: والله الذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات^(٢).

وكقولهم (أنت أعلم وعبدالله) فهذا يحتمل أن يكون المعنى أنت أعلم مع عبدالله ويحتمل أنت وعبدالله أعلم من غيركما^(٣).

٢- تعدد احتمالات مرجع الضمير وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصُدُّ الْكُفْرَ الْكَبِيرَ وَالْمَلُوءَ الصَّالِحِ بَرَقَمُ﴾ [فاطر: ١٠] فقوله: ﴿وَالْمَلُوءَ الصَّالِحِ بَرَقَمُ﴾ يحتمل أكثر من دلالة، فقد يحتمل المعنى أن يكون الله يرفع العمل الصالح، ويحتمل أن يكون المعنى أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب أو أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح^(٤).

ونحو قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨] فهذا يحتمل أكثر من دلالة فقد يحتمل أن يكون ضمير فاعل (يشاء) يعود على الله أي يضل من يشاء الله وإضلاله ويهدي من يشاء الله هدايته، ويحتمل أن يكون ضمير فاعل (يشاء) يعود على البشر المكلفين فيكون المعنى: يضل

(١) البحر المحيط ٢٦٧/٧.

(٢) انظر روح المعاني ٢٣٢/١٦.

(٣) انظر الكتاب ١٥١/١.

(٤) انظر البحر المحيط ٣٠٤/٧.

الله من يشاء الضلالة ويهدي من يشاء الهداية أي أن من أراد الضلالة يقيه الله على ضلته ومن أراد الهداية ييسر له الهداية وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَيُنِزِّلُ اللَّهُ الْقَلَمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

٣- تعدد احتمالات دلالات الصيغة: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ﴾ [هود: ٤٣] فهذا يحتمل إبقاء (عاصم) على حقيقته أي اسم فاعل فيكون المعنى: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله فإنه يعصمه فيكون الاستثناء منقطعاً، أو يكون: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الراحم، والراحم هو الله فيكون المعنى: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الله.

ويحتمل أن يكون المراد بـ (عاصم) اسم مفعول فيكون (عاصم) بمعنى (معصوم) فيكون المعنى: لا معصوم إلا من رحمه الله أي لا معصوم إلا المرحوم^(١).

٤- تعدد احتمالات المحذوف: فقد يكون في التعبير حذف يحتمل أكثر من تقدير فيكون لكل تقدير معنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فإن (بخوف) ينصب مفعولين وقد حذف أحدهما فيحتمل أن يكون المحذوف المفعول الأول أو الثاني، فعلى تقدير أن المحذوف هو المفعول الأول يكون المعنى: يخوفكم أوليائه، أي أن الشيطان يخوف المؤمنين من أوليائه. وعلى تقدير حذف المفعول الثاني يكون المعنى: إن الشيطان يخوف أوليائه شر الآخرين، أي أنه لا يتعدى تخوفه المناقين والكافرين ولا يصل إليكم تخوفه^(٢).

٥- احتمال الإنشاء أو الخبر: فقد يحتمل التعبير أن يكون إنشاء وأن يكون خبراً فتتعدد الدلالة تبعاً لذلك وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [الأنعام: ١٠٩] وذلك لأن (اجعل لي آية) يمكن أن تكون إنشاءً أو خبراً.

(١) انظر البحر المحيط ٢٧٧/٥.

(٢) انظر البحر المحيط ١٢٠/٢.

مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا آذَنُوا عَلَيْهِمْ أَنبَابٌ ﴿ [المائدة: ٢٣] فإن جملة ﴿أَنَّمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ تحتل الدعاء فتكون معترضة وتحتل الإخبار فتكون صفة ثانية، والصفة الأولى الجار والمجرور وهو قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾.

ونحو (هذا عبد بعته) فجملة (بعته) تحتل الخبر والإنشاء، فتكون صفة على الإخبار واستثنائية على الإنشاء^(١). ونحو (هذا صاحبي رزقه الله مالا وبين) فجملة (رزقه الله...) تحتل الدعاء وتحتل الإخبار.

٦- التنكير والتعريف: فقد يدل التنكير على الواحد أو الجنس ويدل التعريف بأل على العهد أو الجنس فيختلف المعنى تبعاً لذلك، وذلك نحو قوله: (أتاني رجل) فقد يدل هذا التعبير على أنه جاءه رجل واحد وقد يدل على أنه جاءه رجل لا امرأة، وقد يدل على أنه جاءه رجل كامل في نفاذه وقوته. وقد تأتي بما يعين إحدى هذه الدلالات فتقول (أتاني رجل لا رجلاً) أو تقول (أتاني رجل لا امرأة) أو (أتاني رجل لا نصف رجل) ونحو ذلك. جاء في (الكتاب): يقول الرجل (أتاني رجل) يريد واحداً في العدد لا اثنين فتقول (ما أتاك رجل) أي أتاك أكثر من ذلك.

ثم يقول (أتاني رجل لا امرأة) فتقول (ما أتاك رجل) أي امرأة أنتك. ويقول (أتاني اليوم رجل) أي في قوته ونفاذه فتقول (ما أتاك رجل) أي أتاك الضعفاء.

فإذا قال: (ما أتاك أحد) صار نقياً عاماً لهذا كله^(٢).

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التعريف فتقول (جاء الرجل) أي الرجل المعهود الذي أخبرتك عنه، وتقول (جاء الرجل) أي الكامل في الرجولة.

(١) انظر المغني ٢/ ٤٢٩-٤٣٠.

(٢) الكتاب ١/ ٢٧.

وتقول (أحب الكتاب) فقد تشير بذلك إلى كتاب معين أو إلى جنس الكتاب.

ونحو ذلك.

٧- وقد تشترك العبارة بين الإفادة وعدمها بحسب التقدير، وذلك نحو قولنا (الجلوس عندك) و (الخوف منك) فإن قدرت الظرف أو المجرور خيراً كان المعنى تاماً وإن قدرته متعلقاً بالمصدر لم يتم المعنى واحتاج إلى خبر كأن تقول (الجلوس عندك نافع) و (الخوف منك لا داعي له).

ونحو قولك (عليك زيد) فإن أردت النزول أي نزل عليك زيد لم يكن كلاماً وإن أردت الإمرة أي عليك أميراً زيد كان حسناً^(١).

ونحو قولك (ظننت أحمد بن سعيد) فإن قدرت (ابن سعيد) مفعولاً ثانياً كان كلاماً تاماً، وإن قدرته صفة لأحمد لم يكن كلاماً لأن المعنى لا يتم حتى تأتي بما يتمه كأن تقول: ظننت أحمد بن سعيد مسافراً.

ونحو قولك (ما كان مثلك أحداً) و (ما كان زيداً أحداً) فإن أردت الحقيقة كنت ناقصاً ولا يصح الكلام، وإن أردت ذلك على جهة تصغيره وتحفيره صح^(٢).

وما إلى ذلك مما يفضي إلى الاشتراك في الدلالة.



(١) انظر الكتاب ٢٧٧/١.

(٢) انظر الكتاب ٢٧/١.



الجمل ذات الدلالات المتضادة

وقد تكون جمل ذات دلالات متضادة نظير الأضداد في المفردات، فكما أن في المفردات كلمات ذات دلالات متضادة كالجون بمعنى الأبيض والأسود، والقرء بمعنى الطهر والحيض، كذلك هناك جمل ذات دلالات متضادة تدل على الشيء وضده، ومن ذلك على سبيل المثال:

١- الجمل التي فيها كلمات من الأضداد ولم يبين أحد المعنيين من الآخر وذلك نحو قولك (شريت قميصاً) فقد يحتمل أن يكون المعنى أنك اشتريت قميصاً ويحتمل أنك بعته، ونحو قوله تعالى: ﴿وَرَكَّانَ وَرَأَةً مِّمَّكَ يَأْخُذُ كُلٌّ سَيْفِيْنَةً عَضْبًا﴾ [الكهف: ٧٩] فقد قيل إن معنى (وراءهم) أمامهم وقيل خلفهم^(١).

٢- الجمل التي فيها ألفاظ مشتركة بين النفي وغيره وذلك نحو قولك (أنا أعلم ما لي من حق عندك) فهذا يحتمل أن تكون (ما) نافية أو موصولة أو استفهامية، فيكون معنى النفي أنا أعلم أن ليس لي حق عندك، ومعنى الموصولة أنا أعلم الحق الذي هو لي عندك. ففي الدلالة الأولى ليس له حق، وفي الثانية له حق.

ونحو (أعطيتك ما أعطيت غيرك) فهذا يحتمل أن تكون (ما) نافية وأن تكون اسماً موصولاً، فمعنى النفي أنه أعطاه ولم يعط غيره. ومعنى الموصولة أنه أعطاه مثل ما أعطاه لغيره.

(١) انظر البحر المحيط ١٥٤/٦.

ونحو (ما به داء وييل) فهذا يحتمل نفي الداء عنه ويحتمل إثباته فيكون المعنى أن الذي به هو داء وييل.

٣. ألفاظ تصرف إلى ظاهر لفظها في اللغة وقد تصرف إلى النفي وذلك نحو قلّ وقلّما وقليل نحو قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨] فهذا يحتمل ألا يكونوا آمنوا قليلاً ولا كثيراً ويحتمل أن يكونوا آمنوا إيماناً قليلاً فيصدقون بالشيء قليلاً ويكفرون بما سواه^(١).

ونحو (قلّما سرت حتى أدخلها) فهذا قد يفيد أنه سار سيراً واحداً وقد يفيد أنه لم يسر لا قليلاً ولا كثيراً^(٢).

ونحو قولك (أتاني غير عمرو) فهذا يحتمل أن عمراً لم يأته ويحتمل أنه أتاه وذلك أن قولك (أتاني غير عمرو) يفيد أن غير عمرو أتاه وأما عمرو فقد يكون أتاه وقد يكون لم يأت. جاء في (الكتاب): «ألا ترى أنه لو قال (أتاني غير عمرو) كان قد أخبر أنه لم يأت وإن كان يستقيم أن يكون قد أتاه»^(٣)...

وجاء في (شرح السيراني على الكتاب) في قوله (أتاني غير عمرو):

«لأن الذي يفهم به أن عمراً ما أتاك فخرج عمرو عن الإتيان كخروجه بالاستثناء. وقد يستقيم في حقيقة اللفظ أن يكون عمرو أتاه لأن قوله (أتاني غير عمرو).

ظاهر اللفظ أن غير عمرو أتاه وليس في إتيان غير عمرو نفي لإتيان عمرو كما لو قال (أتاني عدو زيد) لم يكن فيه دلالة على أن زيداً لم يأت»^(٤).

وجاء في (المقتضب): «ألا ترى أنك تقول: (ما جاءني غير زيد)

(١) معاني القرآن ٥٩/١.

(٢) انظر الكتاب ٤١٥/١.

(٣) الكتاب ٣٧٥/١.

(٤) شرح السيراني على الكتاب ٣٧٥/١.

وتريد: ما جاءني إلا زيد، وقد يجوز أن لا يكون زيد جاءك، ويكون الكلام مستوياً وذلك أنك إذا قلت ما جاءني غير زيد فإنما زعمت أن غيره لم يأتك. فجائز أن يكون أيضاً ما جاءك إلا أنك أمسكت عن الخبر فيه^(١).

٤- الجمل التي تؤدي إلى معنى وضده من غير تقدير من التقديرات المذكورة وذلك نحو قولك (إن عاد لما فعل فسأعاقبه) فهذا يحتمل إن فعله ويحتمل إن لم يفعل. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِن قَبْلِ أَن يَتَّخِذُوا﴾ [المجادلة: ٣].

قيل معنى (يعودون لما قالوا) أن يعودوا للظهار مرة أخرى بأن يقولوا مرة أخرى (أنت مني كظهر أمي) فلا تلزم الكفارة بالقول الأول وإنما تلزم بالقول الثاني.

وقيل معناه أن يعودوا إلى الوطء فتلزمه الكفارة إذا عزم على ذلك.

ومعنى (يعودون لما قالوا) على هذا أن يعودوا لقولهم فيتداركوه بالإصلاح^(٢).

جاء في (معاني القرآن) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾: (يصلح فيها في العربية: ثم يعودون إلى ما قالوا. وفيما قالوا: يريد يرجعون عما قالوا.

وقد يجوز في العربية أن تقول: إن عاد لما فعل يريد إن فعله مرة أخرى، ويجوز إن عاد لما فعل: إن نقض ما فعل^(٣).

وجاء في (الكشاف): «وجه آخر ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ ثم يتداركون ما قالوا لأن المتدارك للأمر عائد إليه ومنه المثل (عاد غيث على ما أنسد) أي تداركه بالإصلاح. والمعنى إن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى

(١) المنتخب ١٨٧/٤ وانظر الخصائص ١/١٣٥.

(٢) انظر البحر المحيط ٨/٢٣٣، الكشاف ٣/٢٠٦.

(٣) معاني القرآن ٣/١٣٩.

ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار^(١).

ومثله (حلف أن يفعل) فهذا يحتمل (ليفعلن) ويحتمل (لا يفعل) جاء في (معاني القرآن) في قولك (حلف أن يضربك) أن معناه يكون حلف لا يضربك وحلف ليضربك^(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَعْظَمَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فهذا يحتمل أنني أعظمك من أن تكون من الجاهلين أي أحذرك من ذلك، ويحتمل أنني أعظمك لئلا تكون من الجاهلين أو كراهة أن تكون من الجاهلين كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] أي لئلا تميد بكم أو كراهة أن تميد بكم.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَسَيْئُكَ أَلْسَمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِي﴾ [الحج: ٦٥]، فهذا يحتمل النفي والإثبات، فتقدير الإثبات ويمسك السماء من أن تقع على الأرض، وتقدير النفي لئلا تقع على الأرض.

ونحو قولك (ما أتينا فتحدثنا) بنصب (تحدثنا) فهذا يحتمل أنه يأتيهم ولا يحدثهم ويحتمل أنه لا يأتيهم فكيف يحدثهم. فهو يحتمل إثبات الإتيان ونفيه.

٥- الجمل التي تحتمل المعنى رضده بحسب التقدير، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] فهذا يحتمل أنه خلقها مرفوعة بغير عمد ويحتمل أنه خلقها مرفوعة بعمد غير مرئية، فيحتمل نفي العمد وإثباتها فتكون جملة (ترونها) على إثبات العمد صفة، وعلى نفي العمد استثنائية ويكون المعنى أنها مرفوعة بغير عمد وها أنتم ترونها. جاء في (معاني القرآن) في هذه الآية:

جاء فيه قولان:

(١) الكشاف ٢٠٦/٣ وانظر فتح القدير ١٧٨/٥، روح المعاني ٢/٢٨.

(٢) معاني القرآن ١٣٩/٣.

يقول خلقها مرفوعة بلا عمد، ترونها لا تحتاجون مع الرؤية إلى خير.
ويقال: خلقها بعمد لا ترونها. لا ترون تلك العمدة^(١).

ونحوه أن تقول: (هو لا يستطيع تعففاً أن يفعله) فهذا يحتمل أنه لا يستطيع أن يفعله تعففاً منه فيكون (تعففاً) مفعولاً له. ويحتمل أن يكون المعنى أنه لا يستطيع التعفف من فعله أي هو يفعله ولا يتعفف من ذلك فيكون (تعففاً) مفعول (يستطيع)، فعلى التقدير الأول هو يتعفف منه ولا يفعله، وعلى التقدير الثاني هو يفعله ولا يتعفف منه.

ونحوه أن تقول: (ما كنت ترجو أن أعطيك إلا تفضلاً مني) فهذا يحتمل أنه لم يكن يرجو العطاء ولكنه أعطاه تفضلاً منه كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يُلْقَى إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [القصص: ٨٦] فهو لم يكن يرجو أن يلقي إليه الكتاب ولكن إلقاء إليه رحمة منه.

ويحتمل أنه كان يرجو العطاء تفضلاً ولم يكن يرجوه إلا تفضلاً منه.
فهو بحسب المعنى الأول لم يكن يرجو العطاء، وبحسب هذا المعنى أنه كان يرجوه.

ونحوه قولك (ما تأتينا فتحدثنا) برفع (تحدثنا) فهذا يحتمل نفي التحديث أي ما تأتينا فما تحدثنا والفاء عاطفة. ويحتمل إثبات التحديث فيكون المعنى: أنت ما تأتينا ولكنك تحدثنا فتكون الفاء استنافية.

فالتحديث منفي على تقدير ومثبت على تقدير آخر.

٦- الجمل التي تحتمل المعنى وضده بحسب القيود المذكورة في التعبير، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَرَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فهذا يحتمل أنه لم يكن شيئاً ويحتمل أنه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً^(٢).

(١) معاني القرآن ٥٧/٢.

(٢) انظر البحر المحيط ٣٩٣/٨، معاني القرآن ٢١٣/٣.

ونحوه أن تقول (ما جاء محمد ركباً) فهذا يحتمل إثبات المجيء لمحمد غير ركب ويحتمل نفي المجيء عنه أصلاً كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي لا يسألونهم لا ملحقين ولا غير ملحقين. وفي غير القرآن يصح المعنيان فإذا قلت (هو لا يسأل الناس إلحافاً) فقد يكون المعنى هو يسألهم غير ملحف وقد يكون هو لا يسألهم أصلاً.

٧- الجمل التي فيها أفعال تتعدى بحروف جر متضادة فيحذف الحرف للإبهام أو للتوسع في المعنى وذلك نحو قولنا (أرغب في أن تفعل) و (أرغب عن أن تفعل)، فمعنى العبارة الأولى أنك تود فعله، ومعنى الثانية أنك لا تود فعله، فإن قلت (أرغب أن أفعل) احتمل المعنيين، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَرَضِبُونَ أَنْ تَكْفُرُوهُمْ﴾ [النساء: ١٢٧] فالمعنى يحتمل الرغبة في النكاح والرغبة عنه.

ونحوه أن تقول (أنا لا أصبر عن أن أراه) و (أنا لا أصبر على أن أراه) فمعنى العبارة الأولى أنه لا يصبر عن رؤيته وأنه لا يستطيع فراقه. ومعنى الثانية أنه لا يطيق رؤيته. فإن قلت (أنا لا أصبر أن أراه) احتمل المعنيين المتضادين.

٨- الجمل التي تحتمل المعنى وضده وقد يعرف أحدهما من الآخر من السياق أو المقام وذلك نحو قولك (كيف تفعل هذا وأنت من عائلة كريمة) فهذا يحتمل أنك لا تفعله لأنك من عائلة كريمة كقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ رِسَالَتُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١] وقوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٧] أي لا يكون.

وقد يكون من باب التقريع أي كيف فعلت هذا وأنت من عائلة كريمة.

فهذا يحتمل أنه فعل فتقرعه عليه ويحتمل أنه لا يفعل.

إلى غير ذلك من الجمل ذات الدلالة المتضادة.



الجمل المختلف في دلالتها

هناك جمل مختلف في دلالتها يفسرها بعضهم بغير ما يفسرها آخرون. وهذا نظير الاختلاف في قسم من المفردات كالاختلاف في نعم وبنس أما اسمان أم فعلان، وفي (أفعل التعجب) أهو اسم أم فعل، وفي (أفعل به) في التعجب نحو أبصِرْ به أهو فعل ماضٍ أم أمر، وفي (رُب) أهي حرف أم اسم، وغير ذلك من المفردات. كذلك اختلفوا في قسم من التعبيرات ومن ذلك على سبيل المثال:

١- (كاد) المنفية نحو (ما كاد يفعل) فقد ذهب بعضهم إلى أن المعنى: فعله بعد جهده، وذهب آخرون إلى أنه لم يفعل ولم يقارب الفعل، واستدل الأولون بقوله تعالى: ﴿فَدَبَّحُوا بِهَا غَادُوا بِفَعْلَتِكَ﴾ [البقرة: ٧١].
واستدل الآخرون بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخْرُجُ بِكَدِّكَ لَوْ يَكْدُ بِرَبِّهَا﴾ [النور: ٤٠]^(١).

ويقوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقد جمع بعضهم بين الرأيين فحوز أن يقال هذا التعبير فيما فعل وفيما لم يفعل^(٢). فيكون من الأضداد في التعبير.

٢- زيادة الواو في الجواب: فقد ذهب الجمهور إلى أن الواو لا

(١) انظر الكشاف ١/ ٣٩١، الأسموني ١/ ٢٦٨ - ٢٦٩، شرح ابن عبيد ٧/ ١٢٤ - ١٢٥.

(٢) انظر معاني القرآن ٢/ ٧١ - ٧٢.

تزداد، وذهب الكوفيون إلى أنها قد تزداد في الجواب نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وقوله: ﴿ثُمَّ لَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُعْطَوْهُ فِي حَيْثُ الْمَلَأُ﴾ [يوسف: ١٥] والمعنى عندهم: حتى إذا جاوزها فتحت أبوابها. ولما ذهبوا به أجمعوا أمرهم. وعند الجمهور أنها ليست زائدة وأن الجواب محذوف نظير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَوْقٌ رَجِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا قُرْءَانًا سِيرتَ بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطِعتَ بِهِ الْأَرْضَ﴾ [الرعد: ٣١]^(١).

٣- إن واللام: واختلفوا في التعبير الذي يجتمع فيه إن المخففة واللام نحو ﴿وَلَا يَكَادُ أَلْبَنَ كَفَرُوا لَبْرَثُكَ بِأَصْرِي﴾ [القلم: ٥١] وقولك (إن كنت لمسافراً) فقد ذهب البصريون إلى أن (إن) مخففة واللام هي لام الابتداء جيء بها للفرق بين إن النافية والمخففة، ومعنى الآية:

وإنه يكاد الذين كفروا...، ومعنى العبارة الثانية: إنني كنت مسافراً.

وذهب الكوفيون إلى أن (إن) ههنا نافية بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلا)^(٢).

ومعنى الآية: (وما يكاد الذين كفروا إلا يزلقونك بأبصارهم)، ومعنى العبارة: ما كنت إلا مسافراً.

٤- إلا بمعنى الواو: واختلفوا أتكون (إلا) بمعنى الواو أم لا؟

فذهب البصريون إلى أنها لا تأتي بمعنى الواو وذهب الكوفيون إلى أنها تأتي بمعنى الواو واستدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَنِّيكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنِّي﴾ [البقرة: ١٥٠] قالوا أي ولا الذين ظلموا منهم.

وذهب البصريون إلى أنها للاستثناء والاستثناء منقطع^(٣).

(١) انظر الإنصاف ٢/٢٤٣.

(٢) انظر الإنصاف ٢/٣٣٦.

(٣) انظر الإنصاف ١/١٥٥.

٥- لام الجحود: واختلفوا فيما دخلت عليه لام الجحود نحو ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] فقد ذهب البصريون إلى أن خبر (كان) محذوف واللام ليست زائدة، والمعنى وما كان الله مريداً لعذبيهم.

وذهب الكوفيون إلى أن اللام زائدة وما دخلت عليه خبرها فـ ﴿يُعَذِّبُهُمْ﴾ في الآية خبر كان والمعنى: وما كان الله يعذبهم^(١).

٦- جواب الطلب بعد القول نحو ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣١] فقد ذهب الجمهور إلى أن المعنى: إن تقل لهم يقيموا الصلاة وهو جواب شرط مقدر، وذهب آخرون إلى أنه على تقدير لام الأمر محذوفاً أي قل لعبادي لقيموا الصلاة^(٢).

٧- تعبيرات اختلف في معناها، منها على سبيل المثال:

أ - قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَلَّا لَأَكْفِرَنَّ بِنَارِكَ عَنْهُمْ وَإِنِ كَانُوا مِنَّا لَجَانِبِ الذَّنْبِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [هود: ١١١] فقد قيل أن (إِنْ) هي المخففة ثقلت وهي نافية بمعنى (ما)، و (لَمَّا) بمعنى (إلا) كقولك: نشدتك الله إلا فعلت. وقيل أن (لَمَّا) زائدة و (إِنْ) هي المشبهة بالفعل، وقيل أن (لَمَّا) أصلها (لَمَنْ ما)، و (مَنْ) هي الموصولة و (ما) بعدها زائدة واللام في (لما) هي داخلة في خبر إن، وحصل حذف وإدغام فصارت لَمَّا، وقيل (لَمَنْ ما) دخلت (مِنْ) الجارة على (ما)، وقيل هي (لما) الجازمة حذف فعلها للدلالة ما بعده عليه والتقدير: وإن كَلَّا لما ينقص من جزاء عمله^(٣).

ب - قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦] فقد قيل أن (إِنْ) نافية و (كان) تامة والمعنى تحقير مكرهم وإن معناه ما كان مكرهم لتزول منه

(١) انظر الأشموني ٣/ ٢٩٢-٢٩٣، حاشية الصبان ٣، ٢٩٣، حاشية الخضري ١١٣/٢.

(٢) انظر المغني ١/ ٢٢٥، الهمع ٢/ ٥٥.

(٣) انظر البحر المحيط ٥/ ٢٦٧-٢٦٨.

الشرايع والنبوات وأقدار الله التي هي كالجبال في ثبوتها وقوتها... ويحتمل على تقدير أنها نافية أن تكون (كان) ناقصة واللام لام الجحود وخبر كان على الخلاف الذي بين البصريين والكوفيين أهو محذوف أو هو الفعل الذي دخلت عليه اللام... وقال الزمخشري وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم مكرهم وتتابع في الشدة بضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم مسوّى لإزالة الجبال مُعَدّاً لذلك. وقال ابن عطية: ويحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى تعظيم مكرهم، أي وإن كان شديداً بما يفعل ليذهب به عظام الأمور، انتهى. وعلى تخريج هذين تكون (إن) هي المخففة من الثقيلة وكان هي الناقصة^(١).

وقيل أن (إن) شرطية وصلية^(٢) أي ولو كان مكرهم لتزول منه الجبال.

ج - قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَاجًا مِثْلَ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٤] فقد ذهب بعضهم إلى أن (من) في قوله: ﴿مِثْلَ بَرَدٍ﴾ للتبعيض وأنها في قوله: ﴿مِثْلَ بَرَدٍ﴾ للبيان فيكون التقدير: وينزل من السماء بعض جبال فيها التي هي البرد.

وقيل أن (من) الأولى والثانية للابتداء والأخيرة للتبعيض، ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها. وقال الأخفش: (من) الثانية والثالثة زائدتان كأنه قال: وينزل من السماء جبالاً فيها - أي في السماء - برداً. ويبرداً بدل أي برد جبال. وقيل: (من) الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة أي وينزل من السماء من جبالها برداً.

وقال الزجاج: معناه وينزل من السماء من جبال برد فيها كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد أي خاتم حديد في يدي^(٣).

(١) البحر المحيط ٤٣٨/٥ وانظر الكشاف ١٨٤/٢.

(٢) روح المعاني ٢٥٠/١٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٤٦٤/٦، الكشاف ٣٩١/٢.

د - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نُورُنا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨].

غُلْفٌ جمع أغلف قيل أي عليها غشاوة، وقيل عليها طابع، وقال

الزجاج:

ذوات غلف لا تصل إليها المرعظة. وقيل خلقت غلفاً لا تتدبر ولا

تعتبر.

وقيل يحتمل أن يريدوا بذلك أنها أوعية للعلم، وقيل يحتمل أن يكون
المعنى أن قلوبنا غلف أي مملوءة علماً فلا تسع شيئاً ولا تحتاج إلى علم
غيره^(١).

هـ - قولهم (هذا أمر لا يُنادَى وليده): قيل أن معناه هذا أمر عظيم
ينادى فيه الرجال لا الصبية. وقيل أن معناه هذا يوم لهو يلعب فيه الصبيان
فلا ينادون بل يتركون فيه يلهون. وقيل أن معناه: أنه لا وليد فيه فينادى.
جاء في (الخصائص) في (باب في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين)
وذلك في الكلام على ضربين:

أحدهما وهو الأكثر أن يتفق اللفظ البتة ويختلف في تأويله وعليه عامة
الخلافاً نحو قولهم (هذا أمر لا ينادى وليده) فاللفظ غير مختلف فيه لكن
يختلف في تفسيره.

فقال قوم: إن الإنسان يذهل عن ولده لشدة فيكون هذا كقول الله
تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذَهَلُ كُلُّ مُرْسِمَةٍ عَمَّا أَرَضَمَتْ﴾ [الحج: ٢]
وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبُرُّ الْكَلْبُ مِنْ لَبِيبِهِ ۖ وَأُتِيَهُ وَأُتِيَهُ ۖ﴾ [عبس: ٣٤-
٣٥] والآي في هذا المعنى كثيرة.

وقال قوم: أي هو أمر عظيم فإنما ينادى فيه الرجال والجملة لا الإماء
والصبية.

(١) انظر البحر المحيط ٣٠١/١.

وقال آخرون: الصبيان إذا ورد الحي كاهن أو حواء أو رقءا حسدوا عليه واجتمعوا له. أي ليس هذا اليوم بيوم أنس ولهو إنما هو يوم تجرد وجد.

وقال آخرون - وهم أصحاب المعاني - أي لا وليد فيه فينادى وإنما فيه الكفاة والثبؤة، ومثله قوله:

على لاحب لا يهتدى بمناره

أي لا منار فيه فيهتدى به. وقوله أيضاً:

لا تفرغ الأرنب أهوالها ولا ترى الضب بها يسبحر
أي لا أرنب بها فتفرغها أهوالها^(١).

و - قولهم (أنت أعلم وريك) فقد قيل أن معناه أنت أعلم بريك، وقيل أن معناه: (أنت أعلم وريك مجازيك)، وقيل أن معناه: أنت أعلم من غيرك وريك أعلم منكما، جاء في (شرح الرضي على الكافية) في هذا التعبير «هذا يستعمل في التهديد، أي أنت أعلم بريك فلعل اجترأك عليه لما علمت من ترك مكافاته للمجرمين تعالى عنه، فأنت وريك أي أنتما مقترنان فأنا لا أدخل بينكما ولا ادعوه عليك فإنه حسبك، وهذا المعنى أبلغ ما يكون في التهديد والتخويف.

وقال عبدالقاهر: أنت أعلم وريك مجازيك، فهو عنده على حذف خبر المبتدأ من الجملة الثانية، وليس ما ذهب إليه بذلك. وكذا قول العبدي: إن تقديره أنت أعلم من غيرك وريك أعلم منكما، وهذا أبعد مما تقدم من حيث المعنى المفهوم من: أنت أعلم وريك^(٢). وغير ذلك من التعميرات التي اختلفت في تفسيرها وتأويلها.

(١) الخصائص ٣ / ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) الرضي على الكافية ١ / ١٩٦.

تأدية المعنى الواحد بطرائق متعددة

كما أن اللفظ الواحد قد يؤدي معاني عدة كذلك قد يؤدي المعنى الواحد بطرائق متعددة وذلك كالأمر والنهي والنفي والتمني والتعجب والشرط وغيرها. فكل معنى من المعاني له طريقة رئيسة في التعبير وطرائق أخرى تنضي إليه. ومن ذلك على سبيل المثال:

الأمر:

فالأمر له طريقة رئيسة يؤدي بها وله طرائق أخرى تنضي إليه. فالطريقة الرئيسية التي يؤدي بها معنى الأمر هي (فعل الأمر) للمخاطب والفعل المضارع المتصل بلام الأمر لأمير غير المخاطب نحو ﴿لِيُثَبِّتْ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ سَمَرِيَّةٍ﴾ [الطلاق: ٧] ونحو ﴿وَلِتَحِيلَ حَتَلِكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

ومن الطرائق الأخرى التي تؤدي معنى الأمر:

- ١- اسم فعل الأمر نحو صه وعليك نفسك ونزال.
- ٢- المصادر الدالة على الأمر ويقدر لها فعل أمر محذوف نحو (صبراً جميلاً) وقوله: ﴿فَقَتَّرِبَ أَلْقَابِ﴾ [محمد: ٤].
- ٣- ما حذف فعله مما يدل على الأمر من غير المصادر، وذلك نحو ما إذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً فقطعه فقلت: حديثك، أو قدم رجل من سفر فقلت: حديثك أي هات. ونحو ما إذا رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدا، أي أوقع عملك بزيدا... استغنيت عن ذكر الفعل بعمله^(١).
- ٤- الإغراء نحو: الصدق الصدق، وأخاك والإحسان إليه، ويقدر له فعل أمر محذوف نحو الزم.
- ٥- ألفاظ تنزل بمنزلة الأمر والنهي نحو حسبك وكفيك. جاء في

(١) انظر الكتاب ١/١٢٨.

(الكتاب): «هذا باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي) فمن تلك الحروف حسبك وكفيك وشرعك وأشباهاها تقول (حسبك ينم الناس) ومثل ذلك (اتقى الله امرؤ فعل خيراً يُشب عليه) لأن فيه معنى: لبتق الله امرؤ، وليفعل خيراً»^(١).

٦- الاستفهام وذلك نحو قوله: ﴿قَهَلْ أَنْتُمْ شُنُوءَةٌ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهبوا، وقوله: ﴿قَهَلْ أَنْتُمْ شَكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أي اشكروا. ونحو (أين أنت من مساعدة أخيك) أي ساعده. وغير ذلك.

٧- الخير - وهو ما يقابل الطلب -: وقد يكون ذلك بلفظ دال على الإلزام والوجوب نحو ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. ونحوه (يجب أن تخبره) و (هذا فرض عليك).

وقد يكون بغير ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ وَيَدْرُونَ أَنَّكُمْ لَمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] فظاهر هذا الكلام خبر إلا أن علماء المسلمين اتفقوا على أن النساء عليهن أن يعتددن لطلاقهن ثلاثة أقرام إذا كان الحيض موجوداً وأن يتربصن بأنفسهن إذا توفى عنهن أزواجهن أربعة أشهر وعشراً، فعلم بإجماع المسلمين أن المراد بذلك الأمر.

ومما يدخل في هذا المعنى باتفاق أهل الإسلام قوله عز وجل: ﴿مَنْ تَوَلَّىٰ بَعْضَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَشُرٌّ مِّنَ الشَّرِّ﴾ [البقرة: ١٩٦] وقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]^(٢).

ومن الخبر الذي هو أمر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا

(١) الكتاب ١/٤٥٢.

(٢) الأمالي الشجرية ١/٢٥٧.

صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب، أي اقرؤوا في الصلاة الفاتحة ومنه ﴿كَيْبَ
عَبَّيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُونَ عَشْرٍ فَتَنْظُرُهُ إِلَى مَسْرَعٍ﴾
[البقرة: ٢٨٠] معناه فأنظروه إلى مسرعه^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾
[البقرة: ٢٣٣]^(٢) وقوله: ﴿تَوَسَّلْ بِاللَّهِ وَسُوِّلْهُ وَتَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... يَغْفِرْ
لَكَ ذُنُوبَكَ﴾ [الصف: ١١، ١٢] ويدل على إرادة الأمر جزم الفعل (يغفر)
فلو لم يكن طلباً لم يصح الجزم.

ونحو ذلك أن تقول لابنك (تذهب إلى فلان وتقول له كذا وكذا) أي
اذهب وقل له.

وغير ذلك مما يدل على الأمر.

النهي:

وهو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علو الرتبة وصيغته لا تفعل
ولا يفعل فلان^(٣).

وقد ورد النهي بصيغ أخرى غير الصيغة المشهورة منها:

١- الإخبار بما يفيد النهي نحو (أنا أنهاك عن هذا) ونحو (نهى
رسول الله ﷺ عن قبل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) ونحو قوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي الَّذِينَ قَتَلْتُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى
بِرَائِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ [المتحنة: ٩].

٢- ومنها النهي بلفظ الوعيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
آيَاتِنَ كُلَّمَا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]
وقوله: ﴿لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَجِطَلَ عَمَّاكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وكقوله عليه السلام: من

(١) الأمالي الشجرية ٢٥٩/١.

(٢) الهمع ٧/١.

(٣) الأمالي الشجرية ٢٧١/١.

شرب في آية الفضة وإنما يجرجر في بطنه نار جهنم^(١).

٣- ومنها ما جاء بلفظ التحريم نحو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَةُ
وَأَقْدَمُ وَنَمُّ الْفُجْرَانِ﴾ [المائدة: ٣] وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾
[النساء: ٢٣].

٤- ومنها التحذير سواء كان الفعل محذوفاً أم مذكوراً وذلك كقولك:
الجدارَ الجدار، وإنما نهيت أن يقرب الجدار المخوف المائل. و (الصبي
الصبي) أي لا توطيء الصبي^(٢). ونحو ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تُوَدُّوا لِأَبَائِهِ أَبَا﴾
[النور: ١٧]^(٣).

٥- ومنها ألفاظ تقييد النهي نحو حسبك وكفأك وكفيك وذلك نحو
قولك (حسبك هذا الأمر) و (حسبك ينم الناس) فإن حسبك فيه معنى
النهي^(٤).

وكفأك اعتسافاً وظلماً.

وقد تقول: لقد ذكرت نحو هذا في الدلالة على الأمر.

ونقول: إنه يصح أن يؤول هذا بالأمر والنهي فقولك (حسبك الكلام)
يصح أن يؤول بـ (لا تتكلم) أو بـ (اسكت). ولذا ذكر سيبويه أنها بمنزلة
الأمر والنهي. وهناك كثير من التعبيرات يصح تأويلها بالأمر والنهي كالتحذير
في نحو قولك (إياك والكذب) فإنه يصح تقديره بالنهي عن الكذب أي لا
تكذب أو بالابتعاد عن الكذب أي احذر الكذب.

٦- ومنها النهي بلفظ النهي نحو (ما كان لك أن تفعل) ونحو قوله
تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِلشَّيْءِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَفْرِقُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى

(١) الأمامي الشجرية ٢٧٢/١.

(٢) انظر الكتاب ١٢٨/١.

(٣) انظر الأمامي الشجرية ٢٧١/١، ٢٥٨/١.

(٤) الأصول ١١٦/١.

قَرَّبَ ﴿ [التوبة: ١١٣] ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ... وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴿ [البقرة: ٨٣-٨٤] وهذا نفي في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاض فهو يخبر عنه^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴿ [البقرة: ٢٥٦] فقد جوز أن يكون إيجاباً في معنى النهي أي لا تكروهوا في الدين وتجبروا عليه^(٢).
وقوله: ﴿فَلَا رَفْكَ وَلَا سُوءَ وَلَا إِعْدَالَ فِي الْحَيِّ ﴿ [البقرة: ١٩٧] أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا^(٣).
وما إلى ذلك من مواطن النهي.

النفي:

وكذلك النفي فإن الأصل فيه أن يزدى بأدوات النفي ولكن قد يزدى بغير ذلك مما يدل على النفي كالأستفهام نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿ [الرحمن: ٦٠] أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان وقوله: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴿ [آل عمران: ١٣٥] أي لا يغفر الذنوب إلا الله، ونحو (أي يوم أكرمتي؟) أي لم تكرمي يوماً من الدهر^(٤).

ونحو كان وكأنما نحو (كانك وال علينا فتشتمنا) أي لست بوال علينا^(٥). و (قد) مراداً بها النفي نحو (قد كنت في خير فتعرفه) بنصب (تعرفه) والمعنى ما كنت في خير^(٦).

(١) الكشاف ٢٢٤/١ وانظر البحر المحيط ٢٨٣/١، الأمالي الشجرية ٢٥٨/١، البرهان ٢٩١/٢.

(٢) روح المعاني ١٣/٣، الأمالي الشجرية ٢٧٢/١.

(٣) الأمالي الشجرية ٢٧٢/١.

(٤) انظر التسهيل ٢٤٣، شرح الدماميني على المغني (أي) ١٧١/١.

(٥) انظر معاني القرآن ٢٢٥/٢، حاشية الخضري ١١٥/٢، الأشموني ٣٠٥/٣.

(٦) انظر حاشية الخضري ١١٥/٢، حاشية الصبان ٣٠٥/٣.

و (لو) الامتناعية نحو (لو زرتني لأكرمك) أي لم تزرنني فتم أكرمك
فانتفت الزيارة والإكرام.

والموجب المؤول بالنفي نحو (هو يأبى أن يسافر) أي لا يريد أن
يسافر بدليل تفرغ الاستثناء معه قال تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا﴾
[الفرقان: ٥٠] وقال ﴿وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَّرَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٢] فهذا
عندهم من النفي المعنوي^(١).

وغير ذلك مما يزيد معنى النفي.

الشرط:

الأصل في الشرط أن يزيد بأدوات الشرط ولكن قد يزيد بصور
أخرى وذلك:

كالأسماء الموصولة الدالة على العموم فتقترن بجوابها الفاء للدلالة
على تضمن معنى الشرط نحو ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْقَتْلَ يَمْشُونَ بِالْمَسْعَىٰ ثُمَّ يَخُبُونَ﴾
[النور: ٤] وقوله ﴿وَمَا يَكُم مِّن يَّمَسِّرَ فَمِنَ اللَّهِ﴾
[التحل: ٥٣]^(٢).

بل إن الأسماء الموصولة يمكن جعلها شرطاً وموصولاً في تعبيرات
كثيرة، فإنك إذا قلت (من أتاني آتيته) احتملت (من) أن تكون موصولة وأن
تكون شرطية.

وما يدل على العموم من النكرات الموصوفة بفعل أو بظرف أو جار
ومجرور نحو (نفس تسمى في نجاتها فلن تخيب) و (رجل عنده حزم فسميد)^(٣).

أو مضاف إليها ما يدل على العموم نحو (كل نفس تسمى في نجاتها

(١) انظر حاشية الخضري ٢٠٤/١، الرضي على الكافية ٢٣٥/١.

(٢) انظر المساعد ٢٤٤/١، الهمع ١٠٩/١ - ١١٠، الرضي على الكافية ١٠٢/١.

(٣) الهمع ١٠٩/١، الرضي على الكافية ١٠٢/١.

فلن تخيب) و (كل رجل يسبق فله مكافأة).

وقد تشبه كلمة (كل) بالشرط وإن كانت مضافة إلى غير موصوف نحو (كل رجل فله درهم)^(١). ومن ذلك الظروف التي تنزل منزلة الشرط ولذا قد تفترون بجوابها الفاء نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلًا وَجِهَكَ نَضْرَ السَّجْدِ الرَّارِ﴾ [البقرة: ١٥٠] جاء في (روح المعاني): «حيث - العامل فيها ما هو في محل الجزاء لا الشرط فهي هنا متعلقة بولّ والفاء صلة للتبعية على أن ما بعدها لازم لما قبلها لزوم الجزاء للشرط لأن (حيث) وإن لم تكن شرطية ففيها رائحة الشرط»^(٢).

ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِمَن يَشَاءُ يَدْعُوهُ بِهِمْ مُنَادٍ فَخِرٌ﴾ [الأحقاف: ١١] ونحو (كلما أصبحت نسبح الله)^(٣).

ومنها (كيف) نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّدُ فِي الْأَنْوَارِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] وقوله: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]^(٤) و (كيف تفعل أفعل).

ومنها (كما) نحو (كما تدين تُدان) و (كما تكونون يولى عليكم).

ومنها (ما) الظرفية المصدرية نحو (أرضيك ما ترضيني) و (ما تزورني أكرمك).

ومنها المستثنى المحمول على معنى الشرط نحو (ما زرتني إلا أكرمتك) فإنه بمعنى (كلما)^(٥)، و (كلما) فيها رائحة الشرط^(٦).

وقد يؤدي الشرط بجواب الطلب المراد به معنى الجزاء نحو قوله

(١) انظر الرضي ١٠٢/١.

(٢) روح المعاني ١٦/٢.

(٣) الرضي على الكافية ١١٤/٢.

(٤) الأشموني ١٤/٤، حاشية الصبان ١٤/٤.

(٥) انظر المساعد ١/١٨٥-١٨٦، الاستثناء في أحكام الاستثناء ١٧٣.

(٦) الرضي على الكافية ١١٤/٢.

تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ أَذْرُكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] و ﴿وَهَزَقَ إِلَيْكَ بِمِخْرَجِ النَّخْلَةِ نَسْفِطًا عَلَيْكَ رُطْبًا جِئْنَا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم: ٢٥٠]. إلى غير ذلك مما يفيد معنى الشرط.

التعجب:

ويؤدى بطرائق متعددة كصيغتي التعجب (ما أفعله) و (أفعل به)، والتحويل إلى صيغة (فعل) بقصد التعجب نحو ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥].

والنداء نحو (يا حُسن هند)، يا للماء.

والاستفهام نحو ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَنًا فَأَخْبِتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] ونحو (كيف فعلت هذا).

و (أني) نحو (مررت برجل أني رجل).

وبتعبيرات أخرى كثيرة تفيد التعجب نحو سبحان الله و ﴿حَسْبُ لِلَّهِ مَا هُنَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] والله دره.

وغير ذلك من المعاني.

والذي أورد أن أذكره ههنا أن هذه الطرائق للوصول إلى المعنى ليست ذات دلالة واحدة، نكل تعبير يختلف عن التعبير الآخر. فالأمر بفعل الأمر غير الأمر بالمصدر وهو غير الأمر باسم الفعل وغير الأمر بالاستفهام وغير الأمر بالخبر، فكل تعبير له دلالة خاصة. ذ (اصبر) غير (صبراً). وغير (صبر جميل) وغير (صبار) بمعنى اصبر وغير (هل تصبر بعدما ذكرت لك) وغير (تصبر إلى أن أحضر) بمعنى (اصبر) فكل تعبير له دلالة مع أنها كلها أمر بالصبر.

وكذلك النهي فقولك (لا تكذب) غير قولك (الكذب مفضى إلى النار) و (نهى رسول الله عن الكذب) و (الكذب الكذب) و (إياكم والكذب) و (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وما إلى ذلك من أساليب النهي.

وكذلك الشرط فإن معنى (إن تدعُ ربك يستجب لك) غير معنى (ادعُ ربك يستجب لك) و (هل تدعو ربك يستجب لك). وإن معنى (من يأتي أكرمه) غير معنى (الذي يأتيني فأكرمه) و (كل رجل يأتيني فأكرمه) و (ما رجل يأتيني إلا أكرمه).

وكذلك (ما أصبرَ محمداً) في التعجب يختلف عن (أصبرَ بمحمد) و (صبرَ محمد) و (صبرَ به) و (يا لصبر محمد) و (عجياً لصبره) و (ما هذا الصبر) و (أي صبر هذا) و (سبحان الله أرايت صبراً كهذا).

فإن كل تعبير له دلالة. وقد أشرت في كتابي (معاني النحو) إلى شيء من ذلك فلا نعيد القول فيه.





الكلام المحمول على المعنى

في العربية عبارات محمولة على المعنى ولا يصح حملها على ظاهرها لأن حملها على ظاهرها قد يوقع في إشكالات تركيبية أو معنوية أو إعرابية. ومن ذلك على سبيل المثال:

١- قولهم (ما زلت وزيداً حتى فعل): فهذا التعبير عند سيبويه والنحاة بمعنى (ما زلت بزيد حتى فعل) و (زيد) مفعول به^(١). وهذا التعبير محمول على المعنى. وقد ذكر الأعلام الششمري تفسير ذلك فقال: «لما كانت الباء عاملة في قولك (ما زلت بزيد) لم يكن للفعل الذي قبلها عمل فيما بعدها لأن الباء في موضع نصب. فإذا قلت (ما زلت وزيداً) تجاوز النصب الذي كان يقدر في الباء إلى ما بعد الواو»^(٢).

فهو - كما ترى - تأول لإعراب هذا التعبير. وفي الأصول: «ما زلت وزيداً أي ما زلت به حتى فعل فهو مفعول به. فقد عمل ما قبل الواو فيما بعدها والمعنى معنى الباء»^(٣).

وكون ما قبل الواو يعمل فيما بعدها لا يتفك من ضعف. وجوز ابن السراج إعرابه مفعولاً معه أيضاً^(٤). وهو أقل تكلفاً.

(١) انظر الكتاب ١/١٥٠، الأصول ١/٢٥٤.

(٢) النكت في تفسير كتاب سيبويه ١/٣٦٠.

(٣) الأصول ١/٢٥٤.

(٤) الأصول ١/٢٥٤.

٢- أنت أعلم ومالك (برفع المال): والمعنى: أنت أعلم بمالك^(١)
وأنت أعلم مع مالك^(٢).

وتأليف العبارة لا يخلو من إشكال إذ اختلفوا في هذا العطف ومدلوله. فقد ذهب بعضهم إلى أن (مالك) معطوف على (أنت) فيكون المعنى على هذا: أنت أعلم ومالك أعلم. فينسب العلم إلى المال. وهذا ظاهر الضعف. وقيل أن الأصل (بمالك) فوضعت الواو موضع الباء فعطفت على ما قبلها ورفع ما بعدها على اللفظ. وهي بمعنى الباء متعلقة بأعلم^(٣).

ولا ينفك التخريج الثاني من ضعف إذ القول بأن الأصل هو الباء ثم جيء بالواو مكانها وحول الكلام من الجر إلى الرفع ظاهر التكلف.

وهو كلام محمول على المعنى، وأرجح تقدير له عندي: أنت أعلم بحال مالك فأنت ومالك^(٤)، فحذف ما حذف حتى استقر إلى ما ترى والله أعلم.

ونحوه (أنت أعلم وربك) مما يتعمل في التهديد أي أنت أعلم بربك أو أنت أعلم معه.

٣- بعث الشاة شاةً ودرهماً و (بعث الشاة شاةً ودرهم):

والمعنى شاة بدرهم. ولا يخلو عطف الدرهم على الشاة من إشكال في حالتها الرفع والنصب. غير أنه كلام محمول على المعنى. جاء في (شرح السيرافي على الكتاب) في هذه العبارة «وجعلت الواو في معنى الباء فبطل خفض الدرهم وعطف على (شاة) فاقترن الدرهم والشاة فعطفت أحدهما على الآخر وإن كانت الشاة مثناً والدرهم ثمناً»^(٥).

(١) المساعد ٥٤١/١.

(٢) الكتاب ١٥١/١.

(٣) المساعد ٥٤١/١.

(٤) انظر الرضي على الكافية ١٩٦/١.

(٥) هامش الكتاب ١٩٦/١.

وذكر سبويه حالة الرفع فقال: «وزعم الخليل أنه يجوز بعث الشاة شاةً ودرهمٌ إنما يريد شاةً بدرهم ويجعل (بدرهم) هو خبر الشاة.

وصارت الواو بمنزلة الباء في المعنى كما كانت في قولك (كل رجل وضيعته) في معنى (مع)^(١).

ومعلوم أن النحاة لا يجيزون أن يكون الخبر مقروناً بواو العطف غير أنه كلام محمول على المعنى.

٤- زيد وإن كثر ماله بخيل: هذا التعبير عند النحاة على زيادة (إن) لأنها لمجرد الوصل أي وصل الكلام بعضه ببعض والواو للحال بمعنى: زيد بخيل والحال أنه كثر ماله. وقيل هي شرطية والواو للعطف على مقدر أي زيد إن لم يكثر ماله وإن كثر ماله بخيل^(٢).

ونحوه قولهم (زيد ولو كثر ماله بخيل)^(٣).

ويظهر لي والله أعلم أن هذا كلام محمول على المعنى وتأويله: زيد مع كثرة ماله بخيل.

أما القول بزيادة (إن) فلا أراه سديداً فإنها لو حذفت لاختل الكلام. ثم إن تقدير الحالية بقولهم (والحال أنه كثر ماله) لا يصلح أحياناً فإنه قد يقال هذا الكلام فيمن لم يكثر ماله وإنما يقال على سبيل الافتراض كأن تقول (هو ولو ملك الدنيا بخيل) فلا يصح أن يقال: هو والحال أنه ملك الدنيا بخيل.

وكذلك تقدير العطف فإنه - وإن كان أمثل مما قبله - قد يضعف أحياناً حتى يصبح من فضول الكلام وذلك نحو قوله:

فإن خالفتني وأضعت نصحي فأنت وإن رزقت حجاً بليد

(١) الكتاب ١/١٩٧.

(٢) انظر حاشية الصبان ٩/٤، حاشية الخضري ٢/١٢٠.

(٣) حاشية الصبان ٤/٣٦.

فإنه يضعف تقدير الحالية فإنه ليس المقصود: أنت والحال أنك رزقت حجاً بليد.

ويضعف تقدير العطف وذلك أن تقدير الكلام عليه. أنت إن لم ترزق حجاً وإن رزقت حجاً بليد، ولا شك في بلادته إن لم يرزق حجاً، فهو من الكلام الذي لا فائدة فيه.

والراجع فيما أرى أن هذا من الكلام المحمول على المعنى، والمعنى: فأنت مع رزقت الحجاً بليد.

ونحو هذا التعبير قولك (أحبه وإن ظلم) فهو كلام محمول على المعنى والتقدير أحبه مع ظلمه، وقولك (من قتل مسلماً بغير حق فلن يدخل الجنة وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم) والمعنى أنه لن يدخل الجنة مع كونه صائماً مصلياً. وظاهر أن تقدير الحال ضعيف، فإن تقدير الكلام عليه: فلن يدخل الجنة والحال أنه صائم مصل. وليس هذا هو المعنى المقصود فإن التعبير لم يذكر حاله وإنما ذكر افتراضاً.

كما أن تقدير العطف ضعيف أيضاً وذلك أن تقدير الكلام عليه: من قتل مسلماً فلن يدخل الجنة إن لم يصل ويصم وإن صلى وصام، ولا داعي لتقدير (إن لم يصل ويصم) فإن هذا تحصيل حاصل وهو من قبيل الإخبار بالضرورات التي لا فائدة تحتها.

٥- أنشدك الله إلا فعلت: والمعنى ما أسألك إلا فعلك، وهو كلام محمول على المعنى وإلا لم يصح لأنه كلام موجب فلا يصح تفرغه. ثم لا يصح إتيان الفعل بعد (إلا) لكونه غير مسبوق بنفي لكنه كلام محمول على المعنى كما ذكرنا.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الفعل بعد (إلا) مفعول به على التأويل بالمصدر، وقدر الفعل بالمصدر بلا سابق لافتقار المعنى إلى ذلك كما في قمت حين قام زيد، والتقدير حين قيام زيد.

ونحوه: أقمت عليك إلا جلست وبالله عليك إلا فعلت فهو كله

محمول على المعنى^(١).

٦- زيد غني غير أنه بخيل: وهذا الكلام محمول على المعنى، ومعنى الكلام: زيد غني لكنه بخيل. فـ (غير) بمعنى (لكن). جاء في (الكتاب) في قول الشاعر:

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فيما يُبقي من المال باقياً
«كأنه قال: ولكنه مع ذلك جواد»^(٢).

ونحوه أن تقول: (زيد غني إلا أنه بخيل) و (هو شجاع إلا أنه متهور). جاء في (الكتاب) في قول العرب (والله لأفعلن كذا وكذا إلا جل) ذلك أن أفعل كذا (قال: «فـ (ان أفعل كذا وكذا) بمنزلة: فعل كذا وكذا. وهو مبني على (جل) و (جل) مبتدأ كأنه قال: ولكن جل ذلك أن أفعل كذا وكذا»^(٣).

٧- لا أفعل إلا أن تفعل: وهو كلام محمول على المعنى، ومعناه: لا أفعل حتى تفعل، أو لا أفعل إلا إذا فعلت. جاء في (الكتاب): «وأما قولهم: والله لا أفعل إلا أن تفعل فـ (أن تفعل) في موضع نصب، والمعنى: حتى تفعل أو كأنه قال: أو تفعل»^(٤).

٨- أعددت الخشبة أن يعيل الحائط فأدعته بها: ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ إِعْدَتْهُمَا فَتُصَكَّرَ بِإِذْنِهَا الْأَخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] هذا كلام محمول على المعنى. ومعنى العبارة الأولى أنه أعد الخشبة حتى إذا مال الحائط دعمه بها. ومعنى الآية: حتى إذا ضلّت إحداهما ذكرتها الأخرى فهو كلام محمول على المعنى. وسائر التخريجات التي خرجها النحاة في نحو هذا التعبير لا تخلو من ضعف. فمن ذلك على سبيل المثال

(١) انظر المساعد ٥٨٢/١، ٥٥٥/١، شرح ابن عبيث ٩٤/٢.

(٢) الكتاب ٣٦٧/١.

(٣) الكتاب ٣٧٤/١.

(٤) الكتاب ٣٧٤/١.

ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَنْزَلَ بِإِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾:

١- فقد قدره البصريون (كراهة أن تفضل) أو مخافة أن تفضل إحداهما على غرار مذهبهم في قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُوا﴾ [النساء: ١٧٦] وقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ يَنبِذَ بِكُمْ﴾ [التحلل: ١٥] أي يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، وألقى في الأرض رواسي مخافة أن تميد بكم ونحوه.

وهذا التقدير في الآية ونحوها من التعبيرات ضعيف لأنه سيكون المعنى: كراهة أن تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فيؤدي هذا التقدير إلى كراهة الضلال والتذكير لأن (فتذكر) معطوف على (أن تفضل)، وذلك نظير قولك (إنني أكره أن تأتيني فأرذك) فانت تكره الإتيان والرذ. وهذا لا يصح في الآية.

٢- وجعله الزمخشري على تقدير (إرادة أن تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى)^(١). وهو لا يصح أيضاً لأنه يؤدي إلى إرادة الضلال فالتذكير، فيكون الضلال مراداً لله. وكذا الكلام في (أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه بها) أي أعددت الخشبة لإرادة ميل الحائط فأدعمه بها فيكون الميل مراداً. وهو لا ينفك عن ضعف.

٣- وقدره الكوفيون بـ (لثلا) أي (لثلا تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) نظير تقديرهم في نحو قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُوا﴾ وقوله: ﴿أَنْ يَنبِذَ بِكُمْ﴾ أي لثلا تضلوا ولثلا تميد بكم، غير أن التقدير هنا لا يصح وذلك أن التقدير يكون (لثلا تفضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) فيكون المعنى أن سبب التذكير عدم الضلال لأن الضلال منفي. وكذا قولهم (أعددت الخشبة لثلا يميل الحائط فأدعمه بها) فيكون سبب الدعم عدم الميل في حين أن المعنى بالعكس.

هذا إذا قدرنا المعطوف مثبتاً أي (فتذكر)، فإن قدرناه منفياً لم يصح

(١) الكشاف ١/٣٠٤.

المعنى أيضاً إذ يكون المعنى: لئلا تضل فلا تذكُر، وئلا يميل الحائض فلا أدعمه.

فلا يصح المعنى على أي تقدير. فهو كلام محمول على المعنى كما ذكرت. جاء في (المقتضب) في قولهم (أعددت الخشبة أن يميل الحائض فأدعمه): «أعددت هذا أن يميل الحائض فأدعمه ولم يُعدوه طلباً لأن يميل الحائض ولكنه أخبر بعملة الدعم. فاستقصاه المعنى إنما هو أعددت هذا لأن إن مال الحائض دعمته»^(١).

٩- العطف على المعنى: وذلك كأن تقول (جئت طالباً رضاك ولأستفيد منك علماً) فإنه عطف في ظاهر اللفظ (لأستفيد) على (طالباً) وهذا لا يصح لأن (طالباً) حال و (لأستفيد) علة ولا يعطف المتغايران بعضهما على بعض، ولكن هذا من باب العطف على المعنى، فإن في قوله (طالباً رضاك) بيان علة مع أنه حال، والتقدير في المعنى: جئت لأطلب رضاك، فعطف ما بعده على المعنى، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَسَدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ التُّورَةِ وَلِأَجَلٍ لَكُمْ بَيْنَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] فقد عطف في ظاهر الأمر (لأحل) على (مصدقاً) وهذا لا يكون وإنما عطف على المعنى، جاء في (البحر المحيط): «واللام في ﴿وَلِأَجَلٍ لَكُمْ﴾ لام كي ولم يتقدم ما يسوغ عطفه عليه من جهة اللفظ فقيل هو معطوف على المعنى إذ المعنى في ﴿وَمَسَدًا﴾ أي لأصدق ما بين يدي من التوراة ولأحل لكم... وقيل اللام تتعلق بفعل مضمر بعد الواو يفسره المعنى أي وجئت لأحل لكم»^(٢).

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ مَابَيْتِهِ أَنْ يُرِيَلَ الرِّبَاحَ يُبَشِّرَتْهُ وَلِيُذَبِّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الروم: ٤٦] قيل إنه على تقدير ليشركم وليذيقكم^(٣).

وقد يقدر للمعطوف عامل محذوف لتمشية صنعة الإعراب.

(١) المقتضب ٢١٥/٣.

(٢) البحر المحيط ٤٦٨/٢.

(٣) انظر المعنى ٤٧٩/٢.

ولنا عودة إلى هذا الموضوع في مكان آخر إن شاء الله تعالى.

١٠- اغتديت ولا اغتداء الغراب واهتديت ولا اهتداء القطا: والمعنى اغتديت أسرع من اغتداء الغراب واهتديت أكثر من اهتداء القطا. وظاهر التعبير مخالف لما ينبغي تركيبه عليه إذ تقدير الكلام اغتديت ولا اغتديت اغتداء الغراب^(١) واهتديت ولا اهتديت اهتداء القطا. غير أنه لا يجوز دخول (لا) على الفعل الماضي في نحو هذا التعبير.

وعلى أية حال فهذا التعبير محمول على المعنى لا على ظاهر اللفظ.

١١- قولهم (عندي درهم ونصفه): وهذا لا يصح على ظاهر اللفظ إذ كيف يكون عنده درهم ونصف هذا الدرهم؟

وظاهر أن معنى الكلام: عندي درهم ونصف آخر^(٢) ومثله قوله:

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ونحن خلعنا قيده فهو سارب
أي خلعنا قيد فحلنا^(٣).

١٢- قوله:

فكرت تبسغيه فوافقته على دمه ومصرعه السباعا

هذا كلام محمول على المعنى وذلك أن المعنى أن البقرة الوحشية طلبت ولدها فوافقت ووافقت على دمه ومصرعه السباع تأكله، غير أن اللفظ لا يزددي هذا المعنى. ونحو هذا من الكلام المحمول على المعنى كثير. جاء في (الكتاب): قول القطامي:

فكرت تبسغيه فوافقته على دمه ومصرعه السباعا

ومثله قوله:

(١) انظر الرضي ١/١٢٦.

(٢) انظر معاني القرآن ٢/٣٦٨.

(٣) المساعد ١/ ١١٠-١١١.

لن تراها ولو تأملت إلا ولها في مفارق الرأس طيبا
وانما نصب هذا لأنه حين قال (واقفته) وقال (لن تراها) فقد علم أن
الطيب والسباع قد دخلا في الرزية والموافقة وأنهما قد اشتملا على ما
بعدهما في المعنى. ومثل ذلك قول ابن قميئة:

تذكرت أرضاً بها أهلها أخوالها فيها وأعمامها
لأن الأخوال والأعمام قد دخلوا في التذكر. ومثل ذلك فيما زعم
الخليل:

إذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تغربت عنها أم عمار
قال الخليل: لما قال هيجني عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكرة الحمام
وتهيجه... كأنه قال: فذكرني أم عمار.

ومثل ذلك قول الشاعر وهو عبد بني عيس:

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما
وذات قرنين ضموذاً ضرزما

فإنما نصب الأفعوان والشجاع لأنه قد علم أن القدم ههنا مسالمة كما
أنها مسالمة فحمل الكلام على أنها مسالمة^(١).

إلى غير ذلك من الكلام المحمول على المعنى.

هل يكون للجملتين المختلفتين معنى واحداً؟

بيتا في البحث السابق أنه قد يحمل الكلام على المعنى فيكون تعبير
بمعنى تعبير آخر كما في (بعث الشاء شاةً ودرهماً) أي شاة بدرهم و (لا
أفعل إلا أن تفعل) وغيرهما.

وقد ذكرنا أن قطرياً ذهب في قسم من العبارات أنها يكون بعضها

(١) الكتاب ١ / ١٤٣ - ١٤٥.

بمعنى بعض نحو (إن القوم كلهم ذاهبون) و (إن القوم كلهم ذاهبون) و (ما رأيت منذ يومين ومنذ يومان) فهل معنى ذلك أنه قد يكون للجملتين المختلفتين معنى واحداً؟

الحق أنه لا يكون للجملتين المختلفتين معنى واحد بل لا بد أن يكون بين التعبيرين المختلفين اختلاف في المعنى مهما كان الاختلاف ضئيلاً، إلا إذا كان ذلك من لغتين مختلفتين فقد يفيد أحدهما ما يفيد الآخر نحو (ما محمد قائماً) في لغة الحجاز و (ما محمد قائم) في لغة تميم. و (لعل الله فضلكم علينا) بجر لفظ الجلالة في لغة عُقيل و (لعل الله فضلكم علينا) بنصبه في لغة سائر العرب. أما ما عدا ذلك فإنه لا بد أن يكون لكل تعبير معنى يختلف عن الآخر. نعم قد يكون المعنى العام واحداً ولكن لا يمكن أن يكونا متماثلين تماماً. جاء في (دلائل الإعجاز): «لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنعتة بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذا هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور...»

فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى على ما مضى من البيان في مسائل التقديم والتأخير^(١).

واليك إيضاح ذلك بشيء من البيان:

١- إن القوم كلهم ذاهبون وإن القوم كلهم ذاهبون: ذهب قطرب إلى أن هذا مما اختلف إعرابه واتفق معناه^(٢) فلا فرق عنده بين التعبيرين في المعنى.

والحق أن المعنى مختلف بين التعبيرين. وأود أن أذكر أمراً قبل أن أبين الفرق بينهما وهو أنه لا يصح إصدار حكم عام اعتماداً على تعبير واحد مما لا يتبين الفرق فيه بين تعبير وآخر بل ينبغي دراسة التعبيرات الأخرى ليصح الحكم.

(١) دلائل الإعجاز ٢٠١-٢٠٥.

(٢) انظر الإيضاح في علل النحو ٦٩-٧١.

ونعود إلى التعبير الذي ذكره فطرب فإن المعنى مختلف فيه بين التعبيرين، يدل ذلك على ذلك أننا لو قلنا (إن العبيد والإماء كلهن لك) بنصب (كل) كان التعبير صحيحاً وكانت (كلهن) توكيداً للإماء، ولكن لو قلنا (إن العبيد والإماء كلهن لك) برفع (كل) لم يصح التعبير وكان المعنى ناقصاً، ذلك لأن (كلهن لك) جملة خير عن (الإماء) وأما (العبيد) فبلا خير، ذلك أنك قلت (إن العبيد) ولم تخبر عنهم بل أخبرت عن الإماء، فلو لم يكن الإعراب ذا دلالة على المعنى لاستوى التعبيران ولكان معناه واحداً.

ونحوه أن تقول (بعث البر كله مكيلاً) و (بعث البر كله مكيلاً).

فالتعير الأول يدل على أن الكيل وقع في حال البيع وعليه أن يسلمه إليه مكيلاً.

والتعير بالرفع يدل على أنه باعه وهذه حاله فيكون الكيل لحقه قبل البيع وليس بصفة للبيع. فهو موصوف بالكيل ولم يتضمنه البيع وهو نظير قولهم (بعث البر بعضه مكيلاً وبعضه موزوناً) و (بعث البر بعضه مكيلاً وبعضه موزوناً)^(١) كما سبق أن بينا.

ونعود إلى العبارة التي ذكرها فطرب وهي (إن القوم كلهم ذاهبون) برفع (كل) ونصبها ففي حالة رفع (كل) تكون جملة (كلهم ذاهبون) خبراً لـ (إن)، وفي حالة النصب تكون (ذاهبون) وحدها هي الخبر وأما (كل) فهي توكيد للقوم.

وفرق بين التعبيرين فإنك تقول (إن الرجال كلهم ذاهبون) فـ (ذاهبون) خبر عن الرجال ولكن قد تقول (إن الرجال كلهم ذاهب) لأن (ذاهب) إخبار عن (كل) وليس عن الرجال كقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ففي حالة نصب (كل) لا يصح إفراد (ذاهبون) وأما في حالة الرفع فيصح ويكثر، فلو كانا بمعنى واحد وليس من فرق بين الرفع والنصب لصح تعاورهما.

٢- ما رأيته منذ يومين أو منذ يومان: المعروف أن هاتين لغتان فلغة

(١) انظر الأصول ٢ / ٤٩ - ٥٠.

أكثر العرب الجر بعد (منذ)، وأما (مذ) فيجرون بعدها الحاضر ويرفعون بعدها الماضي^(١). فنقول (أنا مكرمه مذ شهر) بالجر بمعنى أنك لا تزال تكرمه، وتقول (أنا مكرمه مذ شهر) بالرفع بمعنى أنك أكرمه في ذلك الوقت وانقطع الإكرام^(٢).

وللرفع والجر دلالة أخرى بينها في كتابنا (معاني النحو)^(٣) فلا نعيد القول فيهما. فليسا إذن تماثلين.

٣- بعث الشاء شاةً ودرهماً: أي شاة بدرهم كما ذكر سيبويه وغيره. غير أن الواو لا تماثل الباء في الأثمان فإن الأصل في الأثمان أن تقال بالياء فنقول: بعث الكتاب بدينار، وباع الدار بألف، ولم يرد نحو: بعث الكتاب وديناراً ولا بعث الدار وألفاً. ولا يصح في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] أن يقال (وشروه وثمناً بخساً) وإنما ورد ذلك فيما تجزأ إلى أفراد فأنت لا تقول (بعث الشاء وألف دينار) بل تقول (بعثها بألف دينار). ولكن يصح في أفراد الشياه أن تقول (شاة بدرهم)، فكأنك تقرن مع كل شاة درهماً أحدهم يأخذ الشاة والآخر يأخذ الدرهم، وهو وإن اقترب من معنى (شاة بدرهم) غير أنه لا يطابقه، ففي الباء معنى المقابلة والعوض وفي الواو معنى الاقتران والجمع.

٤- لا أفعل إلا أن تفعل: ومعناه لا أفعل حتى تفعل أو لا أفعل أو تفعل عند سيبويه^(٤) وعند بعضهم أنه على تقدير لا أفعل إلا وقت أن تفعل أي على تقدير الظرف^(٥) وعند آخرين أنه على تقدير الباء أي لا أفعل إلا بأن تفعل^(٦).

(١) انظر المعنى ١/٣٣٥، الجمل للزجاجي ١٥٠-١٥١، الرضي على الكافية ١٣٢/٢.

(٢) انظر المقضب ٣/٣٠، معاني النحو ٨٢/٣ وما بعدها.

(٣) انظر معاني النحو ٨٤/٣.

(٤) الكتاب ١/٣٧٤.

(٥) انظر الكشاف ٣/٣٠١، البحر المحيط ٨/٤٠١، روح المعاني ٢٩/١٦٧-١٦٨ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدِرُونَ إِلَّا . بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

(٦) روح المعاني ٢٩/١٦٨.

والحقيقة أنه ليس بمعنى واحد مما ذكر على وجه المطابقة وإنما على وجه التفسير وذلك أن (لا أفعل حتى تفعل) يحتمل التعليل والغاية كما يحتمل الاستثناء، فإنك قد تقول (أنا لا أعينه حتى يعتمد على نفسه) بمعنى لا أعينه ليعتمد على نفسه فأت تذكر سبب عدم إعانتك له فيكون معنى (لا أفعل حتى تفعل) على هذا: أنا لا أفعل وذلك لتفعل فجعل عدم قيامه بالفعل سبباً لقيام المخاطب به.

ويحتمل الغاية نحو (سأحيي الليلة حتى تطلع الشمس) ونحوه أن تقول (سنكون في مجلس سمر حتى يطلع الفجر) أي إلى أن يطلع الفجر، ولا يصح (إلا أن يطلع الفجر) فليس في (إلا أن) غاية ولا تعليل فالمعنى مختلف.

وكذلك بالنسبة إلى (أو) فإن لأو أكثر من معنى، فقد تكون بمعنى (إلا) وقد تكون بمعنى التعليل كما في (حتى) نحو (سأهجرك أو تكلمه في أمري) أي حتى تكلمه في أمري، ونحو (سأدرس أو أنجح) أي حتى أنجح. وقد تكون للغاية نحو (سأنتظره أو يجيء) أي إلى أن يجيء، ولا يصح (إلا أن يجيء) فهما لا يماثلان.

وكذلك لا يصح تقدير الظرف أي (لا أفعل إلا وقت أن تفعل) فقد ذكر أبو حيان أن المصدر المؤول لا ينوب عن الظرف بل ينوب عنه المصدر الصريح^(١).

ثم إن المعنى ليس عليه وذلك أنه على تقدير الظرف يكون قرن فعله بوقت فعل المخاطب. وهو في الحقيقة لم يقرنه بوقت الفعل بل قرنه بالفعل وذلك أن معنى (لا أفعل إلا وقت أن تفعل) أنه يفعله في وقت فملك وليس في خارج الوقت فإن خرج الوقت فلا يفعل، والحقيقة أنه لم يقرنه بوقت الفعل بل قرنه بالفعل كما ذكرت سواء انقضى الوقت أم لم ينقض. فقد تقول (لا أفعل إلا أن تفعل) وأنت لا تفعل إلا بعد أن ينتهي

(١) البحر المحيط ١٠٢/٨.

فعله أو قد تفعله في وقت الفعل ويوضح ذلك أنك تقول لصاحبك (لا أشرب إلا أن تشرب) وتقصد أنك لا تشرب إلا بعد أن يشرب. فأنت لم تشرب في وقت شربه بل بعده. وقد تقول (لا أنام إلا أن تنام ثم تستيقظ) فلا يصح تقدير: إلا وقت أن تنام ثم تستيقظ لأنه إذا استيقظ فقد ذهب وقت النوم.

ومثله تقدير الباء أي لا أفعل إلا بأن تفعل فإنه لا يصح دوماً، فإنه قد يصح في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاوِرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الذمر: ٣٠] أي لا تشاورون إلا بمشيئته وقوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٦] أي وما يذكرون إلا بأن يشاء الله ولكن لا يصح في نحو (لا أشرب إلا أن تشرب) و (لا أفعل إلا أن تفعل) و (لا أنام إلا أن تنام) إلا على ضرب من التكلف. وهو في الحقيقة من قبل ربط حدث بحدث آخر.

وكذلك إذا استبدلنا حرفاً مصدرياً آخر بـ (أن) فقلنا مثلاً (لا أفعل إلا أنك تفعل) فإن المعنى سيتغير ويكون: أنا لا أفعل إلا لأنك تفعل، فالمعنى: أنا أفعل لأنك تفعل ولا أفعل إلا لذلك.

٥- ﴿وَرَزَقْنَا فِيهَا آيَةً﴾ [الذاريات: ٣٧].

قال الفراء: «معناه: تركناها آية، وأنت قائل للسماء فيها آية وأنت تريد هي الآية بعينها»^(١).

والحق أن المعنى مختلف فإن هناك فرقاً بين قولك (تركت فيها آية) و(تركتها آية) ذلك أن معنى قولك (تركت فيها آية) جعلت فيها آية وربما كان ذلك في مكان ما من أماكنها. أما قولك (تركتها آية) فإنه على معنى العموم أي جعلتها آية. فقد تبني في مدينة ما بنياناً تجعله آية من آيات الفن والجمال فتقول (جعلت في مدينة كذا آية) لأنه واقع فيها. أما إذا جعلت المدينة كلها كذلك فإنك تقول (جعلتها آية)، ففي قولك (تركتها آية) من الشمول والعموم ما ليس في (تركت فيها آية).

(١) معاني القرآن ٨٧/٣.

أما بخصوص التعبير الواحد وما يعتريه من تقديم وتأخير وتوكيد
 وعدمه وذكر وحذف فإنه لا شك في اختلاف معناه في كل حالة من
 الحالات نحو ﴿وَرَزَىٰ أَلْفَاكَ فِيهِ مَوْلَاكَ﴾ [فاطر: ١٢] وقوله: ﴿وَنَسَىٰ
 أَلْفَاكَ مَوْلَاكَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] ونحو قوله: ﴿رَأَىٰ اللَّهَ عَفْوَرًا رَّجِيمًا﴾
 [البقرة: ٢١٨] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩] وما إلى ذلك.
 ولا نريد أن نطيل أكثر من ذلك وإلا فالكلام يطول.





الحمل على اللفظ والمعنى

قد يحمل التعبير على اللفظ وقد يحمل على المعنى وذلك في مواضع مختلفة:

١- من وما: مَنْ وما في اللفظ مفردان مذكران صالحان للمثنى والمجموع والمؤنث سواء كانتا شرطيتين استفهاميتين أم موصولتين، تقول (يعجبني من حضر) وتعني به واحداً أو مثنى أو مجموعاً، وتعني به مذكراً أو مؤنثاً.

فمراعاة اللفظ تعني بها الأفراد والتذكير نحو ﴿وَمَنْ مِّنْ يَّتَّبِعُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٢٥] سواء كان المستمع مؤنثاً أم مذكراً وسواء كان مفرداً أم مثنى أم مجموعاً ونحو (أعجبني من حضر من النساء).

ومراعاة المعنى تعني بها ما يدل عليه الاسم وذلك نحو (أعظ من سألتك) و (أعظ من سألاك) و (أعظ من سألك) فهذا من مراعاة المعنى، ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَّتَّبِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] وكلاهما جائز فلنك أن تراعي اللفظ وأن تراعي المعنى غير أن مراعاة اللفظ أكثر. فإن اجتمعت المراعاتان كثر تقديم مراعاة اللفظ وذلك نحو قوله: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَّتَّبِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [التوبة: ٤٩] فقد قال أولاً ﴿مَنْ يَّتَّبِعُونَ﴾ فحمل على اللفظ ثم قال: ﴿سَعَوْا﴾ للدلالة على أن القائلين جمع لا واحد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَّتَّبِعْ يَتَّبِعْكَ يَتَّبِعْكَ يَتَّبِعْكَ﴾ [الأحزاب: ٣١]. فقد قال أولاً: ﴿وَمَنْ يَّتَّبِعْ﴾ بالحمل على اللفظ ثم قال: ﴿وَمَنْ يَّتَّبِعْ﴾ بالحمل على المعنى.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّائِيں مَن يَشْرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِشَرِّ عَصِيٍّ وَتَضَاهَا هُرُؤًا أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ٦] فقد قال أولاً: ﴿مَن يَشْرِي﴾ بالحمل على اللفظ ثم قال بعدها ﴿أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١) بالحمل على المعنى للدلالة على أن هذا ليس فرداً بل جمعاً.

وغالباً ما يكون الحمل على المعنى بعد الحمل على اللفظ للدلالة على المقصود أهو مفرد أم جمع؟ مذكر أم مؤنث؟ فهو من قبيل البيان بعد الإبهام.

وقد يكون لغرض آخر وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤَيِّنْ بِاللَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا خَلَيْفِينَ نِيهَاً أَبَدًا قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١].

فقد حمل على اللفظ أولاً فقال: ﴿وَمَن يُؤَيِّنْ بِاللَّهِ﴾ ثم حمل على المعنى فقال: ﴿خَلَيْفِينَ نِيهَاً﴾ للدلالة على أن قوله ﴿وَمَن يُؤَيِّنْ بِاللَّهِ﴾ ليس واحداً بل هم جمع من المؤمنين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الجمع هنا أولى من الأفراد لأمر آخر وهو الزيادة في الإنعام ذلك أن الاجتماع أدنى للشعور بالأنس والسعادة بخلاف الوحدة فإنها مملة قاتلة.

ثم عاد إلى الأفراد فقال: ﴿قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ رِزْقًا﴾ للدلالة على رعاية كل فرد بعينه وأن الفرد لا يضيع في غمرة الكثرة فينسى. فقد تقول (أعد فلان لأهل بلده مادة فاخرة ورزقاً حسناً وكانوا خلقاً لا يحصى)، وفي مثل هذا العدد الكثير قد ينال أحدهم ما لا ينال الآخر بل قد لا ينال بعضهم شيئاً لزحمة الاجتماع. فالجمع في ﴿خَلَيْفِينَ﴾ أولى والأفراد في ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ رِزْقًا﴾ أولى.

٢- الإخبار بالذي وإتي فروعهما: إذا أخبرت ب (الذي) عن متكلم أو مخاطب جاز لك مراعاة الحضور أو الغيبة فتقول (أنا الذي فعل) و (أنا الذي فعلت) و (أنت الذي فعل) و (أنت الذي فعلت) و (أنتم الذين فعلوا)

(١) انظر المساعد ١/ ١٥٩-١٦٢، الرضي ٢/ ٥٥-٥٦.

و (أنتم الذين فعلتم). ومراعاة الغيبة هو مراعاة اللفظ، ومراعاة التكلم أو الخطاب هو مراعاة المعنى^(١). ومراعاة الغيبة أكثر. فمن مراعاة المعنى قوله:

أنا الذي فررت يوم الحرة والشيوخ لا يفر إلا مرة
وقوله:

أنا الذي سميتي أمي حيدة
وهذا من الحمل على المعنى.
ومن مراعاة اللفظ قوله:

نحن الذون صبحووا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا
فحمل على اللفظ. فإن كان هناك ضميران جاز حمل أحدهما على اللفظ والآخر على المعنى نحو (أنا الذي قال كذا وأكرمت زيدا) ومنه قول بعض الأنصار:

نحن الذين بايمروا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا^(٢)
فحمل على اللفظ أولاً فقال (بايمروا) وحمل على المعنى فقال (ما بقينا أبدا).

٣- الإخبار بموصوف بفعل أو باسم موصول فيجوز مراعاة اللفظ والمعنى نحو (أنت رجل تفعل كذا أو يفعل كذا) و(أنا رجل أعطي الجزيل أو يعطي الجزيل).

و(أنتم رجال تقولون الحق أو يقولون الحق).

وكذا الوصف بالاسم الموصول نحو: أنت الرجل الذي فعلت أو فعل.

(١) انظر الرضي ٤٣/٢.

(٢) انظر الرضي ٤٣/٢، المساعد ١/١٥٦-١٥٧.

كل ذلك جائز^(١).

٤- الضمير: قد يعود الضمير على اللفظ وقد يعود على المعنى وذلك في مواطن منها:

أن يكون اللفظ مفرداً ومعناه جمع كالأمة والفريق والطائفة والزمرة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُونَ﴾ [الحجر: ٥] فأخرج الكلام أولاً على لفظ (الأمة) وهو مؤنث فقال (تسبق) وأخرجه على معنى الرجال فقال: ﴿وَمَا يَسْتَجِرُونَ﴾ فحمل على اللفظ أولاً ثم حمل على المعنى فيما بعد. ويصح أن يقال في غير القرآن (وما تستأخر) ونحوه قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أَنَّهُ رَسُولٌ كَذَّبُوهُ﴾ [المؤمنون: ٤] فأعاد الضمير على الأمة بالتأنيث فقال: ﴿رَسُولًا﴾ ثم حمل على المعنى فيما بعد فقال: ﴿كَذَّبُوهُ﴾ ولو قيل كذبه كان صواباً^(٢).

وقال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] فأعاد الضمير على المعنى ولو قال (تدعو) كما قال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤] لكان صواباً.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] فأعاد الضمير على المعنى لأن الفريق جمع ولو قيل (يختصمان) على اللفظ لكان صواباً، فإنه يصح أن تقول (الفريق يلعب والفريق يلعبون) مراعاة للفظ أو للمعنى.

وقال: ﴿وَلَتَأْتِيَنَّ طَائِفَةٌ أُخْرَفَ لَرُّ يُسْأَلُوا فَيُصَلُّوا مِمَّا مَلَكَ﴾ [النساء: ١٠٢] فحمل على اللفظ فقال: ﴿وَلَتَأْتِيَنَّ﴾ وقال: ﴿أُخْرَفَ﴾ ثم حمل على المعنى فيما بعد فقال: ﴿لَرُّ يُسْأَلُوا﴾.

ومنها أن يأتي ضمير الغائبين كضمير الغائبة في جمع التوكير فيعود عليه الواو حملاً على اللفظ أو الشاء لتأوله بالجماعة فتقول (الرجال خرجوا)

(١) انظر المساعد ١/١٥٧.

(٢) انظر معاني القرآن ٢/٨٤.

و (الرجال خرجت) (١) ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (البقرة: ١٠٢) [المرسلات: ١١]. قال تعالى: ﴿وَلِكِنَّ الْأَبْتَابِ كَثُرُوا﴾ (البقرة: ١٠٢) فأعاد الضمير على الشياطين بالواو، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أُرْسِنَا الْأَشْيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوَّعْتُمْ أَنَا﴾ [مريم: ٨٣] فأعاد عليها ضمير المفردة الغائبة فقال: ﴿تَوَّعْتُمْ﴾ ولو قيل (يؤززونهم) لكان صواباً.

وقال: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمٰنِ إِلٰهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] فأعاد على الآلهة الواو.

وقال في مكان آخر: ﴿أَنزَلْنَاهُمْ مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣] فعاملها معاملة المفردة الغائبة، ولو قيل (يمنعونهم) كما قال (يعبدون) لكان صواباً.

وكذلك اسم الجمع للمعاقل فقد يعود عليه الواو حملاً على المعنى وقد يعود عليه ضمير المفرد فتقول: الرهط خرجوا، والرهط خرج، والركب سافروا، والركب سافر^(٢).

وقد يعود الضمير على واحد مما تعدد أو على المعنى نحو ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَبْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] فقد أعاد الضمير في ﴿يَبْفِقُونَهَا﴾ على الفضة وقيل على الأموال وهو حمل على المعنى لأن الذهب والفضة أموال. ولو أعادها على اللفظ فقال (يبتفونهما) لكان صواباً.

ونحو: ﴿وَأَلَّهِ رَسُوْلُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] فأعاد الضمير على الله لأن من أرضى الله فقد أرضى رسوله وإن إرضاءهما واحد.

٥- تذكير المؤنث وتأنيث المذكر: فقد يذكر المؤنث ويؤنث المذكر حملاً على المعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قيل ذكر الموعظة لأنها بمعنى الوعظ. ومنه قوله:

(١) المساعد ٨٨/١، الهمع ٥٩/١.

(٢) الهمع ٥٩/١.

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت
فأنت الصوت لأنه ذهب إلى معنى الاستغاثة. وحكى الأصمعي عن
أبي عمرو أنه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوب جاءته كتابي
فاحتقرها، فقلت له: أتقول جاءته كتابي؟ فقال: نعم أليس بصحيفة!

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَلَّمَا رَمَا الْقَمَسَ بِأَيْحَةَ قَالَ هَذَا رَقِي﴾
[الأنعام: ٧٨] أي هذا الشخص أو هذا المرئي^(١) ولو قبل في غير القرآن
(هذه ربي) على إرادة اللفظ لصح، فإنه يصح أحياناً أن تذكر أو تؤنث
بحسب القصد فإنك قد تسمع صوتاً فتقول: ما هذا؟ أي ما هذا الصخب أو
الصوت أو الضجيج. وقد تقول: ما هذه؟ أي ما هذه الضوضاء والضجة؟
قال الشاعر:

وتشرق بالأمر الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
فأنت الصدر لأن صدر القناة قناة^(٢).
وقال:

يا بشر بنر بني عدي لأنزحن قعرك بالدلسي
حتى تعودني أقطع الولي
أي حتى تعودني قليلاً أقطع الولي لأن التذكير في القلب أكثر.
قال أبو علي ومثله في الحمل على المعنى قول الأعشى:
يقوم وكانوا هم المنفديين من شرابهم قبل إنفادها
أنت الشراب حيث كان الخمر في المعنى^(٣).

ويصح أن يقول قطعاء الولي، ويقول (قبل إنفاده) حملاً على اللفظ.

(١) انظر الخصائص ٤١١/٢ وما بعدها.

(٢) انظر الخصائص ٤١٧/١.

(٣) الأمالي الشجرية ١٥٨/١.

رجاء في (معاني القرآن) أن بعض الأعراب قال لرجل أقصم الثنية: قد جاءتكم انقصماء، ذهب إلى سئه^(١). وغير ذلك.

٦- العطف على المعنى: وذلك نحو قوله:

بدا لي أنني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جاثياً
فقد عطف (سابق) على تقدير الباء في (مدرك) فكأنه قال: (لست بمدرك ما مضى ولا سابق شيئاً) فهو عطف على معنى الباء، ولو عطف على اللفظ فقالها بالنصب جاز وهو الأكثر.

وقوله:

وما زرت سلمى أن تكون حبيبة إلي ولا دين بها أنا طالبه
جر (الدين) لأنه صار كأنه قال: وما زرت سلمى لأن تكون حبيبة^(٢).
فهو على معنى اللام.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَّ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]
فجزم (أكن) على معنى الشرط ولو نصبه عطفاً على لفظ (أصدق) لصح.

ونحوه أن تقول (مررت بمحمدي وخالداً) وذلك على تقدير فعل بمعنى (مررت) أي جاوزت أو أتيت ونحوهما، ولو حملته على اللفظ لكان هو الأصل. جاء في (الكتاب):

ولو قلت: مررت بعمرو وزيداً لكان عريباً، فكيف هذا؟ لأنه فعل والمجرور في موضع مفعول منصوب ومعناه (أتيت) ونحوها فيحمل الاسم إذا كان العامل الأول فعلاً وكان المجرور موضع المنصوب على فعل لا ينقض معناه كما قال جرير:

جشني بمثل بني بدر لقومهم أو مثل أسرة منظور بن سيار

(١) معاني القرآن ٢٠٩/١.

(٢) الكتاب ١/ ٤١٨-٤١٩، ١/ ١٥٤-١٥٥.

ومثله قول العجاج:

يذهب في نجد وغوراً غائراً

كأنه قال: ويسلكن غوراً غائراً^(١).

ويصح الحمل في كل ذلك على اللفظ.

إلى غير ذلك مما يحمل على اللفظ والمعنى.

وهناك أمر أورد أن أنه عليه وهو مسألة الكثرة والقلّة، والترجيح في اختيار أحد الوجهين كترجيح الحمل على اللفظ على الحمل على المعنى، أو غير ذلك مما يذكره النحاة ويرجعون فيه وجهاً على وجه.

والذي يبدو لي أن ليس وجه أرجح من وجه بل إنما يكون ذلك بحسب المعنى والتقصّد وحسبما يقتضيه السياق والمقام ما لم يكن ذلك لغة مرجوحة، ولذلك نرى القرآن قد يحمل على المعنى ابتداءً على الرغم من كثرة حمله على اللفظ، فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَفْضُورُ لَمْ يَسْمُرْ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الأنبياء: ٨٢] فحمل على المعنى ابتداءً مع أنه قال في موطن آخر ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَّعُوا بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [سبأ: ١٢] فحمل على اللفظ. وقال: ﴿وَمِنَهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢] فحمل على المعنى. وقال: ﴿وَمِنَهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٣] فحمل على اللفظ.

وعلى مقتضى قول النحاة كان الأولى أن يقول (ومن الشياطين من يغوص) وأن يقول (ومنهم من يستمع إليك) كما قال في موطن آخر.

واليك ما يوضح هذا الأمر.

قال تعالى: ﴿وَمِنَهُمْ مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [٤٢] ﴿وَمِنَهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّرْمَةَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ [٤٣]

(١) الكتاب ١/ ٤٨-٤٩.

مع أنه قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِجِلُ إِلَيْكَ وَجَمَعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
مَآذِنِهِمْ وَرَفَأْنَا رُؤُوسَهُمْ وَأَنزَلْنَا رُؤُوسَهُمْ وَأَنزَلْنَا رُؤُوسَهُمْ وَأَنزَلْنَا رُؤُوسَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِجِلُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَعُوا مِنَ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مَاذَا قَالَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَتَعَوَّاْ آهْوَاءَهُمْ﴾ (١٦) [محمد: ١٦].

فقد قال في آية يونس: ﴿يَسْتَعِجُونَ﴾ وقال في آيتي الأنعام ومحمد
﴿يَسْتَعِجُ﴾، وقد اقتضى كل مكان اللفظ الذي ورد فيه.

أما قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِجُونَ إِلَيْكَ أَفَأنتَ﴾ فقد ذكرنا في كتاب (التعبير
القرآني) الفرق بينه وبين قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ومما قلنا في ذلك أنه
قال: ﴿يَسْتَعِجُونَ﴾ بلفظ الجمع وقال بعده: ﴿يَنْظُرُ﴾ بلفظ المفرد وذلك أن
المستمعين أكثر من الرائيين على وجه العموم. ألا ترى أننا نستمع إلى أناس كثير
لا نراهم في الإذاعات وأشرطة التسجيل وغيرها من وسائل السمع.

فجمع المستمعين لأنهم أكثر وإن كان لفظ (من) يحتمل الجمع
والمفرد. وذكر الكرمانى أنما فرق بينهما «لأن المستمع إلى القرآن كالمستمع
إلى النبي ﷺ بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ
المعنى.

ووحده ﴿يَنْظُرُ﴾ حملاً على اللفظ إذ لم يكثروا كثرتهم^(١).

وربما كان ذلك لسبب آخر علاوة على ما ذكر فإن التأثر بالدعوة
يكون بحسب أثر الاستماع لا بحسب الرؤية، فوحد النظر لأن رؤيته ﷺ
واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الرائيين.

وجمع الاستماع لأن الاستماع يختلف أثره من شخص لآخر، فالكلام
تختلف مواقفه من مستمع لآخر ولذلك وحد الرائيين لأنهم يرون شيئاً واحداً
وجمع المستمعين لأن أثر ذلك مختلف عندهم^(٢).

(١) انظر البرهان ١٨٤، ٢٣٩.

(٢) التعبير القرآني ٤٦.

وقد تقول: ولم أفرد الاستماع في آيتي الأنعام ومحمد؟

والجواب - والله أعلم - أن المستمعين في آية يونس أكثر وأن مواقع الاستماع مختلفة في قلوب السامعين بخلاف المستمعين في آيتي الأنعام ومحمد، ذلك أن المستمعين في آية الأنعام على نمط واحد وهم من الكفرة الذين لا يفقهون ولا يسمعون فقد قال فيهم:

١- ﴿رَسُولَنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ .

٢- ﴿وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ إِذْ أَنْزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كَافِرُونَ﴾ .

٣- ﴿وَلَنْ يَرَوُا سَكْرًا مَلِيًّا وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ .

٤- وذكر صفات أخرى تريد في عنادهم وكفرهم.

فهؤلاء كأنهم مستمع رافض واحد. فمواقع الاستماع عندهم واحدة.

وكذلك ما جاء في آية محمد فقد قال فيهم:

١- ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاذَا قَالَ نَارِيتُمْ؟﴾ أي

كانهم لم يسمعوا شيئاً.

٢- ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ .

٣- ﴿وَاتَّبَعُوا آهْوَاءَهُمْ﴾ .

وهؤلاء نظير السابقين كأنهم مستمع رافض واحد ومواقع الاستماع

عندهم واحدة. وليس الأمر كذلك في آية يونس، فقد قال قبل هذه الآية:

﴿وَيَسْمَعُونَ مِمَّن دُونِهِمْ لَأَنْ يُدْعُوا بِأَنْفُسِهِمْ يُدْعُونَ﴾ [يونس: ٤٠].

وعلى هذا فالمستمعون هنا أكثر من صنف: صنف مؤمن وصنف

كافر. ثم إنه لم يصف المستمعين هنا بما وصف به المستمعين في آيتي

الأنعام ومحمد فإنه قال: ﴿وَيَسْمَعُونَ مِمَّن دُونِهِمْ لَأَنْ يُدْعُوا بِأَنْفُسِهِمْ يُدْعُونَ﴾ .

فإنه لم يصف المستمعين بشيء ولم يقل أن هذا شأنهم بل

عقب بقوله: ﴿أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُونَ الَّذِينَ لَا يَسْمَعُونَ﴾ . ولم يذكر أنهم

كذلك بخلاف ما ذكر في آية الأنعام فقد قال فيهم: ﴿رَسُولَنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

أَكْتَفَى... إلخ، وما ورد في آية محمد فقد قال فيهم: ﴿وَمَنْ مِّنْ يَّبْتَئِجُ بِذِيكَ حَقًّا إِنَّا خَرَجْنَا مِنْ عِبْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مَاذَا قَالَ مَا إِنَّا أُولَئِكَ الْآلِينَ مَعَ اللَّهِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فوحد المستمعين في آيتي الأنعام ومحمد لأنهم صنف واحد ولأن مواقع الكلام في نفوسهم واحدة وكانهم مستمع واحد، بخلاف ما في يونس فقد جمع المستمعين لأنهم أكثر من صنف ولأن مواقع الكلام مختلفة في نفوسهم ولكل مقام مقال.

فالحمل على اللفظ في آيتي الأنعام ومحمد أولى، والحمل على المعنى في آية يونس أولى، والله أعلم.

وهذه إشارة إلى شيء من أسباب الاختلاف تهدي إلى ما وراءها وإلا فالكلام يطول.

الخروج على مقتضى الظاهر

قد يخرج الكلام على مقتضى الظاهر ومن مواطن ذلك:

١- المجاز: فالمجاز بكل أنواعه خروج عن الظاهر كقولنا: (يحيي الله الأرض بعد موتها) وقوله تعالى: ﴿وَأَنْخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤] وقوله: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَيْلِيلٍ وَالتَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ونحو قوله:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم
ونحو قولهم: موت مائت وشيب شائب وشعر شاعر.

كل ذلك خروج على الظاهر.

٢- مخالفة ظاهر اللفظ للمقصود من العبارة كقولهم عند المدح: قاتله الله ما أشعره، وثكلته أمه ما أشجعه، وويلته مسعر حرب. فهذا لا يراد وقوعه وإنما يقال عند التعجب من فعل يفعل^(١).

ومن هذا قولهم: عاد فلان شيخاً. وهو لم يكن شيخاً قط. وعاد

(١) انظر الزمر ١/٣٣١.

الماء آجنا وهو لم يكن آجناً فيعود، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبُّهُ إِنَّ أَوْلَىٰ لِأَنْتُمْ﴾ [الحج: ٥] وهو لم يكن في ذلك قط^(١).

٣- إسناد الفعل إلى غير فاعله في الحقيقة وذلك نحو قولهم: يريد الحائط أن يقع وفلان يريد أن يموت قال تعالى: ﴿فَوَجَدْنَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] وليس للجدار إرادة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿لَا يَنْتَعِبُكُمْ السَّيِّئُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧] فنهى الشيطان وأسند الفعل إليه، والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون والمقصود: لا تفتنوا بالشيطان. ومنه قوله: ﴿لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩] وحقيقة المعنى: لا تلتهاوا بالأموال والأولاد. فنهى الأولاد والأموال، والمنهي في الحقيقة هم المخاطبون.

٤- وضع الخبر موضع الطلب في الأمر والنهي نحو قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ سَوَاءً كَأُمَّهَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي ليرضعن، وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَرَقَتْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوبٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أي ليربصن. وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] أي لا تعبدوا، فعبّر بالنهي عن النهي^(٢).

وقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي لا تكرهوا فوضع النهي موضع النهي.

٥- وضع الطلب موضع الخبر كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي السَّلْطَةِ يَمِينًا لَهُ الرَّحْمَنُ مَنًّا﴾ [مريم: ٧٥] أي يمد^(٣).

٦- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وبالعكس: قد يعبر عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي وعن الأحداث الماضية بالفعل المضارع، وهو خلاف مقتضى الظاهر. فمن التعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل

(١) فقه اللغة وسر العربية ٥٧٧-٥٧٨، المزمع ١/٣٣٠.

(٢) انظر البرهان ٣/٣٤٧.

(٣) البرهان ٣/٣٥٠.

الماضي قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَصَاحِبًا﴾ [الكهف: ٤٧] وقوله: ﴿وَرَبِّكَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبِّهُمْ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَمَا نَزَّلْنَا آلِهَةَ لَهُمْ﴾ [الزمر: ٧٣].

ومن التعبير عن الأحداث الماضية بالفعل المضارع قوله تعالى: ﴿رَأَيْبُوا مَا تَلَّوْا لِلْغَيْبِ عَلَىٰ مَلِكٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَحْبِسَنَا اللَّهُ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٩١].

٧- مخاطبة الواحد بلفظ الاثنين: قد تخاطب العرب الواحد بلفظ الاثنين فنقول له: افعل. وتقول للرجل: قوما عتا. قال الفراء: سمعت بعضهم يقول: دويحك ارحلها وازجرها، وأنشدني بعضهم:

فقلت لصاحبي لا تحببنا
بنزع أصوله واجتز شبحا^(١)

قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ خِزْيَانٍ لِّغَيْبٍ﴾ [ق: ٢٤] وهو خطاب لمالك خازن النار^(٢).

٨- مخاطبة الواحد بلفظ الجمع، فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري. قيل: ومنه في القرآن الكريم ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [المؤمنون: ٩٩]^(٣).

٩- ذكر المتكلم نفسه بلفظ الجماعة للتعظيم كأن يقول: نحن فعلنا^(٤). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ وَنُؤْتِيهِم مَّا يَلْتَمِسُونَ﴾ [٤٣].

١٠- وقوع الجمع موقع المثنى وذلك إذا أضيف المثنى إلى متضمنه نحو: قطعت رؤوس الكيشين أي رأسيهما، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَذَرْتُمْ قُلُوبَكُمْ﴾ [التحریم: ٤]^(٥) والقياس: قلبكما.

(١) معاني القرآن ٧٨/٣، فقه اللغة وسر العربية ٤٩٠.

(٢) الصحاحي ٢١٣، فقه اللغة وسر العربية ٤٩٠.

(٣) الصحاحي ٢١٣، فقه اللغة وسر العربية ٤٨٩، المزمهر ١/٣٣٢.

(٤) الرضي على الكافية ٧/٢.

(٥) الكتاب ٢٠١/٢، الرضي ١٧٦/٢، المساعد ٧١/١، الهمع ٥٠/١.

ومن الجمع الذي يراد به الاثنان قولهم: امرأة ذات أورك، ورجل غليظ الحواجب وشديد العرق وعظيم المناكب^(١).

١١- وقوع المفرد موقع الجمع والمنى كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جِنْدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨] جاء في (معاني القرآن) في هذه الآية: «وقد وُحِدَ الجسد ولم يجمعه وهو عربي لأن الجسد كقولك شيئاً مجسداً لأنه مأخوذ من فعل فكفى من الجمع... ولو قيل (لا يأكل الطعام) كان صواباً تجعل الفعل للجسد كما تقول: أنتما شيئان صالحان وشيء صالح وشيء صالحان»^(٢).

وقال تعالى: ﴿سَيَبْرَأُ لَجَمْعٍ وَّوَلُونَ الدُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٥] وُحِدَ الدبر والقياس الأدبار جاء في (معاني القرآن): «وقال الدبر فوُحِدَ ولم يقل الأدبار. وكل جائر صواب أن تقول: ضربنا منهم الرؤوس والأعين، وضربنا منهم الرأس واليد»^(٣).

وقال في مكان آخر: ﴿إِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا زَعَمًا فَلَا تُؤَلَّفُ لَهُمْ آدَابًا﴾ [الأنفال: ١٥] وكل صحيح إلا أنه وُحِدَ في آية القمر لأنه جعل هزيمتهم كهزيمة رجل واحد تفضيلاً لهزيمتهم.
وقال الشاعر:

بني الشامتين الصخر إن كان هذني رزية شبلني مُخدر في الصراغم
رلم يقل بأفواه^(٤) ولو قال لكان صواباً.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): «وقد يقع المفرد موقع الجمع كقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ خِندًا﴾ [مریم: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠] وذلك لجعلهم كذات واحدة في الاجتماع

(١) المزهر ١/٣٣٣، ٢/١٩١.

(٢) معاني القرآن ٢/١٩٩.

(٣) معاني القرآن ٣/١١٠.

(٤) معاني القرآن ٢/١٠٢.

والترافد^(١).

وقد يقع المفرد موقع المثنى في كل اثنين لا يعني أحدهما عن الآخر كأن نقول: حاجبه غليظ وحاجباه غليظان، جاء في (المساعد): «ورعاقب الأفراد الثنائية في كل اثنين لا يعني أحدهما عن الآخر وذلك كالعينين والأذنين فنقول: عيناه حسنة وعينه حسنتان وعينه حسنة والأصل عيناه حسنتان... وربما تعاقبا مطلقاً أي وإن لم يكونا مما سبق نحو ﴿فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]»^(٢).

١٢- تذكير المؤنث وتأنيث المذكر وذلك كقوله تعالى: ﴿تَنْ جَاءُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ذكر الموعظة على تأويلها بالوعظ وكقوله: إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً فعامل الإنارة معاملة المذكر فأخبر عنها بالمذكر.

ومن تأنيث المذكر قوله:

وتشرق بالأمر الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم^(٣)
وهذا كله خلاف مقتضى الظاهر.

١٣- تنزيل غير العاقل منزلة العاقل ومنه قوله: ﴿إِن رَأَيْتَ أَحَدَ عَشَرَ كُوفًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتَهُم لِي سَجِيدًا﴾ [يوسف: ٤] فجاء بـ ﴿سَجِيدًا﴾ جمع مذكر سالماً وهو جمع خاص بالعقلاء.

وقوله ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبِئُ مَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْبُرُوجُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] فأسند إليهما الفعل ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بواو الجماعة وهو خاص بالعقلاء.

١٤- إجراء الأسماء المختلطة بعضها على بعض وإن صلح لبعضها ما

(١) الرضي على الكافية ١٧٧/٢.

(٢) المساعد ١/ ٧٢-٧٤.

(٣) انظر الريحان ٣/ ٣٥٩، ٣٦٥.

لم يصلح للآخر كقوله (شُرَّابِ ألبان وتمر وأنط) «فالتمر والأقط لا يقال فيهما شُرَّاباً، ولكن أدخلهما مع ما يشرب فجرى اللفظ واحداً والمعنى أن ذلك يصير إلى بطونهم»^(١). ومن ذلك أن تقول: (قد أصاب فلان المال فبنى الدور والعبيد والإماء واللباس الحسن) «فقد ترى البناء لا يقع على العبيد والإماء ولا على الدواب ولا على الثياب ولكنه من صفات اليسار فحسن الإضمار لما عرف»^(٢).

ومن ذلك قوله:

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ررمحا
أي وحاملاً رمحاً. وقوله:

إذا ما الغنائيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا
أي وكحلن^(٣).

١٥- الالتفات: وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر^(٤) كالانتقال من التكلم إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] فانقل من التكلم إلى الخطاب فلم يقل (وإليه أرجع).

والانتقال من التكلم إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْنَرِ﴾ [١- ٣] ولم يقل (فصل لنا) تحريضاً على فعل الصلاة لحق الربوبية^(٥).

ذلك أنه لا تكون الصلاة لكل من أعطى لذا لم يعلقها بالعطاء وإنما جعلها لمستحقها فذكر اسم الرب وهو المستحق لها. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا﴾

(١) المتضرب ٥١/٢.

(٢) معاني القرآني ١٣-١٤.

(٣) الخصائص ٢ / ٤٣١-٤٣٣.

(٤) البرهان ٣/٣١٥.

(٥) البرهان ٣/٣١٧.

فَتَحَا لَكَ فَمَا يُبَيِّنُ ﴿١﴾ لِيُنْفِرَ لَكَ اللَّهُ. ﴿ [الفتح: ١، ٢] فانتقل من التكلم إلى الغيبة فلم يقل (لنفر لك) وتعليقاً لهذه المغفرة التامة باسمه المتضمن لسائر أسمائه الحسنى ولهذا علق النصر به فقال ﴿وَنَصْرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: ٣]»^(١).

ومنه الانتقال من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتَ بِكُمْ الْإِجْرُ لَسَّٰتُمْ يَوْمَئِذٍ بِرَبِّكُمْ﴾ [يونس: ٢٢] فانتقل من الخطاب إلى الغيبة فلم يقل (وجرين بكم) ذلك أنهم عندما ركبوا في الفلك وجرين بهم أصبحوا غائبين لا مخاطبين.

ومنه الانتقال من التكلم إلى الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ مَوَاكِبًا فَتُقَاتِلُ فِيهَا مَا كَلَِمْتُمْ لَمْ تَحِثُّ بِهِ إِلَّا بِأَنَّكُمْ لِيَوْمِكِذِّبْتُمْ﴾ [فاطر: ٩] فانتقل من الغيبة إلى التكلم^(٢).

إلى غير ذلك من مواطن الالتفات.

١٦ - القلب: وذلك كقولهم (أدخل فوه الحجر) و(أدخلت القلنسوة في رأسي) و(أدخلت الخاتم في أصبعي) فهذا من القلب والأصل أن يقال أدخل فاه الحجر وأدخلت رأسي في القلنسوة وأدخلت أصبعي في الخاتم.

١٧ - الأخبار عن مبتدأ ومعطوف عليه بفعل لأحدهما واقع على الآخر نحو (عبدالله والريح يباريها) ونحو قولك (محمد والخشبة ينشرها) فهذا خروج عن مقتضى الظاهر ذلك لأن (عبدالله) مبتدأ و(الريح) معطوف عليه والخبر عن أحدهما ومعلوم أنه لا يصح أن تقول (محمد وخالد حاضر) بل يجب أن تقول: حاضران.

وهذا التعبير منعه قوم وأجازوه آخرون واستدلوا على صحته بقول الشاعر:

(١) اليرمان ٣/٣١٦.

(٢) انظر الإفصاح ٧/١، اليرمان ٣/٣١٥ وما بعدها.

واعلم بأنك والمنية شارب بعقارها^(١)

وخرجه بعضهم على حذف الخبر.

وعلى آية حال هو خروج عن مقتضى الظاهر.

١٨ - استعمال القلة بمعنى النفي كقولهم (قلما أراه) بمعنى لا أراه.

و(قلما سرت حتى أذخلها) بمعنى ما سرت، وقولهم (أقل رجل يقول ذلك) أي ما رجل. وهو خلاف الظاهر.

١٩ - استعمال (كذب) للإغراء. يقال كذبت كذا وكذب عليك كذا بمعنى الزمته، يقولون: كذب عليك الحج وكذب عليك العمل وكذبك العمل أي الزم الحج والزم العمل. وظاهر أن (كذب) يبعد ظاهره عن باب الإغراء^(٢).

٢٠ - الجوار نحو هذا جحر ضب خرب ونحو قوله:

كأنما ضربت قدام أعينها قطناً بمستحصد الأوتار محلوج
وقوله:

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب
وهذا خروج عن مقتضى الظاهر إذ القياس يقتضي رفع (خرب) ونصب (محلوج) و (غير). إلى غير ذلك من المواطن التي يخرج فيها الكلام عن مقتضى الظاهر.



(١) انظر الهمع ١٠٧/١ وما بعدها، المساعد ٢١٦/١.

(٢) انظر المزمع ٦٦/١ - ٦٧، ٣٨٢/١.



الاحتياط للمعنى

إن العرب إذا أرادت تثبيت معنى من المعاني وأرادت تمكينه في النفس احتاطت له^(١) واجتهدت في تثبيته والتمكين له وإحاطته بسياج يمنع المخاطب من أن يقع في الوهم أو أن ينصرف ذهنه إلى معنى آخر أو أن يفوت عليه شيء من المعنى. ومن بين هذه الطرائق التي اتبعتها للاحتياط للمعنى:

١- الإعراب: قد تكون عبارة تحتمل أكثر من وجه إعرابي، ويحتمل أحد وجوهها أكثر من معنى، والوجه الآخر ينص على معنى معين، فإذا أرادت التنصيص على هذا المعنى عدلت عن الوجه المحتمل إلى الوجه الذي ينص على المعنى المراد. ومن ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ شُعَيْبًا أَحْصَيْنَهُ فِي إِمَامِهِ مُبِينٌ﴾ [يس: ١٢] فإن المعنى برفع (كل) يحتمل أنا أحصينا كل شيء في إمام مبين ويحتمل أن يكون (أحصيناه) صفة لـ (شيء) والخير الجار والمجرور، فيكون المعنى أن الشيء الذي أحصيناه هو في إمام مبين. ويحتمل على هذا التقدير أن ما لم يحصه ليس في إمام مبين، ويكون المعنى على هذا أنه أحصى أشياء وأشياء أخرى لم يحصها.

وإن التعبير بنصب (كل) لا يحتمل إلا معنى واحداً وهو أنا أحصينا كل شيء في إمام مبين، فلما أراد التنصيص على هذا المعنى احتاط لذلك فقالها بالنصب ولم يقلها بالرفع لئلا يقع في النفس الاحتمال الآخر.

(١) انظر الخصائص ١٠١/٣.

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿١٩﴾ [النجم: ٤٩] فإنه قالها بنصب (كل) احتياطاً للمعنى وتثبيتاً له في النفس ولم يقلها بالرفع لئلا يقع في النفس احتمال آخر وهو أن الشيء الذي خلقناه إنما هو بقدر، وأما الشيء الذي لم نخلقه فمسكوت عنه فيؤدي ذلك إلى أن ثمة أشياء لم يخلقها هو وإنما خلقها غيره تعالى الله عن ذلك.

ومثله أن تقول (عندي راقود خلّ وراقودُ خلّاً) فبالإضافة يحتمل أن عنده الوعاء ويحتمل أن عنده الخل، وبالنصب لا يحتمل إلا أن عنده خلّاً ولا يصح أن يكون عنده راقود ليس فيه خل. فإذا أراد أحد هذا المعنى تنصيهاً احتاط للأمر فقاله بالنصب ولا يقوله بالجر لئلا ينصرف الذهن إلى دلالة أخرى.

ونحو هذا كثير.

٢- وضع الظاهر موضع المضمَر: وذلك أن الظاهر تصريح بالاسم وأما الضمير فهو كناية عنه، فإذا أرادت العرب العناية بذكر الاسم الظاهر وبيان أن الحكم متعلق به ذكرته وأعادت ذكره احتياطاً للمعنى، وذلك أنه إذا ذكر الاسم ثم جاء بعده كلام فقد يكون المخاطب لم يسمع الاسم أو ينصرف ذهنه إلى غيره فتحاط لذلك بأن تكرر لتقوية المعنى وتثبيته وإزالة اللبس عنه ورفع احتمال التوهم فيه وذلك كقوله تعالى: ﴿سَأَلِيهِ سَقَرًا﴾ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّبِعُ وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٨] فإنه كرر (سقر) ولم يقل: وما أدراك ما هي؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي النَّهْمَةِ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا النَّهْمَةُ ﴿٢﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْجُودَةُ ﴿٣﴾ [الهمزة: ٤ - ٦] فقد كرر اسم (الخطمة) وأعادها ولم يقل: ما هي؟ فأنت ترى أنه كرر اسم سقر والخطمة وأعادها بلفظهما احتياطاً للمعنى وتثبيتاً له في النفس ولم يقل كما قال في سورة القارة: ﴿فَأَنظُرْهَا كَأَن يَبْصُرُهَا فَسَوَاءٌ عَلَيْهَا﴾ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٢﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١٣﴾ [القارة: ٩ - ١١]. وقد تقول: ولم أراد ههنا الاحتياط والتثبيت في النفس ولم يفعل ذلك في آية القارة؟

والجواب واضح من السياق وهو أنه عندما ذكر (سقر) تكلم عليها وذكر بعض صفاتها فقال ﴿سَاتِيهِ سَقَرٌ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٦٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٦٨﴾ نَارٌ يُنَادِي بِهَا نَارُ ﴿٦٩﴾ عَيْنًا يُنْعَمُ عَنْهَا ﴿٧٠﴾ وَمَا حَمَلْنَا خِزْيًا إِلَّا سَلَاجَةً... ﴿٧١﴾

وكذلك عندما ذكر الحطمة فقد قال: ﴿كَلَّا لَيَكْبَدُنَّ فِي الْعُظْمَةِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُظْمَةُ ﴿٢﴾ نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَلْجَأُ الْكُفْرَانُ عَلَيْهَا نَارُ اللَّهِ مَثُودَةٌ ﴿٣﴾ فِي سَعْدٍ مُنْدَدَةٍ ﴿٤﴾

في حين لم يزد في سورة القارعة على أن قال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٥﴾ نَارٌ حَابِيَةٌ ﴿١٦﴾

ففي آيات المدثر والهمزة من الاهتمام والعناية بالمعنى ما يدعو إلى إعادة الذكر والتصريح بالاسم الظاهر دون الضمير. ومعلوم أن الاسم الظاهر أبلغ وأقوى من الضمير كما هو مقرر في العربية.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَلْقَىٰ أَنْزِلَهُ وَيَلْحَقُ زُلَّ ﴿١٠٥﴾ [الإسراء: ١٠٥] ولم يقل (ويه نزل) تشبيهاً لمعنى الحق والنزول به، ألا ترى أنه لم يصرح به في موطن آخر لأنه لم يقتضِ هذا التمكن في النفس، فقد قال تعالى:

﴿وَمِن قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩] ولم يقل (وبالحق يعدلون) كما قال في شأن القرآن الكريم، ذلك أن الفرق كبير بين المقامين. فإن المقام في سورة الأعراف في الكلام على بني إسرائيل وضلالهم وعنادهم وعبادتهم العجل مما لا يقتضي تكرار الحق في حين أن الكلام في آية الإسراء على القرآن وعلوه ورفعة مكانته قال تعالى: ﴿وَيَلْقَىٰ أَنْزِلَهُ وَيَلْحَقُ زُلَّ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَرْجَهُ إِنْقِرَارًا عَلَى الْآلِينَ عَلَىٰ مَكِّهِ وَقَوْلَهُ نَنْزِيلًا ﴿١٥٦﴾ قُلْ مَا سَأُرَا بِهِمْ أَوْ لَا تَوَسُّمًا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴿١٥٧﴾ وَقَوْلُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٥٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَرْيَدُونَ حِشْرًا ﴿١٥٩﴾ [الإسراء: ١٥٥ - ١٥٩].

وانت في غنى عن أن أبين لك أي المقامين يقتضي تكرار الحق وتشبيه في النفس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا يَهْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا يَهْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ [الأعراف: ٩٢] فكرر ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا﴾ ولم يقل (الذين كذبوا شعيباً كأن لم يفتنوا فيها وكانوا هم الخاسرين) ذلك أن التكرار أفاد حكيمين:

الأول: إن المكذبين كان لم يفتنوا فيها وهم في الحقيقة قد غنوا في أثناء وجودهم فيها.

والثاني: أنهم كانوا هم الخاسرين.

في حين لو قالها دون تكرار لتغير المعنى ذلك أن (كأن) تشمل الحكمين جميعاً لأن الحكم الثاني معطوف على الحكم الأول، فإنك لو قلت:

(كأن لم تستدن مني وكنت غنياً) كان المعنى: كأنك لم تستدن مني في حين أنك استدنت مني، وكأنك كنت غنياً في حين أنك لم تكن غنياً. وتحتمل معنى آخر في صحته خلاف وهو الحالية. ولو قالها بالتكرار لتغير المعنى، فإنه لو قال:

(إبراهيم كأن لم يستدن مني، إبراهيم كان غنياً) كان المعنى أنه استدان منه، وأنه كان غنياً. فإنه أثبت الاستدانة والغنى، في حين أنه في التعبير الأول أثبت الاستدانة ونفى الغنى. فاختلف المعنى، وعلى هذا فإن قوله:

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا يَهْمَ﴾ أثبت الغناء فيها.

وقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوا يَهْمَ﴾ أثبت الخسران لهم. ولو قال: (الذين كذبوا شعيباً كأن لم يفتنوا فيها وكانوا هم الخاسرين) لأثبت الغناء ونفى الخسران ذلك أنه على معنى كأن لم يفتنوا فيها وكان كانوا هم الخاسرين. وهذا المعنى لا يصح فاحتاط لذلك بالتكرار والله أعلم.

٣- ذكر ضمير الفصل ليفصل بين النعت والخبر فيما فيه احتمال ذلك ولتقوية المعنى وتوكيده، فقد يحتمل أن ما بعد المبتدأ يكون نعتاً ويكون خبراً فيجاء بضمير الفصل لتعيين ذلك والتنصيص عليه وذلك كقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ النَّقْصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢] فلولا التضمير لاحتمال أن يكون كل من النقص أو الحق هو الخبر فذكر التضمير عين الخبر. فجيء به ليدل على أن (النقص) هو الخبر ولثلا ينصرف الذهن إلى أن (النقص) قد يكون بدلاً من اسم الإشارة وأن (الحق) هو الخبر. ونحوه قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَرُّ الْيُسُ﴾ [الصافات: ١٠٦] و﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [السورة: ١١١] و﴿ذَلِكَ هُوَ الْفُتْرَانُ الْيُسُ﴾ [الحج: ١١] ونحوه.

٤. التنصيص على أحد المعاني المحتملة للعبارة بما يعين ذلك: وذلك كالمجيء ب (قد) لتمييز بين الخبر والإنشاء فقولك (زوجتك ابنتي) مثلاً يحتمل الإخبار بأنه سبق أن زوجه ابنته ويحتمل الإنشاء أي الموافقة على التزويج لأنه من ألفاظ العقود كجعت واشتريت. فإن أردت التنصيص على الإخبار جئت ب (قد) فقلت (قد زوجتك ابنتي) فهذا إخبار وليس إنشاء. ونحوه أن تقول (قتله الله) فهذا يحتمل أن يكون دعاء ويحتمل أن يكون إخباراً. فإن أردت التنصيص على الإخبار جئت ب (قد) احتياطاً للمعنى وتمكيناً له فقلت: (قد قتله الله).

ومثله (من) الاستغرافية فقد تعين أحد الاحتمالات وذلك كأن تقول (ما عندك خير) فهذا يحتمل النفي والإثبات. ومعنى النفي: ليس عندك خير، ومعنى الإثبات أن الذي عندك خير كقوله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [القصص: ٦٠] فإذا أردت التنصيص على معنى النفي جئت ب (من) الاستغرافية فقلت (ما عندك من خير) لأن (من) هذه لا تأتي إلا مع النفي أو شبهه.

وكذلك (من) البيانية فقد يوتى بها للتنصيص على معنى التمييز فيما اشترك فيه الحال والتمييز نحو (ما أحسنه متحدناً) و (لله دره راكباً) فهذا يحتمل الحال والتمييز فإن أردت صرف الحالية إلى التنصيص على معنى التمييز جئت ب (من) فقلت: ما أحسنه من متحدت ولله دره من راكب.

ونحوه أن تكرر (لا) لرفع احتمال معنى مشترك نحو (ما جاءني محمد

ولا خالد) إذا أردت أنه لم يأتك واحد منهما على انفراد ولا مع صاحبه، ولو قلت (ما جاءني محمد وخالد) لاحتمل أن يكون جاءك واحد منهما^(١).

ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩] أي سواء كان ذلك على جهة الاجتماع أو الانفراد ولو قال (لا تلهكم أموالكم وأولادكم) لاحتمل النهي عن اجتماعهما وأنه لو انشغل بواحد منهما لم يدخل في النهي.

ونحوه قوله تعالى: ﴿لَا تَجْلُوا سَعَتِرَ اللَّهِ وَلَا السَّعَتِرَ الْحَرَامَ وَلَا الَّذِينَ وَلَا الْفَلْحِدَ﴾ [المائدة: ٢] فإن النهي عن إحلال ذلك بكل حال اجتمعت أم تفرقت، ولو حذف (لا) بعد الواو لاحتمل أن يكون النهي عن حالة الاجتماع ولو أحل واحداً منها لجاز.

فهذا كله من باب الاحتياط للمعنى.

٥- التوكيد: وأقسامه متعددة منها:

التوكيد المعنوي وذلك نحو (حضر الرجال كلهم) فإنك إذا قلت (حضر الرجال) احتمل أن يكون الحاضرون أكثرهم لا جميعهم، فإذا أردت التنصيص على حضورهم على وجه الشمول احتطت لهذا المعنى بذكر ما يزيل هذا الظن من النفس بذكر ألفاظ الشمول فتقول (حضر الرجال كلهم). فإذا أردت الزيادة في الاحتياط والزيادة في تمكين هذا المعنى في النفس قلت (حضر الرجال كلهم أجمعون) كما قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ تِلْكَ كَلِمَتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [إبراهيم: ٣٠ - ٣١] ولك أن تزيد في الاحتياط لهذا المعنى فتقول أجمعون اجمعون... إلخ.

ومنها التوكيد اللفظي ويكون بتكرار اللفظ إذا خشيت أن يكون المخاطب لم يسمع اللفظة أو انصرف ذهنه إلى غيرها أو يظن أنك متجاوز في الحكم فتكرر اللفظة أو العبارة نحو قولك (أقبل محمد محمد) و (أقبل محمد أقبل محمد) وكمقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أُمَّةَ عَشْرٍ كَوَكَيْبًا وَالشَّسَّ وَالْقَمَرَ

(١) المقتضب ٢/ ١٣٤ - ١٣٥.

وَأَنْتُمْ لِي سَجِيدٌ ﴿ [يوسف: ٤] وقوله: ﴿وَمِمَّ بِالْآخِرَةِ مِمَّ كَفِرُونَ ﴿ [يوسف: ٣٧].

وقد يكون التوكيد بتكرار اللفظ في غير باب التوكيد اللفظي وذلك كقولك (مررت بمحمد وبخالد) فهذا أكد من قولك (مررت بمحمد وخالد)، وقولك (أكرمت محمداً وأكرمت خالداً) أكد من قولك (أكرمت محمداً وخالداً).

قال تعالى: ﴿قُلُوبًا مَّامِنًا بِأَمْرِ رَبِّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنَّا إِلَّآ إِزْهَاجًا وَسُخْرًا ﴿ [البقرة: ١٣٦] فقد كرر لفظي الإنزال والإيتاء احتياطاً للمعنى ودفعاً لتوهم أن الذي أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم كتاب واحد فاحتاط لدفع هذا المعنى بالتكرار.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِتَّخَفْنَا بِقُرْبَانَا الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُؤْتِي السَّيِّئَاتِ إِن بَدَّلُوا قُلُوبًا ﴿ [النساء: ٣٦] فكرر الباء توكيداً واهتماماً بذى القربى وهو أكد من حذفها وذلك نحو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِتَّخَفْنَا بِقُرْبَانَا الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُؤْتِي السَّيِّئَاتِ إِن بَدَّلُوا قُلُوبًا ﴿ [البقرة: ٨٣] ذلك أن الكلام في سورة النساء على القرباب والاهتمام بأمرهم فاحتاط لهذا المعنى فكرر الباء في (بذي القربى) في حين ليس المقام في البقرة مقام ذكر القرباب فلم يكرر الباء. فاحتاط للمعنى في المواطن الذي اقتضاه.

وغير ذلك من مواطن التكرار.

ومنها النعت المؤكد كقولهم (أمس الدابر) وقوله: ﴿فَأَنبَأَ مِنَ زُمُرَةٍ ﴿ [النازعات: ١٣] ومنها المفعول المطلق المؤكد كقوله تعالى: ﴿وَكَمَّمْ كَلْبُكُ مِمَّا جُمِعَ لَهُ ﴿ [النساء: ١٦٤] وكقوله: ﴿إِنَّا أَلَدَّتْ كَلْبًا لَّفُقَرَاءَ وَالْمَسْكِينِ... ﴿ [التوبة: ٦٠] فإنه قد يفهم أن هذه الصدقات إنما هي على سبيل الاستحباب لا الوجوب فاحتاط لدفع هذا الظن بقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴿.

ومنها الحال المؤكدة كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴿

[النساء: ٧٩] فإن قوله ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يقتضي أنك رسول ومع ذلك قوَى هذا المعنى وثبته بقوله: ﴿رَسُولًا﴾. ومنه قوله ﴿وَلَوْ سَأَلْتَهُ لَآمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمَّ جِئِمًا﴾ [يونس: ٩٩] ذلك أنه لو قال ﴿وَلَوْ سَأَلْتَهُ لَآمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ﴾ لظن ظان أن ذلك على سبيل الأغلبية والكثرة لا على سبيل الاستغراق والاستقصاء فاحتاط لذلك بذكر ﴿كُلُّهُمْ﴾ ثم زاد في الاحتياط فقال: ﴿جِئِمًا﴾ بلفظ الحال المؤكدة.

ومنها الظرف المؤكد كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] والإسراء لا يكون إلا في الليل ومع ذلك قوَى هذا المعنى وعضده بقوله ﴿لَيْلًا﴾ ذلك أنك قد تقول لأحد (سريت حتى تعبت) فلا يسمع كلمة (سريت) أو ينصرف ذهنه إلى فعل آخر فيظن أنك قلت (سرت) أو كان شارد الذهن فتحاط لذلك بقولك: ﴿لَيْلًا﴾ فإذا لم يسمع الأولى سمع الآخرة.

ومنها إضافة الشيء إلى مرادفه كقوله تعالى: ﴿وَلَيْلَةٌ لَعَنُوكَ الْيَتِيمَ﴾ [الحاقة: ٥١] فأضاف الحق إلى اليقين توكيداً واحتياطاً للمعنى، ومن قولهم (نجا الجلد) والنجا هو الجلد بعينه فكأنه قال (جلد الجلد)، ونحو (رخاء الدعة) والرخاء هو الدعة، وقولهم (حي زيد) بمعنى شخص زيد وذاته وعينه وإن كان ميتاً فيقال (هذا حي زيد) أي هو نفسه، وقبح الله حي أبيه أي شخص أبيه وذاته^(١).

ومنها العطف على نفسه أو مرادفه كقولهم (أنا هذا الحديث عن أبي حفص والغاروق) وأنت تريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢).

وكقولهم (هذا كذب وانترأ) و (هذا غي وضلال) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا بَعَثْ لَنَا رَسُولًا مِّنْ أَهْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نُرِيِّنَا ذِكْرَكَ وَنُحْيِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنُقِضَ عَنْهُمْ مِّنْ ذُنُوبِهِمْ وَنُذَرِّبْ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَقًّا مِّنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٠] والمعتدي ظالم.

ومنها إثبات الشيء ونفي ضده كقوله تعالى: ﴿أَمْ تَوَدُّونَ عَبْرًا لَّيْسَ بِهَا﴾

(١) انظر المساعد ٢/ ٣٣٤-٣٣٥، الرضي ٢/ ١٨٦-١٨٨.

(٢) معاني القرآن ٥٨/٢.

[التحل: ٢١] وكقولك (هو راسب-غير ناجح) فقوله: ﴿عَبْرٌ لَّيْسَ لَكَ بِهَا﴾ يعني أنهم أموات. وغير ناجح يعني أنه راسب.

ومنها التوكيد بالحروف المؤكدة كتون التوكيد وإن ولام الابتداء وغيرها كقوله تعالى: ﴿وَقَسَّهْمًا إِيَّيْكَ لَكُنَّا لَيِّنٌ لِّلْمُجِيبِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وكاف الخطاب نحو (أرأيتك وأبصرتك) فإن ذكر الكاف لتوكيد الخطاب فإن (أرأيت) نص في الخطاب ثم جيء بالكاف احتياطاً وتوكيداً لهذا المعنى وكذلك أبصر وأبصرتك ونحوه. وغير ذلك من مواطن التوكيد.

٦- عدم الاكتفاء بدلالة السياق والقرائن: قد يدل السياق والقرائن الأخرى على معنى من المعاني ولكن العربي قد لا يكتفي بذلك بل يأتي بما يمكن ذلك المعنى ويشبه ولا يركن إلى السياق وحده، ومن ذلك مثلاً:

وقوع اللام الفارقة مع أن المخففة، فقد يدل السياق على أن (إن) مخففة لا نافية ولكن لا يكتفي بذلك بل يأتي باللام الفارقة للاحتياط للمعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُ لِيَنَّا أَلَكُذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] فإن سياق الكلام يدل على أن (إن) مخففة لا نافية وأن المعنى (وأنا نظنك من الكاذبين) وإن لم يذكر اللام الفارقة، ولكنه احتاط لهذا المعنى فجاء باللام ولم يركن إلى دلالة السياق. وإليك سياق الآيات التي ورد فيها هذا القول، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾ (١٨٥) ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّظُنُّكَ لَيَنَّ الْكُذِبِينَ﴾ (١٨٦) ﴿فَأَسْبِطْ عَلَيْهِمْ كَيْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٥ - ١٨٧] فالسياق يدل على أنهم مكذبون له ولكنه مع ذلك لم يكتف بدلالة السياق بل جاء باللام لما ذكرنا.

ومن ذلك زيادة الباء في الخبر المنفي نحو (ما هو بشاعر) فإن الكلام منفي ولا يحتاج الباء للدلالة على ذلك ولكنه مع ذلك جاء بالباء احتياطاً لهذا المعنى، وذلك أن السامع قد لا يسمع أول الكلام فإذا سمع الباء في الخبر عرف أن الكلام منفي لأنها لا تزداد في الإيجاب ولذلك قال البصريون أن هذه الباء إنما جيء بها لرفع توهم الإثبات^(١).

(١) التصريح ٢٠١/١، حاشية الصبان ٢٥٠/١.

ومن ذلك ذكر تاء التأنيث مع ما تحقق تأنيثه مع أن التعبير يباح فيه عدم ذكرها وذلك نحو (أقبلت اليوم فاطمة) فإن (فاطمة) مؤنث حقيقي كما هو معلوم ويباح في نحو هذا التعبير أن تقول (أقبل اليوم فاطمة) للفصل بين الفعل والفاعل ولو قلت ذلك لم يشك أحد في أن (فاطمة) مؤنث وأن الفعل مسند إلى مؤنث ولكنهم مع ذلك لم يكتفوا بذلك بل احتاطوا لمعنى التأنيث فجاوزوا بالتاء الدالة على التأنيث وإن لم يكن السياق محتاجاً إليها، تبييناً لهذا المعنى وتحقيقاً له.

ومن ذلك الإشارة الحسية فيما لا يحتاج إلى إشارة احتياطاً وتحقيقاً للمعنى وخوفاً من أن ينصرف الذهن إلى شيء آخر وإن كان الاحتمال بعيداً وذلك كأن تقول (أحمد هذا شاعر) و (كلم الرجل هذا البنت هذه).

ومنه عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٩٨). فإنه لو لم يذكر جبريل وميكال صراحة لكانا داخلين في عموم ما ذكر من الملائكة ولكنه ذكرهما تعظيماً لهما ودفعاً لتوهم أن عداوة بعض الملائكة لا تدخل في الكفر.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ (البقرة: ٢٣٨) فذكر الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات على وجه العموم لأهميتها والدلالة على مكانتها، وما إلى ذلك.

٧- التصريح بذكر ما اقتضاه الكلام وعدم الاكتفاء بما تقدم منه:

قد يذكر في الكلام معنى أو أمراً يقتضي معنى ما ثم لا يكتفي بذلك وإنما يصرح بذكر ما اقتضاه الكلام احتياطاً للمعنى الذي يريده. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا قَرَدَةً حَوِيبِينَ﴾ (البقرة: ٦٥) فمسخهم قردة يقتضي خسوهم فصرح بذلك ولم يكتف بمقتضى المعنى. ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩) فقوله ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ يعني أنه يأمر بإتيان البيوت من أبوابها غير أنه لم يكتف بهذا

المقتضى بل صرح بالمعنى تثبيتاً له وتمكيناً له في النفس واحتياطاً لئلا
ينصرف الذهن إلى أمر آخر.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي لَيْلٍ وَسَبْعٍ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْكَ
عَشْرًا كَأَيَّةِ الْبَقَرَةِ: ١٩٦﴾ فقوله ﴿ثَلَاثَةَ عَشْرًا كَأَيَّةِ﴾ هو ما اقتضاه الكلام
السابق وهو من باب الاحتياط للمعنى الذي لا يسمح للذهن بأن ينصرف
إلى أمر آخر.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَمْلِكَ لَكُمْ
عَرَبِيًّا ١ قِيَامًا يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنَظُومًا مِّنْ ذِكْرِهِ ٢﴾ [الكهف: ١، ٢] ف ﴿قِيَامًا﴾
هو مقتضى قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُمْ جِزِيًّا﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا سُدَّةَ لَكَ سَلَىٰ ١ وَلَكِنَّ كَذَّبَ بِتَوَكُّلِ ٢﴾
[القيامة: ٣١، ٣٢] فقوله: ﴿وَلَكِنَّ كَذَّبَ بِتَوَكُّلِ ٢﴾ هو بمعنى ما قبله ﴿فَلَا
سُدَّةَ لَكَ سَلَىٰ ١﴾.

ومنه قوله ﴿إِنَّمَا لَقَرْنَا لِلَّذِينَ وَالْأَصَابُ وَالْأَلْمَامُ يَجْسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَبِيهِ ١﴾ [المائدة: ٨٩] فقوله: ﴿فَاجْتَبِيهِ ١﴾ هو من مستلزمات ما تقدم
ذكره وهو أنه رجس من عمل الشيطان. وهو من باب الاحتياط للمعنى فإن
كونه رجساً من عمل الشيطان يقتضي اجتنابه ولكنه لم يترك هذا للاستحسان
العقلي والاستباط الذهني بل صرح به فقال: فاجتبهوه.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ١﴾
[الأنعام: ١١٦] فمعنى قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ١﴾ أنهم يخرصون
فهو كالتركيد لما قبله.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا
كِسْفًا مِّنَ النَّارِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ١﴾ [الأعراف: ١٤٦] فمقتضى قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا
كِسْفًا مِّنَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ١﴾ أنهم إن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ولقد
ذكره احتياطاً للمعنى لئلا يظن ظان أنهم يعرضون عن سبيل الرشد غير أنهم
لا يسلكون سبيل الغي فصرح بأنهم إن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ولم
يترك ذلك إلى الظن والاستباط.

إلى غير ذلك من الأمثلة.

٨ الجمع بين صيغتين تكمل إحداهما الأخرى: وذلك كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فإن ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على صيغة (فعلان) وهي تفيد الشجود والحدوث كغضبان وعطشان ولئلا يظن أن رحمته تعالى تزول وأنها ليست دائمة احتاط للمعنى فجاء بـ ﴿الرَّحِيمِ﴾ على صيغة (فعليل) التي تدل على الثبوت. فالجمع بين الصيغتين من باب الاحتياط للمعنى ذلك أنه لو اكتفى بالرحمن لظن ظان أن هذه صفة عارضة قد تزول كالغضبان والعطشان، ولو اكتفى بالرحيم لظن ظان أن هذه - وإن كانت صفة ثابتة - قد تزول زوالا عارضا فيأتي وقت لا يرحم فيه كالكريم فإنه قد يعرض للكريم وقت لا يكرم فيه فجمع بين ما يدل على الحدوث والثبوت للدلالة على كمال الرحمة واستمرارها.

ومنه الجمع بين الاسم والفعل للدلالة على الحدوث والثبوت وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنَا عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُونَ ۝٣﴾ فنفى الرسول عن نفسه عبادة ما يعبدون بالصيغتين الفعلية والاسمية فقال ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ ثم قال: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ ۝٣﴾ في حين لم ينف عنهم عبادة ما يعبد إلا بالصيغة الاسمية فقط، فجمع لنفسه بين الصيغتين للاحتياط في المعنى ذلك أن الفعل يدل على الحدوث فلو نفى عن نفسه عبادة ما يعبدون بالفعل فقط لظن أن هذا قد يتغير ويحدث أمر آخر، ولو نفاها بالاسم فقط لظن أن هذا قد يطرأ عليه ما يغيره، ذلك أن الاتصاف بالشيء على جهة الثبوت لا يعني دوام ذلك على مدى الدهر كله بل قد يأتي وقت لا يتصف به فإذا قلت هو (خطيب) فهذا لا يفيد أنه لا يتفك عن الخطابة، وإذا قلت هو (جواد) فلا يعني أنه لا يتفك عن الجود مدى الدهر بل قد يأتي وقت لا يوجد فيه. فلو نفاها عنه بالصيغة الاسمية لظن أن هذا قد يطرأ عليه ما يطرأ على بقية الصفات، فجمع بين الصيغتين الفعلية والاسمية للدلالة على أن هذه هي صفته الثابتة والمتجددة فهو لا يتفك عنها إلا إليها وهو من باب الاحتياط للمعنى.

وقرب من هذا الباب الجمع. بين صفتين تكمل إحداها الأخرى نحو ﴿عَرِيْرٌ حَكِيْمٌ﴾ فإنه قد يظن ظان أن عزته قد تدعوه إلى الظلم والتهور فاحتاط لذلك بوصف نفسه بالحكمة.

ونحو ﴿سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ﴾ فجمع بينهما لكمال الوصف ذلك أنه لو اقتصر على إحداهما لظن ظان أنه يسمع لا يبصر أو يبصر لا يسمع فجمع بينهما لدفع هذا الظن.

ونحو ﴿عَلِيْمٌ حَبِيْرٌ﴾ فإن العلم يطلق عادة على العلم بظواهر الأمور، والخبرة تطلق على العلم بواطنها فجمع بينهما ليدل على أنه يعلم ظواهر الأمور وبواطنها^(١).

وما إلى ذلك.

٩ - نفي الحدث بنفي إرادته وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِيْنَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] فهو لم يقل: وما الله يظلم العالمين، بل نفي إرادة الظلم عن نفسه للدلالة على أنه لا يفعله ولا يريد أن يفعله.

فنفي الإرادة أبلغ من نفي الفعل ذلك أنك قد لا تفعل أمراً إلا أنك قد تريد فعله غير أن هناك ما يمنع من ذلك فإذا كنت لا تريد فعله فقد بالغت في نفيه.

فنفي الإرادة للاحتياط للمعنى حتى لا يتطرق إلى الذهن أنه ربما يريد فعله إلا أنه لا يفعله لسبب فهو نفاه ونفى إرادته أصلاً فنفي الداعي إليه.

١٠ - ضرب المثل بعد الحكم تقريراً له وتمكيناً له في النفس وذلك كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِيْنَ مَأْسُوْا لَا يُبْتَغُوْنَ سَدَقَاتِكُمْ بِأَلْمِيْنَ وَالْأَذَى ... فَشَكَرَ كَشَلِيْ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَاتٌ فَأَسَابَهُ وَإِبِلٌ فَزَكَرُ سَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤] فبعد أن ذكر الحكم ضرب له مثلاً تمكيناً للمعنى وتثبيتاً له في النفس.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يَنْ دُوَيْبِهِ لَا يَسْتَجِيْبُوْنَ لَهُمْ دَعْوَاهُ إِلَّا

(١) انظر روح المعاني ٢٧/٥، ١١٣/٢١.

كَبَّرُوا كَتَبَهُ إِلَىٰ آتَاهُ يَتَّبِعُ فَهُوَ وَمَا هُوَ يَتَّبِعُهُ ﴿ [الرعد: ١٤].

١١ - ذكر ألفاظ منبئة بين يدي المعنى المقصود احتياطاً لئلا يضيع منه شيء فقد يكون المخاطب غير متبهِ أو لم يسمع أول الكلام فيفوته شيء منه فيقدم بين يدي المعنى الأساسي أداة تنبيه أو ضمير الشأن أو نحو ذلك مما لا يؤثر في المعنى إذا لم يسمعه كأن تقول (إلا إن زيداً سيحضر غداً) ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُشْفَهَاتُ﴾ [البقرة: ١٣] وقوله: ﴿آلَا إِنَّكَ أَرْسِلْتَ اللَّهَ لَا حَرْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُزُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ونحو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] فالمعنى المراد تشبيته (الله أحد) وقدم ضمير الشأن احتياطاً للمعنى وتمكيناً له في النفس، هذا علاوة على أمور معنوية أخرى.

١٢ - البديل وعطف البيان: قد يذكر المتكلم شيئاً فينصرف الذهن إلى شيء آخر أو يظن المتكلم أن المخاطب انصرف ذهنه إلى شيء آخر فيحتاط للمعنى بما يوضحه ويبينه ويمكنه في النفس فيأتي بالبديل أو عطف البيان أو غيرهما مما يوضح المقصود كأن تقول (رأيت خالداً أبا عبدالله) فإنك إذا قلت (رأيت خالداً) فقد ينصرف الذهن إلى خالد آخر فتحتاط لذلك بأن توضحه بالبديل، ونحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْبًا لَهُمْ حُرَّازٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨] فإنه لو اكتفى بقوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْبًا﴾ لظن ظان أنه أخرج لهم عجباً حقيقياً فاحتاط لذلك بما يدفع هذا الظن فأوضحه بقوله: ﴿جَسَكًا لَهُمْ حُرَّازٌ﴾، ونحو قولك: (هو يدعو إلى طريق مستقيم طريق الإسلام) فإنك أوضحت الطريق المستقيم، ولو اكتفيت بقولك (هو يدعو إلى طريق مستقيم) لتوهم متوهم أنه طريق آخر غير طريق الإسلام فإن كل داع يرى نفسه أنه على طريق مستقيم ولئلا يظن ذلك احتاط فوضح الطريق بأنه طريق الإسلام.

ونحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سِوَةَ اللَّهِ لِيَذَّبَنَّهُمْ أَنْبَاءُكُمْ﴾ وَتَسْتَعِينُونَ بِسَاءَةٍكُمْ ﴿ [البقرة: ٤٩] فإنه لو اكتفى بقوله: ﴿سِوَةَ اللَّهِ لِيَذَّبَنَّهُمْ﴾ لربما ظن ظان أن العذاب كان بالضرب والشم ونحوهما فاحتاط بما يوضح هذا الأمر وبينه فقال: ﴿يَذَّبَنَّهُمْ أَنْبَاءُكُمْ وَتَسْتَعِينُونَ بِسَاءَةٍكُمْ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ
بِمَا آيَنَعَهُ وَيَجْزِيهِ فِيهِ جُزَاءً ﴿٦٩﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] فوضح الآثام الذي
يلقاه.

وما إلى ذلك.

١٣ - الاختصاص نحو قولك (نحن الطلبة عماد المستقبل) و(إنا علماء
الامة نبي ما خرب من النفوس)، فقد بينت المقصود من الضمير المتقدم
ولم تكف بالضمير. فإن المخاطب قد يتصور أن الحكم يتعلق بكونه
متكلماً أو بوصف آخر غير الوصف المذكور فإن كلمة (نحن) تشير إلى
المتكلمين ويصح أن تفسر بأمور عديدة مثل (نحن الحاضرين أو الخطباء أو
الآباء أو المعلمين) فتحتاط لهذا الأمر بما يوضح المقصود ليتعلق به
الحكم. ونحوه أن تقول (خالد منا معشر الأدباء) فإنه لو لم يقل (معشر
الأدباء) لاحتمل التعبير تفسيرات كثيرة نحو (خالد منا معشر العراقيين) وخالد
منا معشر الأغنياء أو الفقراء أو أهل الجد أو أهل السمر وغير ذلك فاحتاط
بما يزيل الإبهام ويوضح المقصود.

١٤ - النعت الذي يوضح المنعوت ويبينه وذلك نحو (أقبل محمد
الفقيه النحوي الشاعر) تقول ذلك لثلا يلتبس بمحمد آخر فتحتاط له بما
يزيل الالتباس. وكقولك (إن الله يقبل الصدقة من المال الحلال الطيب) ومنه
قوله تعالى: ﴿تَسْمَأُ بِأَنَابِيئِهِ ﴿١٥﴾ نَائِبَةً كَذِبِيَّ حَائِبَةً ﴿١٦﴾ [العلق: ١٥، ١٦]
فوصف الناصية بما يميزها عن غيرها من النواصي.

١٥ - الجمل المنسرة وذلك نحو قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ مَجْرَمِٰكُم مِّنْ
عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ تَوَسَّوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ [الصف: ١٠، ١١] ففسر التجارة بما
يوضحها. ونحو قولك (هل أدلك على تجارة لن تبور؟ افعل الخير مبتغياً
وجه الله) ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هُنَا إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] ففسر النجوى وأوضحها واحتاط لها بما يبينها ولو
قال: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ولم يبينها لكان من باب الإبهام.

إلى غير ذلك مما يفيد الاحتياط للمعنى.

الإلماح إلى المعنى:

كما أن في العربية احتياطاً للمعنى فإن فيها أيضاً إلماحاً إلى المعنى أي أن المتكلم لا يصرح بالمعنى الذي يريده بل يلمح إليه إلماحاً. ولهذا مظاهر ومواطن، ومن مواطن ذلك:

١ - المجاز والانتساع في الكلام وذلك نحو قوله (وأمرت لأؤزأ من نرجس) أي بكت من عيون كالنرجس. فلم يصرح بالمعنى وإنما ألمح إليه إلماحاً. ونحو قوله:

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الشربا
يصف فرساً بشدة السواد وأن بين عينيه عُرة. ونحو قوله تعالى: ﴿بَلْ
مَكُرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣].

فهذا من باب الإلماح إلى المعنى المقصود والإشارة إليه وليس من باب التصريح، وهذا شأن المجاز على العموم.

٢ - الكناية: وهي أيضاً من باب الإلماح إلى المعنى نحو قولهم (بعيدة مهوى القرط) إشارة إلى طول عنقها، وقولهم (طويل النجاد) إشارة إلى طول قامته.

٣ - استخلاص الأوصاف من الأعلام والأسماء كقولهم (هو قارون) إشارة إلى أنه يملك الأموال الكثيرة. وقولهم (هذا فرعون هذه الأمة) إشارة إلى إيغاله في الظلم. وقولهم (هو أرنب) أي جبان، والعامية تقول (هو طينة) يعنون قليل الحركة بطينها.

٤ - الأمثال كقولهم (رمى عصفورين بحجر) وقولهم (ألقى حبله على غاربه) وقولهم (لو أجد لشفرة محزاً) أي لو أجد للكلام مساعاً، وقولهم (يعرف من أين تؤكل الكتف) يضرب للداهية الذي يأتي الأمور من

مأناها^(١). وقولهم (أنت تضرب في حديد بارد) فهذا كله إلماح إلى معنى معين غير مصرح به.

٥ - انضمامين: وهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطى حكمه وذلك كقوله تعالى:

﴿فَيَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣] أي يستعدون وينحرفون. وقول الشاعر: (قد قتل الله زياداً عني) أي صرفه بالقتل^(٢) وهو إلماح إلى المعنى المراد.

٦ - عود الضمير على غير مذكور مما يفهم من السياق وذلك كقوله تعالى: ﴿مَلَأْنَا بَنِي النَّارِ﴾ [القيامة: ٢٦] يعني النفس، وقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني الشمس، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَنَا﴾ [الرحمن: ٢٦] يعني الأرض، ولم يذكر المعنى في الكلام وإنما هو معلوم من السياق وقرائن الكلام، فهذا كله من باب الإلماح إلى المقصود.

٧ - الحمل على المعنى: وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة والجماعة في الواحد^(٣) وغير ذلك، وذلك كقوله:

يا أيها الراكب المزجي مطبته سائل بني أسد ما هذه الصوت
ذهب إلى معنى الاستغاثة.
وقوله:

فكرت تبسفيه فوافقتة على دمه ومصرعه السباعا
أي وافقته ووافقت السباع تأكله^(٤).

وهذا إلماح إلى المعنى وليس تصريحاً به.

(١) المزهر ١/٤٩١، ٤٩٧.

(٢) انظر المعنى ٢/٦٨٥.

(٣) انظر الخصائص ٢/٤١١.

(٤) انظر الكتاب ١/١٤٣-١٤٥، الخصائص ٢/٤١١ وما بعدها.

٨. العطف على المعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] فهذا ظاهره أن ﴿وَالْإِنجِيلِ﴾ عطف على ﴿وَمَصَدَقًا﴾ فيكون عطف العلة على الحال وهو لا يصح، ولهذا قدره بعضهم أنه من باب العطف على المعنى أي لأصدق ولأحل فيكون في الحال إلماح إلى العلة. وكقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالَّذِينَ إِحْسَنَّا﴾ [النساء: ٣٦] فإنه لا يصح عطف ﴿وَالَّذِينَ﴾ على قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ لأن المعنى سيكون: ولا تشركوا بالوالدين إحساناً، وهو لا يصح ولذا قدره بقولهم: (وأحسنوا بالوالدين إحساناً) أو (ووصيتاهم بالوالدين إحساناً) فيكون ﴿إِحْسَنَّا﴾ مفعولاً مطلقاً على التقدير الأول ومفعولاً له على التقدير الثاني، أو على تقدير (واستوصوا بالوالدين إحساناً) فيكون ﴿إِحْسَنَّا﴾ مفعولاً به^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] فليس ثمة علة مذكورة عطف عليها قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ولذا قدر الكلام: ليكون من الموقنين أربانه الملكوت. وقيل هو معطوف على علة محذوفة وتقدير الكلام: نُرِي إِبْرَاهِيمَ الملكوت ليقيم الحججة على قومه وليكون من الموقنين، وقدرها آخرون: نرّيه الملكوت ليستدل به على الصانع وليكون من الموقنين، وما إلى ذلك^(٢).

وهذا كله من باب الإلماح إلى المعنى وليس من التصريح به.

٩- الحذف: وهو باب واسع يدخل في أكثر مواطنه في الإلماح إلى المعنى إن لم أقل كلها. فمن ذلك أن يرد الكلام عن العرب محذوفاً نحو قولهم (حيثئذ الآن) أي قد كان الذي ذكرت حيثئذ واسمع الآن. ونحو (كالיום رجلاً) أي ما رأيت كرجل اليوم رجلاً، و (هذا ولا زعماتك) أي ولا أتوهم زعماتك.

(١) انظر البحر المحيط ٢٨٤/١.

(٢) انظر البحر المحيط ١٦٥/٤.

ومنه أن يدل عليه المعنى نحو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ
 الْعَجْرَةَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَبَّاتًا﴾ [البقرة: ٦٠] أي فضرب فانفجرت.
 وقوله: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾
 [البقرة: ١٨٥] والمعنى: فأفطر.

ومنه أن يقتضي الكلام ذكر شيئين فيكتفي بأحدهما اعتماداً على
 القرينة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِلَةٌ﴾
 [آل عمران: ١١٣] فذكر أمة ولم يذكر الأخرى والكلام مبني على أخرى
 لأن (سواء) تقتضي أكثر من واحد.

ومنه أن يخير عن الواحد بغير الواحد فيستدل على أنه ثمة حذفاً نحو
 قولهم (راكب الناقة طليحان) أي متعبان، والمعنى: راكب الناقة والناقة
 طليحان استدلالاً بالخير الذي هو مثنى عن الواحد. ونحو (ما مثل أيك ولا
 أخيك بقولان ذاك) أي ولا مثل أخيك.

ومنه إجراء أحد المذكورين على الآخر إذا اختلطا^(١) كقول الشاعر:

شَرَّابُ الْبَنَانِ وَتَمْرٍ وَأَقْطِطِ

فالتمر والأقط لا يشريان ولكن أدخلهما مع ما يشرب، وكقولك:
 أصاب فلان المال فبنى الدور والعييد والإماء واللباس الحسن، فإن البناء لا
 يقع على العبيد والإماء واللباس ولكنه من صفات البسار. والمعنى معلوم
 وهو: اقتنى العبيد ونحو ذلك، ونحوه قوله:

إِذَا مَا الْغَنَائِيَاتِ بَرَزْنَ يَوْمًا وَزَجَجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَا
 أَي وكحلن، وقوله:

يَا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرَمَحًا
 أَي وحاملاً رمحاً^(٢).

(١) المفتض ٥١/٢.

(٢) انظر المفتض ٥١/٢، معاني القرآن ١٣/١، الخصائص ٢/ ٤٣١-٤٣٢.

ومنه حذف جواب ما يقتضي الجواب كالتقسيم والشرط نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدَانُ الْمُجِيدَ ﴿١﴾ لِي عِمْشًا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ﴾ وقوله: ﴿عَنْ وَالْفُرْقَانِ ذِي الْذِكْرِ ﴿١﴾ لِي الْآيِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَشَفَاقِي ﴿١﴾ ﴾ فقد اختلف في تفسير جواب ذلك. وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا وَنُحِتَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الْآيِينَ كَفَرُوا أَلَمَبِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٠].

ومنه أن يذكر الجواب ولم يذكر ما يقتضيه نحو قوله: ﴿لَقَدْ كِدْتُمْ تَرَكُونَهُنَّ إِنِّيهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذُنْتُمْ لَكُمْ صِنْفَ الْحَبْرَةِ وَصِنْفَ السَّمَاتِ ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]، أي لو ركنتم إليهم لأذنتكم.

وغير ذلك من مواطن الحذف، وهذا كله من باب الإلماح إلى المعنى لا التصريح به كما هو ظاهر.

١٠- الإلماح إلى معنى معين استنتاجاً وتأويلاً وذلك نحو أن تقول لشخص (أنت خدعت فلانا) فيقول لك (وأنت أكلت ماله) فهو قد أقر بأنه خدعه ضمناً وأخبر عن صاحبه بأنه أكل ماله، والوار أفادت ذلك.

ألا ترى أنها إن حذفتم لم يفد ذلك أحياناً، كأن تقول لشخص (أنت خدعت فلانا) فيقول لك (أنت خدعته) فيكون أنكر أنه خدعه فكأنه قال (بل أنت خدعته) ولو قال (وأنت خدعته) لكان إقراراً بأنه خدعه وأخبر عن صاحبه أنه خدعه أيضاً فكأنه قال (أنا خدعته وأنت خدعته).

ومثله الرد بالفاء كأن تقول (أنت أكلت من مال فلان ألف دينار) فيقول (فأنت أكلت ألفين) فهذا إقرار أيضاً بأنه أكل ألف دينار وإخبار بأن صاحبه فعل أكبر مما فعل هو فكأنه قال (إن أكن أكلت ألف دينار فأنت أكلت ألفين).

فيؤتى بالفاء لما هو أكبر ولا يشترط في الوار ذلك، يقول لك صاحبك (أنا تبرعت بألفي دينار) فتقول له: (وأنا تبرعت بألفي دينار) ولا تقول (فأنا تبرعت بألفي دينار) ولكنك تقول (فأنا تبرعت بأربعة آلاف دينار).

فيؤتى بالوار إلماحاً إلى أن ما ذكره المتكلم صحيح حقيقة أو افتراضاً
وأنه ذكر بعدها ما هو نظيره أو أكبر منه.

ويؤتى بالفاء إلماحاً إلى أن ما ذكره المتكلم صحيح حقيقة أو افتراضاً
وأنه ذكر بعدها ما هو أكبر منه.

إلى غير ذلك من مواطن الإلماح إلى المعنى.





التوسع في المعنى

قد يؤتى بالعبارة محتملة لأكثر من معنى، وقد يؤتى بها لتجمع أكثر من معنى، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوية، فبدل أن يطيل في الكلام ليجمع معنيين أو أكثر يأتي بعبارة واحدة تجمعها كلها فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى وهذا أمر ظاهر في اللغة غير مستنكر. جاء في (الخصائص) في (باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه أيجازان جميعاً فيه أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه) «اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهباً، ولا يمنع من ذلك أن يكون الآخر مراداً وقولاً، من ذلك قوله:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فالقول أن يكون (ناهياً) اسم الفاعل من (نهييت) كساع من سميت وسار من سريت، وقد يجوز مع هذا أن يكون (ناهياً) هنا مصدرأ كالفالج والباطل والعاثر والباغز ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على (فاعل) حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهيأ وودعاً أي ذا نهي، فحذف المضاف وعلقت اللام بما يدل عليه الكلام»^(١).

وجاء فيه في (باب توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين) أن لفظة قد تأتي على صورة ويحتمل أن يكون على غيرها كقوله:

(١) الخصائص ٢/ ٤٨٨ - ٤٨٩.

نضعنهم سنكى ومخلوچه كرك لامين على نبل
ويحتمل كز كلامين.

وقوله:

وغلت بها سمحاء جارية تهوي بهم في لجة البحر
يكون (وغلت) فعلت من الترعل، وتكون الواو أيضاً عاضفة من
الغنيان^(١).

وجاء في (دلائل الإعجاز) أن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا يَوْمَ شُرَكَاءَ لِقِنِّ﴾
[الأنعام: ١٠٠] يفيد معنى (وجعلوا الجن شركاء لله) ويفيد معه معنى
آخر^(٢) ذكره وأوضحه فجمع التعبير معنيين في آن واحد.

ثم علق على ذلك بقوله: «فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى
بأن قدم (الشركاء) واعتبره فإنه ينهك لكثير من الأمور ويدلك على عظم
شأن النظم وتعلم به كيف يكون الإيجاز وما صورته وكيف يزداد في المعنى
من غير أن يزداد في اللفظ»^(٣).

وهذا باب من العربية واسع وطريق مبيع إلا أنه على سعة يحسنه من
يحسنه، وفيه من دقائق التعبير وحسنه وروعته ما يعجز عن وصفه القلم،
وسأذكر طرفاً من مواضعه بإيجاز وإلا فالكلام فيه ضويل عريض.

إن من مواطن التوسع في المعنى:

١- الألفاظ المشتركة: في العربية ألفاظ تشترك في عدة معاني كالعين
وانقره واليد وك (جانر) اسم الفاعل من جار أو من جار و (سائل) اسم
فعل من سأل أو من سأل وغيرها، ونحو كثير من الأدوات كالتواو وإن
وما، وقد يؤتى بعبارة تحتل أكثر من معنى تبعاً للاختلاف في معنى

(١) انظر الخصائص ٣ ١٦٦-١٧٢.

(٢) دلائل الإعجاز ٢٢١-٢٢٢.

(٣) دلائل الإعجاز ٢٢٢-٢٢٣.

اللفظة، فإذا أريدت هذه المعاني معاً في العبارة كان ذلك من باب التوسع كأن تقول (هو صائم) وتعني بذلك الإسساك عن الكلام وعن المنطرات، و (هو جائر) وتعني به الظلم والشكوى أي هو يظلم ويرفع صوته بالشكوى مع ذلك.

وكان تقول (ما أغفلك عنا) تريد التعمج والاستنهام فإن (ما) تحتل هنا المعنيين وتقول (هو لا يكذب وإن أكره على ذلك) فهذا يحتمل أنه لا يكذب ولو أكره على ذلك، ويحتمل أنه لا يكذب وما أكره على ذلك، فإن (إن) تحتمل أن تكون شرطية ونافية فإن أريد المعنيان معاً كان من التوسع في المعنى.

وقد ورد في القرآن الشيء الكثير من ذلك، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ وَثَرِيًّا﴾ [القمر: ٥٤] فقد وُحِدَ النهر في هذه الآية ولم يجمعه مع أن الجنات قبله جمع بخلاف المواضع الأخرى من القرآن الكريم، فإنه إذا جمع الجنة جمع النهر أيضاً فيقول ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وذلك والله أعلم «أنه جمع في لفظ (النهر): عدة معان وأعطى أكثر من فائدة لا يفيدها فيما لو قال (أنهار)، ذلك أنه علاوة على أن فواصل الآيات تقتضي (النهر) لا (الأنهار) لأن آيات السورة على هذا الوزن قد جاء قبلها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ قَعْلَوْهُ فِي الرَّبْرِ﴾ [٣٦] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْتَظَرٌ﴾ [٣٧] فإن المعنى يقتضي ذلك من جهات أخرى منها:

أن (النهر) اسم جنس بمعنى الأنهار وهو بمعنى الجمع^(١)، وقد يؤتى بالواحد للدلالة على الجمع والكثرة ومنه قوله تعالى: ﴿أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارَ وَالدَّرْهَمَ﴾ والمراد بالدينار والدراهم الجنس لا الواحد، وجاء في (معاني القرآن) لغيره: «ونهر معناه أنهار. وهو في مذهبه كقوله: ﴿سَبِّحْهُمْ لِمَجْمُوعِ رَبُّوهُمْ﴾ [القمر: ٤٥]. وزعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلاناً فكنا في لحمه ونيذة، فوُحِدَ ومعناه الكثير^(٢)».

(١) اكتشاف ١٨٦٣، البحر المحيط ١٨٤/٨، روح المعاني ٢٧: ٩٥.

(٢) معاني القرآن ١١١/٣.

ومنها أن من معاني (النهر) أيضاً السعة^(١). والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه، جاء في (البحر المحيط): ونهر: وسعة في الأرزاق والمنازل^(٢).

وجاء في (روح المعاني): وعن ابن عباس تفسيره بالسعة... والحراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل سعة الرزق والمعيشة وقيل ما يعمهما^(٣).

ومنها أن من معاني (النهر) أيضاً الضياء^(٤).

جاء في (لسان العرب): وأما قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّيْلَ فِي حَسْبِي وَنَهْرٌ﴾^(٥) فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء على وضع الواحد موضع الجميع... وقيل في قوله: ﴿حَسْبِي وَنَهْرٌ﴾ أي في ضياء وسعة لأن الجنة ليس فيها ليل إنما هو نور يتلأأ^(٦).

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلأأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة.

فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال: (أنهار) فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً^(٦).

(١) لسان العرب (نهر) ٩٦٧، القاموس المحيط (نهر) ١٥٠٢، تاج العروس ٥٩١٣، اكتشاف ١٨٦٣.

(٢) البحر المحيط ١٨٤٨.

(٣) روح المعاني ٩٥٢.

(٤) لسان العرب (نهر) ٩٦٧، تاج العروس (نهر) ٥٩١٣، اكتشاف ١٨٦٣.

(٥) لسان العرب ٩٦٧.

(٦) انظر كتابنا (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ١٧٠ - ١٧٢).

ونحو قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَتَ حَلَّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ [البلد: ١، ٢] أي لا أقسم بهذا البلد وأنت حال مقيم بهذا البلد وقد تقول: ولم قال (وأنت حل) ولم يقل: وأنت حال أو مقيم بهذا البلد؟

والجواب أنه جمع بالعدول إلى كلمة (حل) عدة معان في آن واحد كلها مرادة مطلوبة، ذلك أن كلمة (حل) تحتل معاني عدة منها:

أنها تأتي بمعنى الحال والمقيم^(١). وقالوا أن المقصود تعظيم المقسم به وهو أنه لما حل الرسول بمكة جمعت شرفين: شرفها الذي شرفها الله به وشرف الرسول فإزادات تعظيماً على تعظيم وشرفاً على شرف واستحقت بذلك القسم ...

ومن معاني (الحل) أنها تأتي بمعنى اسم المفعول أي مستحل، فعلى هذا يكون المعنى: وأنت مستحل قتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم والذي يأمن فيه الطير والوحش ...

ومن معاني (الحل) أنها تأتي بمعنى الحلال ضد الحرام أي «وأنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة»^(٢).

وجاء في (الكشاف): «يعني وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر... فإن قلت أين نظير قوله: (وأنت حل) في معنى الاستقبال؟

قلت: قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ومثله واسع في كلام العباد»^(٣) ...

وقيل: المعنى «وأنت حل بهذا البلد مما يقتضيه أهله من المآثم متخرج بريء منها»^(٤) كما تقول: أنا في حل من هذا.

(١) البحر المحيط ٤٧٤/٨، تفسير الرازي ١٨٠/٣١، روح المعاني ١٣٤/٣٠.

(٢) البحر المحيط ٤٧٤/٨ وانظر تفسير الرازي ١٨٠/٣١.

(٣) الكشاف ٣، ٣٣٨-٣٣٩ وانظر روح المعاني ١٣٣/٣٠.

(٤) روح المعاني ١٣٣/٣٠ وانظر تفسير الرازي ١٨١/٣١.

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فهو **يَبْلِغُ** حَالاً بهذا البلد الكريم يبلغ رسالة ربه، متحرج من آثامه بريء من أفعال الجاهلية وقد استحلحت حرته وأريد قتله في حين حلوله به وتبليغ دعوة ربه، وأنه حَلَّ لهذا الوسون أن يقتل ويأسر في هذا البلد يوم افتتح ما لا يحل لغيره، وهذا على الاستقبال وعلى الوعد بنصره.

فانظر كيف جمعت كلمة (جَلَّ) هذه المعاني المتعددة بخلاف ما لو قال (حَالاً) أو مقيم أو حلال أو مما إلى ذلك مما يقصر الكلام على معنى واحد، فإنها جمعت اسم الفاعل وهو الحَالُّ واسم المفعول وهو المستحلُّ والمصدر وهو الحلال فانظر أي اتساع هذا؟^(١)

ونحوه قوله تعالى: ﴿أَيُّسَ اللَّهُ بِأَعْيُنِكُمْ قَوَّامٌ﴾ [الشين: ٨] فهذا يحتمل أنه من الحكم أي القضاء ويحتمل أنه من الحكمة فيحتمل المعنى أنه أفضى القضاء وأفضى الحكماء وأحكم القضاء وأحكم الحكماء فقد جمع أربعة معان في تعبير واحد وهي كلها مرادة مطلوبة^(٢).

ونحوه قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتَرُونَ تَذَكَّرُوا يُرُفَعُ حَوِّ تَكُونُ حَرَمًا أَوْ تَكُونُ مِنْ آلِهَةٍ لَيْكِنَ﴾ [يس: ٨٥] أي لا تتركا تذكره، ومعنى (فتىء) نسي، يقال: نسي عن الأمر إذا نسيت، ويأتي أيضاً بمعنى سَكَنَ، تقول: نسيته عن الأمر إذا سكته، ويأتي أيضاً بمعنى أطفأ النار.

فاختار هذا الفعل ليجمع هذه المعاني كلها أي إنك لا تنسى ذكره ولا تسكن نفسك ولا تكف عن ذكره وأن النار التي في جوارحك لا تنطفئ.

فانظر كيف جمع هذا الفعل هذه المعاني كلها وأنه لا يسد فعل آخر مسدود، ثم انظر هل يسد مسدود ما زال وما يرح ونحوهما؟^(٣)

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَعُكُمْ فَقِيَّةً﴾ [البلد: ١١] فقد ذهب

(١) انظر كتابنا (لغات بيانية ٢٤٦ - ٢٤٧).

(٢) التعمير القرآني ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣) انظر معاني النحو ٢٦٣/١.

قوله إلى أن (لا) نافية للفعل الحاضي أي فلم يقتحم العقبة وإنما لم تكرر لأن تكرارها غير واجب وإنما هو كثير، ومن ورودها غير مكررة قوله (وَأَيُّ أَمْرٍ سَيِّئٍ لَأَفْعَلُهُ) أي لم يفعله.

وذهب آخرون إلى أنها في الآية دعاء فلا ينزوم تكرارها كقولهم (لا فض الله فاك) وهي هنا دعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة.

وقيل أن الفعل يراد به الاستقبال بمعنى لا يقتحم العقبة كما تقول (والله لا فعلت ذلك أبداً) أي لا أفعل فيكون المعنى على ذلك أنه إخبار أن من هذه صفة لا يقتحم العقبة أبداً.

وقيل هي للاستفهام والتقدير: أفلا اقتحم العقبة وقد حذفت الهمزة والمعنى: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير^(١)؟

والذي يبدو والله أعلم أن هذا التعبير جمع هذه المعاني كلها في آن واحد فهو يحتمل الماضي أي أن هذا الإنسان لم يقتحم العقبة فهو لم يؤمن ولم يفعل الخير، ويحتمل الدعاء عليه بالألا يقتحم العقبة كقوله تعالى: ﴿فَتَنَلَّهُمْ أَنَّهُمْ أَفَّ يُوَفَّكَوْنَ﴾ [التوبة: ١٣٠].

ويحتمل أنه إخبار بأن هذا لا يقتحمها في المستقبل.

ويحتمل الاستفهام المراد به التوبيخ على ما فرط فيه المعنى (أفلا اقتحم العقبة) وقد حذفت الهمزة، وهذا كثير وارد في القرآن وغيره وذلك كقوله تعالى: ﴿وَبِجَاءِ النَّعْمَةِ وَيَعْتَدُ قَاتِلًا إِنَّكَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [١١٣، ١١٤].

بدلالة قوله تعالى: ﴿قَالُوا لِيَرْزُقُنَا إِنَّا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢].

(١) انظر التفسير الكبير ١٨٥: ٣١، المعنى ٢٤٣/١ - ٢٤٤، روح المعاني ١٣٨: ٣٠ وما بعدهما، البحر المحيط ٤٧٦/٨، تفسير ابن كثير ٥١٣/٤.

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوية فقد جمع هذا التعبير في آن واحد الماضي والاستقبال والتوبيخ والحض والدعاء والخبر فهو أخير أنه لم يقتحم العقبة فيما مضى من عمره وأنه لا يقتحمها في المستقبل وأنه ويخه على ذلك ودعا عليه بعدم اقتحامها.

فانظر كيف جمع هذا التعبير هذه المعاني وكلها مرادة مطلوية وأنه لو جاء بأي حرف آخر غير (لا) لم يفد هذه المعاني الكثيرة المتعددة فهو لو قال (ما اقتحم العقبة) أو (لم يقتحم العقبة) لم يفد إلا الإخبار عنه في الماضي.

فانظر كيف وسعت (لا) المعنى وجمعت معاني عدة في تعبير واحد^(١)؟

ونحو ذلك كثير.

٢- الصيغ المشتركة: قد تشترك معانٍ متعددة في صيغة واحدة وذلك كاشتراك اسم المفعول والصفة المشبهة في فعل نحو (حكيم) فقد تكون اسم مفعول بمعنى مُحَكَّم وقد تكون صفة مشبهة من الحكمة بمعنى صاحب حكمة، وكاشتراك اسم المفعول والمصدر الميمي واسمي المكان والزمان فيما جاء على صيغة اسم المفعول من غير الثلاثي كالمنطلق والمجتمع فيقال (هنا مجتمعهم) بمعنى هنا اجتماعهم أو مكان اجتماعهم، و (هنا مستمعهم) بمعنى هنا استماعهم أو مكان استماعهم أو ما يستمعونه.

وقد يشترك مع هذه اسم الفاعل فيشترك في الصيغة الواحدة اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمي واسما المكان والزمان نحو (مختار) فيقال (هذا مختارنا) بمعنى هو الذي اختارنا فيكون اسم فاعل، ويكون اسم مفعول بمعنى هذا الذي اخترناه، ومصنراً بمعنى (هذا اختيارنا) واسم مكان بمعنى (هذا مكان اختيارنا) فإذا أردت أكثر من معنى في تعبير واحد كان من باب الاتساع في المعنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْنِي رَبًّا وَمَنْ يَشْرِكْ﴾

(١) نساء يانية - سورة البلد.

[القيامة: ١٢] فكلمة (مستقر) تدل على معانٍ كلها مرادة مطلوبة فهي تدل على المصدر بمعنى الاستقرار وتدل على اسم المكان بمعنى مكان الاستقرار وتدل على اسم الزمان بمعنى زمان الاستقرار.

وهي هنا تفيد هذه المعاني كلها فهي تفيد (الاستقرار) أي إلى ربك الاستقرار، وتفيد موضع الاستقرار وهو الجنة والنار أي أن ذلك إلى مشيئة تعالى.

جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يُوَيِّدُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١٢) : «إلى ربك خاصة يومئذ مستقر العباد أي استقرارهم يعني أنهم لا يقدرّون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه. أو إلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيه غيره كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ أو إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار»^(١).

وجاء في (البحر المحيط): «المستقر أي الاستقرار أو موضع استقرار من جنة أو نار إلى مشيئة تعالى يدخل من شاء الجنة ويدخل من شاء النار بما قدم وأخر»^(٢).

وتفيد زمان الاستقرار أيضاً أي أن وقت الفصل بين الخلاق وسوقهم إلى مستقرهم عائد إلى مشيئة تعالى فهم يمكثون في ذلك اليوم ما يشاء الله أن يمكثوا ثم هو يحكم بوقت ذهابهم إلى مواطن استقرارهم. فكلمة (مستقر) أفادت ثلاثة معانٍ مجتمعة علاوة على ما تقتضيه الفاصلة في نهاية الآيات. ولا تغني كلمة أخرى عنها. فلو أبدلت بها (الاستقرار) ما أذت تلك المعاني فهي أنسب كلمة في هذا الموضع^(٣). ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسَّ ۝١ وَالْقُرْآنَ لِلتَّكْوِينِ ۝٢﴾ [يس: ١، ٢] وقوله: ﴿ذَلِكَ نَسْتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْمَكِينِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨] فاختيار كلمة (حكيم) أفاد أكثر من معنى كلها مطلوبة مرادة.

(١) الكشاف ٢٩٣/٣.

(٢) البحر المحيط ٣٨٧/٨.

(٣) انظر (المسات بيانية) تفسير سورة القيامة.

ذلك أن (الحكيم) قد تكون اسم مفعول بمعنى (مُحَكَّم) كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ آيَاتِكَ آيَاتُهُ ﴾ [هود: ١] أو كما قال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد تكون صيغة مبالغة من المحكم فتكون بمعنى الحاكم أي قرآن حاكم يحكم ويهيمن على غيره من الأحكام والكتب كما قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد تكون صفة مشبهة من الحكمة فهو كتاب حكيم بمعنى ذي حكمة لأنه ينطق بها كما تقول هو رأي حكيم وقول حكيم وأمر حكيم فيكون من باب الإسناد المجازي^(١) وحقيقة الإسناد إلى الله تعالى كما قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلٍ إِلَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ آيَاتٌ فَذُنُوبَهُمْ وَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: ٩٧] فنسب عدم الرشد إلى أمره وحقيقته نسبة ذلك إلى فرعون.

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة فهو كتاب محكم وحاكم لأنه مهيمن على الكتب الأخرى وعلى سائر الأحكام والشرائع وحكيم ينطق بالحكمة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ لَكَ آيَاتٍ فَاتَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [النحل: ١٢٠] فإن (أمة) تأتي لمعانٍ عدة منها الجيل من الناس ومنها أنها اسم مفعول بمعنى المأموم كالشيء وهو الذي يُسَبَّ كثيراً والصُرعة وهو الذي يُصرع كثيراً والشُّعبة وهو المنتخب، وهذان المعنيان مرادان معاً فهو عليه السلام كان عنده من الخير ما كان عند أمة من الناس «فإطلاقها عليه عليه السلام لاستجماعه كمالات لا تكاد توجد إلا متفرقة في أمة جمعة»^(٢).

وهو إمام يُقصد للاستفادة منه ويقتمدون بسيرته^(٣) كما قال تعالى له: ﴿ إِنْ جَاءَكَ مِنَ النَّاسِ عِشْرَانٌ أَكْثَرٌ مِنْ ذَلِكَ فَخَسَّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٢٤] فقوله (أمة) جمع المعنيين معاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَتَسْبِغُ بِمُؤْتَمِرِينَ ﴾ ﴿ بِأَيْكُمْ أَلْفَتُونَ ﴾ ﴿

(١) انظر البحر المحيط ٣٢٣/٢، ٤٧٦/٢، روح المعاني ٢١١/٢٢.

(٢) روح المعاني ٢٤٩/١٤.

(٣) انظر روح المعاني ٢٥٠/١٤.

[الفلم: ٥، ٦] فالمفتون تحتمل أن تكون اسم مفعول بمعنى (المجنون) فتكون الباء زائدة في الابتداء كما في قولهم (بحسبك درهم) ويكون المعنى فستبصر ويصرون أيكم المفتون أي المجنون.

وتحتمل أن تكون مصدراً بمعنى الفتنة كالمجلود والمعقول والمعسر والمكذوب.

ومعنى المفتون على هذا (الجنون)، والمعنى: فستبصر ويصرون بأيكم الجنون أي بآتي الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين^(١)؟

والمعنيان مرادان، ولو قال (بأيكم الفتنة) لم يفد إلا معنى واحداً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَاكَ كَايِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فالفعل (يضار) يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل فيكون المعنى أنه ينهى الكاتب والشهيد أن يضاراً أحداً بأن يزيد الكاتب في الكتابة أو يحرف ويأن يكتم الشاهد الشهادة أو يغيرها أو يمتنع من أدائها... وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء: بأن يقولوا: علينا شغل ولنا حاجة.

واحتمل أن يكون مبنياً للمفعول فنهى أن يضارهما أحد بأن يُعتنا ويشق عليهما في ترك أشغالهما ويطلب منهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة^(٢) أو يؤذيا أو يهدداً ونحو ذلك من المضارة.

والمعنيان مرادان فهو ينهى الكاتب والشهيد أن يضراً وينهى أن يوقع عليهما الضرار، فهو بدل أن يقول: (ولا يضارز ولا يضارز كاتب ولا شهيد) جمع المعنيين بقوله: ﴿وَلَا يُنَاكَ﴾ ولو أراد تحديد واحد منهما لفك الإدغام.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسَدُ وَرِيَّةٌ بِرَوْلَاهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالفعل (تضار) يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وأن يكون مبنياً للمفعول، فإذا

(١) انظر البحر المحيط ٣٠٩/٨، روح المعاني ٢٥/٢٩.

(٢) البحر المحيط ٣٥٣/٢.

قدرناه مبنياً للفاعل فالمفعول محذوف تقديره لا تضارِزِ والدَةَ زوجها بأن
تطلبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وبأن تفرط في حفظ الولد والقيام
بما يحتاج إليه وغير ذلك من وجوه الضرر.

وإذا قدرناه مبنياً للمفعول كان المعنى لا تضارِزِ من زوجها بأن يقصر
عليها في شيء مما يجب عليه من رزق وكسوة أو يتزعج ولدها منها بلا
سبب، ونحو ذلك من وجوه الضرر^(١).

والمعنيان مرادان والنهي موجه للوالد والوالدة معاً في آن واحد لا
بضاز أحدهما الآخر. ولو فك الإدغام لتعين أحد المعنيين وصار النهي
لأحدهما، جاء في (البرهان): «قد يكون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين أو
حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعاً كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُصَاكِرْ كَاتِبٌ وَلَا
شَهِيدٌ﴾ قيل: المراد (بضارِز) وقيل (بضارِز) أي الكاتب والشهيد لا بضارِز
فيكتم الشهادة والخط وهذا أظهر، ويحتمل أن من دعا الكاتب والشهيد لا
بضارِزه فيطلبه في وقت فيه ضرر.

وكذلك قوله: ﴿لَا تُصَاكِرْ وَاِلِدَةً﴾ بولدها ﴿ فعلى هذا يجوز أن يقال:
أراد الله بهذا اللفظ كلا المعنيين على القولين^(٢) .

ثم ذكر أنه يجوز أن يريد المتكلم به جميع المحامل ولا يستحيل ذلك
عقلاً^(٣).

٣- الجمع بين الألفاظ والصيغ ذات الدلالات المختلفة وذلك كأن
نقول (أعطيته عطاء حسناً) فتأتي بالفعل واسم المصدر وهذا يحتمل معنيين:

معنى المصدر أي أعطيته إعطاء حسناً، ويحتمل الدلالة على الذات
أي أعطيته مالا حسناً، فإذا أردت المعنيين الإعطاء الحسن والمال الحسن
كان ذلك من باب التوسع في المعنى. ولو جئت بالفعل ومصدره فقلت

(١) انظر البحر المحيط ٢/٢١٥، روح المعاني ٢/١٤٦.

(٢) البرهان ٢/٢٠٧-٢٠٨.

(٣) البرهان ٢/٢٠٨.

(أعطيته إعطاء حسناً) ما زاد ذلك على معنى الإعطاء ولم يكن من التوسع.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللهَ قرضًا حسنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فإنه جاء بالفعل ولم يأت بمصدره وهو الإقراض بل جاء بمصدر الفعل الثلاثي وهو القرض، والقرض يحتمل معنيين: معنى الإقراض فيكون مفعولاً مطلقاً، ويحتمل ما يُقرض من المال فيكون مفعولاً به، والمعنيان مرادان وهما الإقراض الحسن والمال الحسن، ومعنى الإقراض الحسن أن يكون خالص النية لله محتسباً أجره عنده طيبة به نفسه لا يمن ولا يكدّر على آخذه. ومعنى المال الحسن أن يكون حلالاً طيباً^(١).

ولو جاء بمصدر الفعل المتقدم فقال (إقراضاً حسناً) لم يفد إلا معنى واحداً.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيُريدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] والقياس أن يقول: أن يضلهم إضلالاً بعيداً لأن مصدر أضل الإضلال، أما الضلال فهو مصدر (ضل)، قال تعالى: ﴿فَقَدَّ ضَلَّ سَبِيلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] والمعنى أن يُضلهم فيضلوا ضلالاً بعيداً. وقد جمع المعنيين: الإضلال والضلال في آن واحد، والمعنى أن الشيطان يريد أن يضلهم ثم يريدهم بعد ذلك أن يضلوا هم بأنفسهم. فالشيطان يبدأ المرحلة وهم يتمونها^(٢).

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] نبات في الحقيقة مصدر (نبت) والمعنى أنبتكم فنبتم نباتاً^(٣) أي طواعتم أمره فجمع بين معنيي الإنبات والنبات، ولو قال (إنبتا) لم يزد على معنى أنبت.

ومن لطيف ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَنَّمَّ رَبِّكَ وَيَتَلَّ إِلَيْهِ تَتَبِيلًا﴾

(١) انظر البحر المحيط ٢/٢٥٢، روح المعاني ٢/١٦٢.

(٢) معاني النحو ٢/٥٨٩.

(٣) انظر شرح ابن عبيد ١/١١١-١١٢.

[المزمل: ٨] فإنه جاء بالفعل (تبتل) غير أنه لم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر فعل آخر هو (بتل) وذلك أن مصدر تبتل هو (التبتل) فإن مصدر (تفعل) يكون على (التفعل) كتعلم تعلماً وتقدم تقدماً. وأما (التبتيل) فهو مصدر (بتل) لا (تبتل) فإن (التفعليل) هو مصدر (فعل) كعلم تعليماً وعظم تعظيماً. وسبب ذلك والله أعلم أنه أراد أن يجمع بين معني التبتل والتبتيل وذلك أن (تبتل) على وزن (تفعل) و (تفعل) يفيد التدرج والتكلف مثل تبصر وتدرج. وأما (فعل) يفيد الكثير والمبالغة وذلك نحو كسر وكسر فإن (كسر) المضاعف من المبالغة ما ليس في (كسر) الثلاثي، فقولك (كسرت القلم) يفيد أنك جعلته كسرة كسرة بخلاف ما إذا قلت (كسرت القلم) فإنه يفيد أنك كسرت مرة واحدة. ونحوه قطع وفتح.

فإنه سبحانه جاء بالفعل بمعنى التدرج ثم جاء بالمصدر بمعنى آخر وهو الكثير وجمع المعنيين في عبارة واحدة موجزة، ولو جاء بمصدر الفعل (تبتل) فقال (وتبتل إليه تبتلاً) لم يفد غير التدرج، وكذلك لو قال (وتبتل نفسك إليه تبتلاً) لم يفد غير الكثير، ولكنه أراد المعنيين فجاء بالفعل من صيغة والمصدر من صيغة أخرى وجمعهما فهو بدل أن يقول (وتبتل إليه تبتلاً وتبتل نفسك إليه تبتلاً) جاء بالفعل بمعنى ثم جاء بالمصدر بمعنى آخر وروضعهما وضماً فنياً فكسب المعنيين في آن واحد^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَلْتَمَلِكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] فالملك هو صاحب الملك (بكسر الميم) وهو من التملك، و (المَلِك) بضم الميم هو من الحكم وصاحبه ملك قال تعالى على لسان فرعون: ﴿أَتَيْسَ لِي مَلِكٌ يَصْرَ وَيَقْذِرُ الْأَنْهَارَ عَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١] فصاحب الملك بكسر الميم مالك وصاحب الملك بضمها ملك وقد جمعهما معاً بقوله تعالى: ﴿مَلِكٌ أَلْتَمَلِكِ﴾ فالملك وهو الحكم ملكه سبحانه، ولو قال: (مَالِكُ المَلِك) لم يزد على معنى التملك، ولو قال: (ملك المَلِك) لم يزد على معنى الحكم ولكنه قال (مالك المَلِك) فجمعهما معاً.

(١) انظر التعبير القرآني ٣٤-٣٥، التفسير القيم ٥٠١-٥٠٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الزَّحْنِ الرَّبِيرِ﴾ فجمع بين دلالتي الحدوث والشبوت في صفة الرحمة كما قررناه في أكثر من موطن^(١).

إلى غير ذلك من مواطن الجمع بين الألفاظ والصيغ المختلفة.

٤- العدول عن تعبير إلى آخر يحتمل أكثر من وجه إعرابي وأكثر من معنى: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْلُوتُونَ قَيْلًا﴾ [النساء: ٤٩] فهذا يحتمل أن المقصود ولا تظلمون ظلماً ما مهما كان قليلاً، فيكون (قَيْلًا) مفعولاً مطلقاً، ويحتمل أن يكون المقصود بالقتيل معناه الحقيقي وهو مقدار قتل، والقتيل هو الخيط الذي في شق النواة فيكون مفعولاً به^(٢). والمعنيان مرادان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] فقد يكون الشيء كناية عن الشرك أي لا تشركوا بالله شيئاً من الشرك وإن قل^(٣) فيكون (شيئاً) مفعولاً مطلقاً، ويحتمل أن يكون المراد بالشيء مما يعبد من دون الله فيكون مفعولاً به وقد جمع المعنيين في آن واحد فهو نهاناً عن أن يشرك بالله أي شيء من الشرك وأتى نوع منه، ونهاناً أن يشرك به شيئاً من خلقه، والمعنيان مرادان فهو بدل أن يقول ولا تشركوا بالله شركاً ما ولا تشركوا به أحداً قال: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فإن أراد التنصيص على أحد المعنيين فعل كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَعَلَّ﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] فهذا يحتمل أن المراد فليضحكوا ضحكاً قليلاً وليبكوا بكاء كثيراً فيكون كل من (قليلاً وكثيراً) مفعولاً مطلقاً، ويحتمل أن يكون المراد فليضحكوا زمناً قليلاً وليبكوا زمناً كثيراً فيكون كل منهما ظرفاً، والمعنيان مرادان فهو بدل

(١) انظر معاني الأبنية ٩١-٩٢.

(٢) انظر المعنى ٥٦١/٢.

(٣) في الحديث أن من الشرك ما هو أخفى من ديب النمل.

أن يقول: فليضحكوا ضحكاً قليلاً زمناً قليلاً وليبكوا بكاءً كثيراً زمناً كثيراً
قال: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ فجمع المعنيين في آن واحد.

ونحوه قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الفتح: ١٥] فقد
يحتمل أن يكون المراد بـ (قليل) المفعولية فيكون المعنى: لا يفقهون إلا
قليلاً من الأمور ويحتمل أن يكون المراد بها المصدرية فيكون المعنى لا
يفقهون إلا قليلاً من الفقه والمعنيان مرادان. فهو بدل أن يقول: لا يفقهون
إلا قليلاً من الأمور فقهاً قليلاً قال ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ فجمع
المعنيين في آن واحد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْتَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [النساء: ٢٦٠]
فهذا يحتمل أن المراد بـ (كثير) المصدر أي صدأ كثيراً، ويحتمل أن يراد به
الوقت أي وقتاً كثيراً، ويحتمل أن يكون المراد به الخلق أي خلقاً كثيراً
فجمعت الآية ثلاثة معانٍ في آن واحد وهي كلها مرادة، وهو توسع في
التعبير كثير^(١).

ومن ذلك أن يؤتى بالمصدر بدل الاسم المشتق فيكسب أكثر من
معنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ بِأَيْتِنَاكَ سَعِيّاً﴾ [البقرة: ٢٦٠]
وكان الأصل أن يقول (ساعات) فجمع بقوله ﴿سَعِيّاً﴾ معنيي المصدرية
والحالية، وذلك يحتمل أن يكون المراد (يسعين سعياً) فيكون مفعولاً
مطلقاً، ويحتمل أن يكون المراد (ساعات) على الحال وجيء بالمصدر
لقصد المبالغة، فجمع المعنيين في آن واحد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [الأعراف: ٥٦] فإنه لو
قال: (ادعوه خائفين وطامعين) لكان المعنى واحداً هو الحالية، ولكن
بعدوله إلى المصدر اتسع المعنى وأصبح يؤدي ثلاثة معانٍ في آن واحد وهي
الحالية أي خائفين، والمفعول لأجله أي للخوف والطمع، والمفعولية
المطلقة أي تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً أو دعاء خوف وطمع، وهذه

(١) انظر كتابنا (معاني النحو) ٢/ ٥٨٤ - ٥٨٧ وانظر المغني ٥٦١/٢.

المعاني كلها مرادة، فإننا ينبغي أن ندعو ربنا في حالة خوف وطمع وندعوه للخوف والطمع وندعوه ونحن نخاف خوفاً ونطمع طمعاً، فجمعها ربنا في تعبير واحد بعدوله من الوصف إلى المصدر، فهو بدل أن يقول: ادعوه خائفين وطماعين وادعوه للخوف والطمع وادعوه دعاء خوف وطمع أو تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً جمعها كلها في هذا التعبير القصير فقال ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (١).

ومن ذلك أن تأتي بما يحتمل الحال والتمييز وذلك نحو قولك (كرم زيد أباً) فهذا يحتمل أن يكون المراد كرم أبو زيد فتكون قد وصفت أباه بالكرم، ويحتمل أن يكون المراد الشاء على زيد في حال أبوته فتكون (أباً) حالاً وتحتمل التمييز أيضاً، فإذا أردت المعنيين معاً قلت (كرم زيد أباً) فتكون قد أثبتت على زيد وأبيه وإن أردت التخصيص قلت (كرم أبو زيد).

ونحوه أن تقول (له دره كاتباً) فهذا يحتمل أن تريد: هو كاتب حسن فيكون (كاتباً) تمييزاً، ويحتمل أن تمدحه في حال كتابته فيكون المعنى: لله دره إذا كتب كما تقول (له دره قائماً)، فيكون (كاتباً) حالاً فتكون قد جمعت المعنيين، فإن أردت أنه كاتب حسن على وجه التحديد جئت به (من) فقلت: لله دره من كاتب.

ومن ذلك أن تعدل من حالة إعرابية إلى أخرى على نحو آخر كأن تقول (أنا ضارب زيد) فتكون قد جمعت معاني الماضي والحال والاستقبال، ولو قلت (أنا ضاربٌ زيداً) لتخصص بالحال والاستقبال.

ونحوه (كلُّ كتاب قرأته عندك) برفع (كل) فهذا يحتمل معنيين:

الأول: أنه قرأ كل كتاب عنده فتكون جملة (قرأته) هي الخبر.

والثاني: أن كل كتاب قرأه هو عنده فتكون جملة (قرأته) نعتاً والخبر (عندك).

(١) انظر (معاني النحو) ٧٢٢/٢، والمغني ٥٦١/٢ - ٥٦٢.

وينصب (كل) تفيد معنى واحداً وهو أنه قرأ كل كتاب عنده.

فإذا أراد المعنيين معاً قالها بالرفع فيكون المعنى على ذلك: أنه قرأ كل كتاب عنده، وأن كل كتاب قرأه فهو عنده، وبعبارة أخرى أنه قرأ كل ما يملك صاحبه من كتب، وأن كل كتاب قرأه فهو عند صاحبه وأنه لم يقرأ كتاباً ليس يملكه صاحبه وصديقه، أما إذا أراد التنصيص على أنه قرأ كل كتاب عنده قالها بالنصب كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَّوْا أَهْلَ بَيْتِهِ فِي إِمَارَةِ ثَمُودَ﴾ [يس: ١٢].

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْمَدُ الْكَلْبُ الْأَلْبَنِيُّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] فهذا يحتمل أن الله يرفع العمل الصالح وأن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وأن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح^(١). وهذه المعاني كلها مرادة والله أعلم، ولو قيلت بنصب العمل الصالح لكان العمل الصالح مرفوعاً لا رافعاً. إلى غير ذلك من المواطن والأمثلة.

٥- الحذف الذي يؤدي إلى إطلاق المعنى وتوسعه:

الحذف قسماً:

قسم لا يؤدي إلى إطلاق في المعنى ولا إلى توسع فيه وهو ما تعين فيه المحذوف كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] أي أنزل خيراً، ونحو ما جاء في الحديث الشريف: «ما نظنون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، أي فاعل خيراً، أنت أخ كريم وابن أخ كريم.

ونحو أن تقول: ماذا تشرب؟ فيقول: لبناً، أي أشرب لبناً.

والقسم الآخر وهو الذي يؤدي إلى التوسع في المعنى وذلك إذا لم يتعين فيه المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات، فما صح تقديره وأمکن أن

(١) انظر البحر المحيط ٣٠٤/٧.

يكون مراداً في سياقه كان ذلك من باب التوسع في المعنى.

ومنه ما مر ذكره من حذف المصدر وإبقاء صفة نحو (فليضحكوا قليلاً) وقوله: (ويصدهم عن سبيل الله كثيراً).

ومنه نحو قوله تعالى: ﴿وَتَذَكَّرَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ حَتَبُ الْكَافِرِينَ أَمْ لَمْ يَلْمِزْ أَوْ بَدَعْ رَبَّنَا مَّا وَعَدَا رَبَّنَا حَقًّا قَهْلَ رَبِّدْتُمْ مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] فقد قال: ﴿مَّا وَعَدَا﴾ بذكر مفعول الفعل ثم قال بعدها ﴿مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ ولم يقل (ما وعدكم) فلم يذكر المفعول ذلك أن الكافرين كانوا منكرين لأصل الوعد والوعيد وليسوا منكرين لما وعدهم به فقط فكأنه قال: هل وجدتم وعد ربكم حقاً؟ بخلاف المؤمنين فإنهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربهم من الخير والكرامة فقال: ﴿وَبَدَعَا مَا وَعَدَا رَبَّنَا حَقًّا﴾. جاء في (الكشاف) في هذا الآية: «إفان قلت: هلا قيل: ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا؟

قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة (وعدنا) عليه، ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم، وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك»^(١).

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْتَوُونَكُمْ أَوْ يُضَرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء: ٧٢ - ٧٣] فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضر ذلك لأنهم يريدون النفع لأنفسهم، وأما الضر فقد أطلق لسببين:

الأول أن الإنسان لا يريد الضر لنفسه وإنما يريد لهده.

والآخر أن الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضر.

فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضر موضع إطلاق فخص النفع وأطلق الضر. والمعنى أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإصرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها؟ ولو ذكر المفعول به فقال (أو

(١) الكشاف ٥٤٩/١، التعبير القرآني ٨٥.

يضرونكم) لما أناد هذين المعنيين^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فهذا يحتمل أن يكون المراد فاصدع بأمرنا أو فاصدع بما تؤمر به والمعنيان مرادان.

ونحوه قوله تعالى: ﴿أَتَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠] وهذا يحتمل أن يكون المراد: أنسجد لأمرك؟ فتكون (ما) مصدرية، ويحتمل أن يكون المعنى: أنسجد لما تأمرنا أن نسجد له؟ فتكون اسماً موصولاً، والمعنيان مرادان مطلوبان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ⑥ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ⑦ ﴿وَوَجَدَكَ غَالِبًا فَلَأَقْتُلَنَّكَ﴾ ⑧ [الضحى: ٦ - ٨] فقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الحذف إنما هو لفواصل الآي، وقد حذف المفعول للعلم به أي فأواك وفهداك وفأغناك.

والذي يبدو والله أعلم أنه إنما حذف للتوسع في المعنى زيادة على مراعاة الفواصل، والمراد أنه آواك وآوى لك وآوى بك خلقاً كثيرين، وأنه هداك وهدى لك وهدى بك خلقاً كثيرين، وأنه أغناك وأغنى لك وبك^(٢).

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة.

ومن لطيف التوسع في المعنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ يَسِئَتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٩] فهذا يحتمل أن يكون المراد تقدير حرف جر وهو الباء أي بالآ يقولوا على الله إلا الحق، ويحتمل أن يكون المقدر (في) أي في الآ يقولوا على الله إلا الحق كما يقال (أخذنا بالوثيقة في أمره، وتوثق في أمره)^(٣).

ويحتمل أن يكون المقدر (على) أي على الآ يقولوا على الله إلا الحق، بمعنى ألم يؤخذ عليهم عهد على ذلك كما يقال: تواتقنا على

(١) التيسير القرآني ١٩٧.

(٢) انظر روح المعاني ١٦٣/٣٠.

(٣) أساس البلاغة (وتق) ١٠٠٥.

الإسلام أي تحالفنا وتعاهدنا^(١).

ويحتمل أن يكون المقدر اللام ومعناه: لئلا يقولوا على الله إلا الحق^(٢).

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة فهو بدل أن يقول: ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب بألا يقولوا على الله إلا الحق وفي ألا يقولوا وعلى ألا يقولوا إلا ذاك ولئلا يقولوا عليه حذف حرف الجر فكسب هذه المعاني كلها.

ويحتمل أن يكون قوله ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ عطف بيان للميثاق أو بدلاً منه. ويحتمل أن تكون (أن) مصدرية أو مفسرة فيكون الميثاق بمعنى القول^(٣)، فتكون الجملة مفسرة، ويحتمل أن تكون (لا) نافية ونهاية أيضاً، وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة فيكون كسب تسعة معاني في أن واحد: معنى الباء وفي واللام وعلى والبدلية وعطف البيان والتفسير والنفي والنهي، ولو ذكر أي حرف لتحدد بمعنى ذلك الحرف.

ومنه قوله: ﴿قُلْ إِنَّي أُمِرْتُ أَنْ أكونَ أُولَِّ مَنْ أَسَدُّ﴾ [الأنعام: ١٤] فهذا يحتمل أن يكون على معنى الباء أي أمرت بأن أكون أول من أسلم كما قال تعالى: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢]، ويحتمل أن يكون على معنى اللام أي أمرت لأن أكون أول من أسلم كما قال تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ السَّلِيمِينَ﴾ [الزمر: ١٢] والمعنيين مرادان مطلوبان فهو أمر بذلك وأمر لأن يكون ذلك.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّقِ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَّقِ النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُوَفُّنَّهُنَّ مَا كَتَبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧].

فهذا يحتمل أن يكون التقدير (وترغبون عن أن تنكحوهن) لدمامتهن

(١) لسان العرب (وتق) ٢٥١/١٢، أساس البلاغة (وتق).

(٢) انظر روح المعاني ٦٧/٩، البحر المحيط ٤١٧/٤.

(٣) روح المعاني ٦٧/٩.

وأن يكون أيضاً (وترغبون في أن تنكحوهن) لجمالهن^(١)، والمعنيان مرادان والحكم يشملهما معاً إلى غير ذلك من التوسع في الحذف.

٦ - التضمين: وهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر فيعطونه حكمة، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين^(٢).

جاء في (الخصائص): «اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرْب قد تقع فتقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر فلذلك جيء بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه»^(٣).

وجاء في (البرهان) أن التضمين «هو إعطاء الشيء معنى الشيء»، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف.

فأما في الأسماء فهو أن تضمن اسماً معنى اسم لإفادة معنى الاسمين جميعاً كقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ١٠٥] ضمن (حقيق) معنى (حريص) ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه.

وأما الأفعال فإن تضمن فعلاً معنى فعل آخر ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً وذلك بأن يكون الفعل يتعدى بحرف فيأتي متعدياً بحرف آخر ليس من عاداته التعددي فيحتاج إما إلى تأويله أو تأويل الفعل ليصح تعدي به... مثله قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَتْرَبُّ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] فضمن (يشرب) معنى (يروى) لأنه لا يتعدى بالباء فلذلك دخلت الباء وإلا فيشرب يتعدى بنفسه فأريد باللفظ الشرب والري معاً، فجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد^(٤).

(١) الكشاف ٤٢٧/١.

(٢) المنفي ٦٨٥/٢.

(٣) الخصائص ٣٠٨/٢.

(٤) البرهان ٣٣٨/٣.

وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدُّ مَعِيَ آثَانَكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] يقال: عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم: عدا طوره... وإنما عدي بد(عن) لتضمن (عدا) معنى (نبا) و(علا) في قولك: نبئت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به.

فإن قلت: أي غرض في هذا التضمن؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك أو لا تعلق عيناك عنهم؟

قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معينين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ لا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عينك مجاوزين إلى غيرهم؟

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِنْ أَنْوَلَكُمُ﴾ [النساء: ٢] أي ولا تضموها إليها آكلين لها^(١).

وجاء في (حاشية السيد الجرجاني على الكشاف) أن «فائدة التضمن إعطاء مجموع المعنيين فالفعلان مقصودان معاً قصداً وتبعاً»^(٢).

وبهذا يتضح أن فائدة التضمن هو التوسع في المعنى من أخصر طريق وأجزءه وذلك أن يؤتى بفعل ثم يؤتى معه بحرف لا يتعدى معه ذلك الفعل وإنما يتعدى مع فعل آخر فيكسب معنى الفعل المذكور والمقدر وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥] «فجاء بد(عن) لأنه ضمن معنى العفو والصفح»^(٣).

ونحوه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] وذلك أن المعنى تسلطوا عليهم في الاكتيال أو تحاملوا عليهم فعدها بعلی والأصل فيه (من)^(٤).

(١) الكشاف ٢٥٧/٢.

(٢) حاشية الجرجاني ٩٧/١.

(٣) البرهان ٣٣٩/٣.

(٤) البرهان ٣٤٢/٣، الرضي ٣٤٥/٢.

ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ يَخْلِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]
والفعل (خالف) يتعدى بنفسه إلا أنه عداه (عن) لتضمينه معنى يعدلون عن
أمره ويتجاوزون عنه^(١) أو ينحرفون عنه.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ١٦] فقد ضمن معنى
أنيبوا إليه وارجعوا^(٢).

وقوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزُكَّ﴾ [التازعات: ١٨] «أنت تقول (هل لك
في كذا).

لكنه لما كان على هذا دعاء منه بِشَيْءٍ صار تقديره: أدعوك وأرشدك
إلى أن تزكى^(٣).

وغير ذلك من أمثلة التضمين الكثيرة.

٧- التقديم والتأخير: وهما قد يفيدان توسعاً في المعنى وذلك نحو
قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِلَهِ﴾ [الأنعام: ١٠٠] فإنه لو قلت (وجعلوا
الجن شركاء لله) لنقص المعنى عما في الآية، ذلك أن معنى الآية إنكار أن
يكون لله شريك من الجن وغيرهم فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ثم بين الشركاء
فقال (الجن) على البدلية، ولو قال (وجعلوا الجن شركاء لله) لما أفاد إنكار
أن يكون لله شريك وإنما أنكروا أن يكون الجن شركاء لله فلو كان غيرهم
شريكاً له لم يستنكر ذلك، ونظيره أن تقول منكراً (اتخذ محمود له وكيلًا
سالمًا) و (اتخذ سالمًا وكيلًا له)، فإن الأولى إنكار أن يتخذ له وكيلًا أصلاً
ثم بينت الوكيل، أما الثانية فإنها إنكار اتخاذ سالم وكيلًا له ولو اتخذ غيره لم
يكن بمستنكره، جاء في (دلائل الإعجاز) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
الْإِلَهِ﴾: «ليس بخاب أن لتقديم الشركاء حسناً وروعة ومأخذاً من القلوب أنت
لا تجد شيئاً منه إن أنت أخرت نقلت: وجعلوا الجن شركاء لله.

(١) الرضي ٢/٢٧٣.

(٢) البرهان ٣/٣٤٢.

(٣) الخصائص ٢/٣٠٩-٣١٠، البرهان ٣/٣٣٩.

بيانه أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن. وإذا تأخر فقول: (جعلوا الجن شركاء لله) لم يفد ذلك ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى، فأما إنكار أن يعبد مع الله غيره وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن فلا يكون في اللفظ مع تأخير الشركاء دليل عليه، وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن (شركاء) مفعول أول لجعل و (الله) في موضع المفعول الثاني ويكون (الجن) على كلام ثان. وعلى تقدير أنه كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء لله تعالى؟ فقول: الجن. وإذا كان التقدير في (شركاء) أنه مفعول أول و (الله) في موضع المفعول الثاني وقع الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء. وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجرأة على شيء كان الذي يعلق بها من النفي عاماً في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة... وإذا أخر فقول (وجعلوا الجن شركاء لله) كان (الجن) مفعولاً أول و (الشركاء) مفعولاً ثانياً، وإذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصاً غير مطلق من حيث كان محالاً أن يجرى خبراً على الجن ثم يكون عاماً فيهم وفي غيرهم. وإذا كان كذلك احتتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى الجن خصوصاً أن يكونوا شركاء دون غيرهم، جل الله تعالى عن أن يكون له شريك وشبيه بحال.

فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدم الشركاء واعتبره فإنه ينهك لكثير من الأمور وبذلك على عظم شأن النظم وتعلم به كيف يكون الإيجاز به وما صورته وكيف يزداد في المعنى من غير أن يزداد في اللفظ إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك واحتجت إلى أن تتأنف له كلاماً نحو أن تقول: وجعلوا الجن شركاء لله وما ينبغي أن يكون لله

شريك لا من الجن ولا من غيرهم^(١).

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] فهو بيان أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما أبداً كان ذلك المثل على جهة العموم، ولو قال (إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلاً) لتخصص ذلك بالبعوضة فما فوقها ولم يتسع اتساع التعبير الأول، فاتسع بالتقديم ما لا يتسع بالتأخير.

ومن ذلك أن تقول (هذا فريق منكم يخاف ويتراجع) فإنه أوسع من قولك (هذا فريق يخاف منكم ويتراجع)، فإن العبارة الأولى تحتل معنيين: الأول أن يكون (هذا فريق منكم) ثم أخبر أنه (يخاف ويتراجع)، فإنه أخير أن الفريق منهم وأنه يخاف ويتراجع.

والمعنى الآخر أن يكون (هذا فريق) (منكم يخاف ويتراجع) فيكون (منكم) متعلقاً بيخاف ويكون المعنى أن الفريق يخاف منهم، ولو قلت (هذا فريق يخاف منكم ويتراجع) لم يحتل إلا المعنى الثاني، فالتعبير الأول أوسع من التعبير الثاني.

ونحوه أن تقول (أعددت له عذاباً مهيناً) و (أعددت عذاباً مهيناً له) فإن العبارة الأولى تفيد أنك أعددت له عذاباً مهيناً أي عذاباً متصفاً بالإهانة على وجه العموم.

أما العبارة الثانية فإنها تفيد أن العذاب مهين له وربما لم يكن مهيناً لغيره، فقد تأمر شخصاً بشيء يراه مهيناً له ولا يراه آخر أنه كذلك، فالعبارة الأولى أشمل وأعم ذلك لأن الإهانة تشمله وتشمل غيره بخلاف الثانية.

ونحوه أن تقول (قلت له يوم الجمعة لا تذهب) و (قلت له لا تذهب يوم الجمعة) فإن معنى العبارة الأولى أوسع من معنى العبارة الثانية، ذلك أن العبارة الأولى تفيد معنيين:

(١) دلائل الإيجاز ٢٢١-٢٢٢.

الأول: (قلت له يوم الجمعة): (لا تذهب) فإن القول كان يوم الجمعة، وأمره بعدم الذهاب عموماً.

والمعنى الآخر: (قلت له): (يوم الجمعة لا تذهب) فإنه نهاء عن الذهاب يوم الجمعة.

وإن معنى العبارة الثانية هو النهي عن الذهاب يوم الجمعة، فهي تفيد معنى واحداً من المعنيين، فإن العبارة الأولى أوسع معنى من العبارة الثانية. ونحوه أن تقول (يا أيها الذين آمنوا بالله استغنوا عن الدنيا). و (يا أيها الذين آمنوا استغنوا بالله عن الدنيا).

فإن العبارة الأولى تفيد معنيين:

الأول: (يا أيها الذين آمنوا) (بالله استغنوا عن الدنيا) أي استغنوا بالله، فالجار والمجرور متعلقان باستغنوا.

والمعنى الآخر: (يا أيها الذين آمنوا بالله) (استغنوا عن الدنيا) فالجار والمجرور (بالله) متعلقان بـ (آمنوا). فكأنه قال: يا أيها المؤمنون بالله، أطلب منكم أن تستغنوا عن الدنيا.

ومعنى العبارة الثانية هو (يا أيها الذين آمنوا) (استغنوا بالله عن الدنيا) وهو الاحتمال الأول لمعنى العبارة الأولى فتكون العبارة الأولى أوسع من معنى العبارة الثانية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] فإن هذا التعبير يفيد أمرين:

الإقرار بأنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم.

والأمر الآخر عدم الإقرار بأنه رسول الله إذا أعربنا (رسول الله) مفعولاً به لفعل محذوف تقديره (أعني) على أن لا يكون (رسول الله) من قولهم وإنما هو قول الله.

ويحتمل أيضاً الإقرار بأنه رسول الله إذا أعربناه بدلاً وكان القائل واحداً ويكون ذلك على التفصيل الآتي:

(وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم).

أما قوله (رسول الله) فليس من قولهم وإلا كان إقراراً له بالرسالة وهم ينكرون ذلك فهو من قول الله تعالى، وهذا هو معنى الآية.

وفي غير القرآن يصح أن يكون المعنى: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، فيكون إقراراً بالقتل والرسالة.

ولو قالوا (إنا قتلنا رسول الله المسيح عيسى بن مريم) لكان إقراراً بالرسالة والقتل ولا يحتمل معنى آخر. فإن معنى العبارة الأولى أوسع من معنى العبارة الثانية.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وكان الأصل أن يقال (كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) ولكنه عدل إلى هذا التعبير لفائدة لا يؤديها التعبير المفترض ذلك أن التعبير القرآني أفاد معنيين:

الأول أنه يطبع على قلب المتكبرين عموماً، فهو يشمل قلب كل متكبر جبار وهو ما يفهم ابتداءً من الآية، جاء في (روح المعاني): «الظاهر أن عموم (كل) منسحب على المتكبر والجبار أيضاً فكانه اعتبر أولاً إضافة (قلب) إلى ما بعده ثم اعتبرت إضافته إلى المجموع»^(١).

والمعنى الآخر أنه يطبع على كل قلبه وليس على جزء منه فيكون الطبع على كل قلبه وعلى كل القلوب فيكون الطبع عاماً مستغرقاً للقلب كله لا يدع منه شيئاً وأنه مستغرق لقلوب المتكبرين الجبابرة عموماً.

فهو أفاد معنيين، بخلاف ما لو قال (يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) فإنه يفيد استغراق الجبابرة ولا يفيد استغراق القلب كله.

إلى غير ذلك من أمثلة التقديم والتأخير.

(١) روح المعاني ٦٩/٢٤.

٨ احتمال الخبر والإنشاء في التعبير الواحد وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ [المطففين: ١] فهذا يحتمل الخبر والدعاء فقد يحتمل أنه أخبر بما سيقونه من عقوبة بسبب تظفيهم وأن لهم الويل والشور. ويحتمل الدعاء عليهم بالويل والشور. والمعنيان مرادان والله أعلم، فقد دعا عليهم وأخبر أنهم سيصيبهم ما دعا عليهم به. ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو يحتمل الإخبار بذلك أي أن الحمد ثابت لله كما تقول (المال لزيد) ويحتمل الإنشاء لأن القصد ذكر ذلك على جهة المدح والتعظيم، ولذا قال بعضهم أن الحمد لله «وأمثالها إخبارية لغة ونقلها الشارع للإنشاء لمصلحة الأحكام»^(١).

وقال بعضهم: هي إخبار يتضمن إنشاء^(٢).

والمعنيان مرادان فهو إخبار بأن الحمد إنما هو لله استحقاقاً، وهو إنشاء أيضاً يقوله القائل استشعاراً لله تعالى بالتعظيم والثناء عليه.

ونحوه قوله ﷺ: «رحم الله امرأً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اتضى» فهذا يحتمل الإخبار بأن رحمة الله ستال هذا المرء السمع ويحتمل أن هذا دعاء له من الرسول بالرحمة، وأراهما مقصودين معاً إخباراً ودعاءً والله أعلم.

ونحو هذا كثير^(٣).

٩- الإخبار بالعام عن الخاص كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْكُوتُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ لَكُمْ الثَّمَلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] فإنه لم يقل (إننا لا نضيع أجرهم) وإنما عدل إلى العموم فأفاد فائدتين:

«إحداهما أن هذا الصنف هو من المصلحين.

والأخرى أن الأجر لا يختص بهؤلاء الصنف من الناس وإنما يشمل

(١) روح المعاني ٧٦/١.

(٢) انظر روح المعاني ٧٠/١.

(٣) انظر المعني ٤٣٠/٢.

كل المصلحين فدخل فيه هؤلاء وغيرهم من المصلحين...

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] ولم يقل (أجرهم).

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ فَجَعَلْنَا لِعَدُوِّهِ عَدُوًّا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] ولم يقل (فإن الله عدو له) للغرض نفسه^(١). وذلك للإعلام بأن معاداة هؤلاء كفر وأن الله عدو للكافرين على جهة العموم فدخل فيه هؤلاء وكل كافر فكسب معنيين.

ونحوه قوله تعالى: ﴿يَجَاهِدُونَ لَكُمْ لِيُرْسُوا عَنْكُمْ فَإِنْ تَرَوْا كَثْرَةً عَلَيْهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَا يُرْضَىٰ عَنِ الْكُفْرِ أَتَقْتَهُنَّ﴾ [التوبة: ٩٦] ونحو هذا في القرآن كثير.

١٠- اكتساب المضاف التذكير والتانيث من المضاف إليه: فإنه قد يكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير والتانيث، وذلك إذا كان المضاف صالحاً للحذف وإقامة المضاف إليه مقامه أو أن يكون المضاف كل المضاف إليه أو بعضه أو كبعضه^(٢) وذلك كقولهم (قُطعت بعض أصابعه) وكقول الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفحت
أعاليها مر الرياح النواسم
والقياس (تسفته).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ أَلْمَنُوا﴾ [الأعراف: ٥٦] والقياس أن يقول (قريبة). ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُم مَّا حَتَّيْبِيْنَ﴾ [الشعراء: ٤٧] والقياس أن يقول خاضعة. قال الشاعر:

لما أتى خبير الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع
والقياس أن يقول (تواضع) غير أنه اكتسب التانيث من المضاف إليه. فإن لم يكن المضاف صالحاً للحذف ولا كلاً أو بعضاً من المضاف إليه أو

(١) معاني النحو ٢١٧/١.

(٢) انظر الرضي على الكافية ٣٠٢/١، شرح ابن عقيل ٧/٢، الهمع ٤٩/٢.

كبعضه لم يجز ذلك فلا تقول: (قدمت غلام هند).

وهذا الاكتساب يؤدي معنى لا يؤديه الأصل فمما يؤديه التوسع في المعنى. وذلك أنه إذا أجري حكم المضاف إليه على المضاف في التذكير والتانيث فإنه يريد بذلك أن ينتظمهما معاً في الحكم ولا يخص المضاف وحده به.

فمن المعلوم أنك إذا قلت (جاء غلام سعيد) كان المجيء للغلام وحده، ولكن إذا قلت (أفتتنا تتابع السنين) كان في تانيث الفعل إشارة إلى أنك تريد السنين أيضاً فكأنك قلت (أفتتنا السنون وتتابعها) وهذا توسع في المعنى لأنه كسب معنيين في تعبير واحد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمْ لَمَّا يَنْظُرُونَ﴾ [الشعراء: ٤] فإنه ذكر ولم يقل خاضعة، وذلك لأنه لا يريد خضوع الأعناق فقط بل خضوع أصحابها أيضاً فقدم (الأعناق) للإسناد ولكنه أخبر عن المضاف إليه فجمع المعنيين بذلك.

وكذلك قول الشاعر (تواضعت سور المدينة) فإنه لم يقل (تواضع سور المدينة) ولا شك أن الشاعر مضطر إلى ذلك لإقامة الوزن لكن فيه معنى حسناً مع ذلك، وذلك أنه أراد المدينة كلها تواضعت وليس السور وحده، فذكر السور لأنه حصن المدينة وحماها وأنت الفعل لإرادة المدينة أيضاً فجمع بين المعنيين.

ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُتَحِينِ﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل (قريبة) وذلك لكسب معنيين وهما قرب رحمة الله وقربه هو أيضاً، وليست الرحمة وحدها قريبة وذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] فجمع المعنيين معاً: قربه وقرب رحمته فقدم الرحمة وأخبر عن الله.

وهذا توسع في المعنى لا يؤديه الأصل فبدل أن يقول: إن رحمة الله قريبة والله قريب جمع ذلك من أخصر طريق وأوجزه فقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُتَحِينِ﴾ [الأعراف: ٥٦].

نعم قد يكون ذلك لإقامة وزن في شعر، وقد يرد من كلام العرب ما ليس على هذا القصد، ولكن البليغ لا يعدل من تعبير إلى تعبير إلا لقصد وغرض^(١).

١١- العطف بين المتغايرين: قد يقع عطف بين متغايرين فيعطف في ظاهر الأمر المفعول له على الحال أو المفعول له على علة غير مذكورة أو يعطف مرفوعاً على منصوب أو مجروراً على مقدر الجر وغير ذلك من مظاهر الاختلاف في العطف، وذلك في الغالب يفيد التوسع في المعنى، وإليك إيضاح ذلك:

أ - العطف على مقدر غير مذكور في الكلام أو على المعنى: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا يُحَدِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُتِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] فإن ظاهر التعبير أن ﴿وَلَا يُحَدِّ﴾ معطوف على ﴿مُصَدِّقًا﴾ وهو لا يصح لأن ﴿وَلَا يُحَدِّ﴾ بيان علة و ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ولا تعطف العلة على الحال ولذا يقدره النحاة تقديرات متعددة. جاء في (البحر المحييط): «واللام في ﴿وَلَا يُحَدِّ﴾ لام كي ولم يتقدم ما يسوغ عطفه عليه من جهة اللفظ فليل: هو معطوف على المعنى إذ المعنى في (ومصدقاً) أي لأصدق ما بين يدي من التوراة ولأجل لكم وهذا هو العطف على التوهم لا بد أن يكون المعنى متحداً في المعطوف والمعطوف عليه... وقيل: اللام تتعلق بفعل مضر بعد الواو يفسره المعنى أي وجنتكم لأجل لكم... وقال أبو البقاء: هو معطوف على محذوف تقديره لاخفف عنكم أو نحو ذلك^(٢).

وهذا في الحقيقة من باب التوسع في المعنى ذلك أنه عطف في ظاهر الأمر العلة على الحال فكسب معنيي الحال والعلة فهو بدل أن يقول (ومصدقاً لما بين يدي... وجنتكم لأجل لكم) ونحو ذلك قال (ومصدقاً ولأجل) فكسب المعنيين معاً.

(١) معاني النحو ١٣١/٣.

(٢) البحر المحييط ٢/ ٤٦٨-٤٦٩.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّآيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَيُذِيقُ تِين رَحْمَتِهِ﴾ [الروم: ٤٦] فقد عطف في ظاهر الأمر ﴿وَيُذِيقُ تِين رَحْمَتِهِ﴾ على ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ فعطف العلة على الحال وقدره النحاة بأنه عطف على المعنى أو على تقدير محذوف، جاء في (البحر المحيط): «وليديقكم معطوف على معنى ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ فالعامل أن يرسل ويكون عطفاً على التوهم كأنه قبل ليشركم، والحال والصفة قد يجتان وفيهما معنى التعليل... وقيل ما يتعلق به اللام محذوف أي ولكننا أرسلناها»^(١).

ومن ذلك قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِنْ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] فقد عطف العلة وهو قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ على علة غير مذكورة، جاء في (البحر المحيط): «قيل تتعلق اللام بفعل محذوف تقديره أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية، وقيل تتعلق اللام بفعل محذوف مقدر تأخيره أي ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك»^(٢).

وهو من باب التوسع في المعنى فهو بدل أن يقول: وانظر إلى حمارك فإننا أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس ونحو ذلك من التقديرات قال (وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس) فكسب العلة من أيسر سبيل وأوجزه.

ونحو هذا في القرآن كثير وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُمْكُم بِالْحِكْمَةِ وَالْأَيِّنِّ لَكُمْ﴾ [الزخرف: ٦٣] وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُزِيَ إِذْ هَبْتُمْ مَلَكَوَتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلَسَبْحَى لِقَوْمِكُمْ يَوْمَ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَّوْلَهَا بَيْنَ آتَائِهِ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَعَّدَ مِنْكُمُ شُهَدَاءَهُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠ - ١٤١] فقد عطف (ليعلم) وهي علة الكفرية ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ [آل عمران: ١٤٠ - ١٤١].

(١) البحر المحيط ١٧٨/٧.

(٢) البحر المحيط ٢٩٣/٢.

على علة مقدرة مختلف في تقديرها نحو (فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت)^(١) أو (نداولها بين الناس ليدفع بعضهم بعضا وليعلم الله الذين آمنوا) ونحو ذلك.

وهنا أمر يستدعي النظر ذلك أنه ذكر اللام في (ليعلم) و (ليمحص) وحذفها من (يتخذ منكم شهداء) و (يمحق الكافرين) والكلام على إرادتها لأن الفعلين معطوفان على ما فيه اللام.

وقد ذكرنا في موطن سابق أن ذكر الحرف في الموطن الذي لا يقتضي غيره يفيد التوكيد وحذفه يعني أنه أقل توكيداً كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ إِنَّ لَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) وقولنا (بشره أن له كذا وكذا) فذكر الباء أكد من حذفها.

وكذلك هنا فإن ما ذكر فيه اللام أكد مما لم يذكر فيه ذلك أن العلة الأولى في الآية أوسع وأكد وأهم مما يليها فقوله: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو غرض عام يشمل عموم الذين آمنوا في ثباتهم وتغييرهم وعموم سلوكهم علماً يتعلق به الجزاء، أما اتخاذ الشهداء فليس في سعة الغرض الأول. ولا شك أن الشهداء أقل من عموم المؤمنين والغرض الأول أعم.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى قوله: ﴿وَلْيَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَبْخَثَ الْكٰفِرِيْنَ﴾ (١٣٩) فإن هذا نظير ما قبله فإن تمحيص المؤمنين وإظهارهم على حقيقتهم ومعرفة مقدار ثباتهم وإخلاصهم هو غرض عام وليس كذلك الغرض المعطوف فإنه ليس في سعة العلة الأولى فإنه سبحانه لم يمحق الكافرين على وجه العموم ولا أنه أخلى الأرض منهم بل بقي الكافرون مع المؤمنين على ظهر الأرض.

ثم إن هذه الآيات نزلت بعد معركة (أحد) وقد محص الله الذين آمنوا فيها ولم يمحق الكافرين فيها وإنما هو وعدٌ بذلك، فهو ليس بدرجة ما قبله من التوكيد فإن الغرض الأول حصل وإن الثاني سيحصل، وهو إعجاز

(١) البحر المحيط ٦٣٣.

وذلك أنه أخير بأنه يمحق الكافرين مع أنهم انتصروا وكان كما أخير.

وهذا توسع في المعنى من أكثر من جهة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٨٣] فإن قوله: ﴿وَأَذِّنَا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا يصح عطفه على ما قبله ولذا قدروا له ما يقتضيه فقالوا هو على تقدير (وأحسنوا بالوالدين إحساناً) على أنه مفعول مطلق، أو (وصيناهم بالوالدين إحساناً) على أنه مفعول له أو (استوصوا بالوالدين إحساناً) على أنه مفعول به^(١).

وأنت ترى أنه جمع عدة معانٍ في آن واحد بالعطف على أمر غير

مذكور.

ونحو هذا قوله تعالى: ﴿رَزَيْنَا السَّمَاءَ أَلْتُنْيَا يَمْصَبِحُ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢] فإن (حفظاً) لا يصح عطفه على ما قبله ولذا قدروه بما يقتضيه المعنى فقالوا هو مفعول مطلق لفعل مقدر معطوف على قوله (رزينا) أي وحفظناها حفظاً، وجوز بعضهم أن يكون مفعولاً له على المعنى كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً^(٢)، فكسب بذلك أكثر من معنى فهو بدل أن يقول (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظناها حفظاً أو خلقناها حفظاً) قال (وحفظاً) فكسب معني المفعولية المطلقة والمفعول له بأوجز سبيل.

ولا نريد أن نطيل أكثر من هذا وإلا فالبحث فيه يطول.

ب - العطف على مغاير في الإعراب مع أنه يصح إجراؤه عليه: وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْمَزْتِي إِنَّ الْبَلَّ لَرَبِّ قَاتِدٌ وَأَكُنَّ مِنَ الْغَالِبِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] فعطف (أكن) على (أصدق) وهو عطف مجزوم على منصوب وكان الأصل أن يقول (فأصدق وأكون) إلا أنه عدل عن ذلك للتوسع في المعنى ذلك أن المعطوف عليه يراد به السبب

(١) انظر البحر المحيط ٢٨٤/١.

(٢) انظر روح المعاني ١٠٤/٢٤، البحر المحيط ٤٨٨/٧.

والمعطوف لا يراد به السب فإن (أصدق) منصوب بعد فاء السب، وأما المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السب لنصب ولكنه جزم لأنه جواب الطلب نظير قولنا (هل تدلني على بيتك أزرک) كأنه قال: إن تدلني على بيتك أزرک، فجمع بين معنيي التعليل والشرط، ومثل ذلك أن أقول لك (احترم أخاك بحترمك) و (احترم أخاك فيحترمك) فالأول جواب الطلب والثاني سبب وتعليل، ونقول في الجمع بين معنيين (أكرم صاحبك فيكرمك ويعرف لك فضلك) وهو عطف على المعنى (١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] برفع الرسول، فعطف مرفوعاً على منصوب، ذلك أن المعطوف عليه مؤكداً بأن والمعطوف على غير إرادة (إن) لأنه أقل تأكيداً فإن براءة الرسول ليست بمنزلة براءة الله وإنما هي تابعة لبراءته تعالى لذا أكد براءة الله ولم يؤكد براءة الرسول فجمع بين معنيين وهما: عطف براءة الرسول على براءة الله، وبيان أن براءة الرسول ليست بمنزلة براءة الله وإنما هي تابعة لها، ولو عطف بالنصب لم يفد هذين المعنيين.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّالِحِينَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] فعطف مرفوعاً على المنصوب ذلك أن الصابئين أبعد المذكورين ضلالاً فكان توكيدهم أقل فعطف على غير إرادة (أن).

ونحوه أن تقول (ما هو بناسٍ ولا متناسياً) فتعطف (متناسياً) على غير إرادة الباء فيكون أقل تأكيداً.

ومن ذلك عطف المقطوع إلى الرفع والنصب كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ يَمْهَدِيهِنَّ إِذَا غَطَّوْا وَالصَّانِعَاتُ وَالصَّانِعَاتُ﴾ [البقرة: ١٧٧] فعطف منصوباً على مرفوع وذلك للاهتمام بالمقطوع للتوسع في المعنى فهو يفيد العطف والاهتمام بالمقطوع مما لا يفيد الاتباع.

(١) معاني النحر ٢٥٩/٣.

ومن ذلك العطف على الموضع في نحو (أنا مكرمٌ محمدٌ وخالداً) فإنه عطف منصوباً على مجرور وهو على تقدير (مكرم) منوناً أو على تقدير فعل (أكرم) وبهذا جمع أكثر من معنى فإنك إذا قدرت (مكرمًا) كان إكرام خالد مستقبلاً لأن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا دل على الحال والاستقبال وأن إكرام محمد يحتمل الماضي وغيره فجمع معنيين. وإن قدرت فعلاً كسبت معنيين أيضاً: الدلالة على الثبوت في (مكرم) والدلالة على الحدوث والتجدد في الفعل، وأما الزمن فبحسب الفعل المقدر، وعلى هذا اتسع المعنى أيضاً.

ومن ذلك العطف على التوهم في نحو قوله:

بدا لي أنني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جانباً
عطف مجروراً على منصوب وذلك أنه على تقدير الباء في (سابق) والباء مؤكدة فيكون المعطوف أكد من المعطوف عليه فجمع بين معنيين أيضاً.

ج - العطف على مفاير في المعنى مما لا يصح أن ينسب إلى المعطوف ما نسب إلى المعطوف عليه فيقدر له ما يناسبه وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] فإنه يقال: أجمعت أمرى، ولكن لا يقال: أجمعت شركائي بل يقال: (جمعت شركائي) فيقدر (جمع) للشركاء فيجمع بين معنى الإجماع والجمع بأوجز تعبير.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] والإيمان لا يتبوأ وإنما يعتقد فجمع معني التبوؤ والاعتقاد معاً.

ونحو هذا كثير في كلام العرب ومن ذلك قول الشاعر:

شسزاب ألبانٍ وتمر وأقسط

والتمر والأقسط لا يشربان فجمع معني الشرب والأكل معاً وإن لم يصرح بالأكل، وقوله:

نراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه أن مولاه ثاب له وفر

والعين لا تجذع وإنما تنفقا فجمع معني الجذع والفرق بأوجز تعبير، وهو في اللغة كثير.

١٢- جمل تحتمل في تأليفها أكثر من دلالة يصح أن تراد جميعاً في آن واحد وهذا كثير وأسبابه متعددة.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤] فهذا يحتمل أن المقصود بـ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ الله تعالى فيكون (من) فاعلاً ويكون المعنى على هذا: ألا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير؟ ويحتمل أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ مفعولاً به، فيكون المعنى: ألا يعلم الله مخلوقاته؟

والمعنيان يصح أن يرادا معاً فيكسب بذلك المعنيين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] فإنه يحتمل أن يكون المراد بفاعل المشيئة (الله) فيكون المعنى أن الله يضل من يشاء وإضلاله ويهدي من يشاء الله هدايته.

ويحتمل أن يكون فاعل المشيئة البشر فيكون المعنى: إن الله يضل البشر الذي يشاء الضلالة ويختارها ويهدي من يشاء الهداية ويريدها كما قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٢]. [الرعد: ٢٧].

والمعنيان مرادان فإن الله إذا شاء أمراً فلا راد لمشيئته، وإذا شاء البشر الهداية وأرادها يشر الله له ذلك، وإذا اختار الضلالة أقره عليها وتركه في غيبه كما قال: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦] وكما قال: ﴿وَأَنَّا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَنَحْبُورُهُمْ وَاللَّيْلِ نَسْفَةٌ وَالنَّجْمِ زُجْجٌ أَلْوَنٌ﴾ [الليل: ٨]. [١٠-].

ومن ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَهْلِي﴾ [المائدة: ٢٥] فهو يحتمل أن يكون المراد أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يملك إلا نفسه وأن أخاه لا يملك إلا نفسه أيضاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَلِكْ لَجِنَّةٌ أَلِيَّةٌ أُوْرِيْشُمُوْمَا يَمَا كُنْتُمْ تَمَلُوْنَكْ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢] فيصح أن تكون ﴿لَجِنَّةٌ﴾ خبراً و ﴿أَلِيَّةٌ﴾ صفة لها.

ويحتمل أن تكون ﴿لَجِنَّةٌ﴾ بدلاً و ﴿أَلِيَّةٌ أُوْرِيْشُمُوْمَا﴾ هو الخبر. والمعنيان صحيحان يمكن أن يرادا معاً.

ويحتمل أن تكون ﴿لَجِنَّةٌ﴾ بدلاً و ﴿أَلِيَّةٌ أُوْرِيْشُمُوْمَا﴾ هو الخبر، والمعنيان صحيحان يمكن أن يرادا معاً.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي السَّيِّئَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤] فهذا يحتمل أن تكون (لا) الثانية زائدة مؤكدة بمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة.

ويحتمل أن يكون المعنى أن الحسنة لا تستوي فيما بينها فبعضها أعظم من بعض، وكذلك السيئة لا تستوي فإن بعضها أعظم من بعض والمعنيان مرادان، فكسب بذكر (لا) الثانية أكثر من معنى وهي:

١- أنه لا تستوي الحسنة والسيئة.

٢- أن الحسنة لا تستوي.

٣- أن السيئة لا تستوي.

ولو حذف (لا) فقال (ولا تستوي الحسنة والسيئة) لم يكن لها إلا معنى واحد. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّوْرُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّوْرُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَمْزُجُ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢] فإن الأعمى والبصير لا يستويان.

وإن الظلمات والنور لا تستوي.

وإن النور لا يستوي.

وكذلك ما بعده.

وهذا الضرب كثير.

ونكتفي بهذا القدر مما يتسع فيه المعنى وإلا فالكلام فيه أكثر بكثير
مما سوت فيه الصفحات ولا يحتمل كتابنا أكثر من هذا.
وقد ذكرنا في الدلالة الاحتمالية وفي الجمل ذات الدلالات المتعددة
وغيرها من المواطن أموراً أخرى فلا نعيد القول فيها.





المبالغة في المعنى

قد تقوّي العرب المعنى وتبالغ فيه وتتبع لذلك طرائق متعددة، ويمكن أن نقسم المبالغة في المعنى على قسمين:

أ - المبالغة في معنى المفردات.

ب - المبالغة في معنى الجمل.

أ - المبالغة في معنى المفردات: اتبعت العربية طرائق متعددة للمبالغة في معنى المفردات، ومن بين هذه الطرائق:

١- صيغ المبالغة: وضعت العربية صيغاً للمبالغة في الوصف وذلك نحو فعّال ومفعّال وفَعُول وفَعِيل وفِعِيل وغيرها نحو كَذَابٍ وكذوب ومطعان وعليم وحذِر وغيرها، فهي أبلغ من اسم الفاعل مثلاً فكذّاب أبلغ من كاذب أي أن اتصافه بالكذب أكثر، وسميع أبلغ من سامع أي أن اتصافه بالسمع أكثر، وضبور أبلغ من صابر أي أن اتصافه بالصبر أكثر، ثم إن صيغ المبالغة تختلف فيما بينها دلالة وقوة^(١).

٢- الزيادة في البناء: قد يزداد في بناء اللفظة لزيادة المعنى ولذلك يقول أهل اللغة: إن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: «وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم... ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى، وقال

(١) انظر كتابنا معاني الأبنية ١٠٥ وما بعدها.

الزجاج في الغضبان: هو الممتلئ غضباً، ومما طن على أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقندف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ أردت العراقي، فقال: أليس ذاك اسمه الشقندف؟ قلت: بلى، فقال: هذا اسمه الشقنداف، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى^(١).

ومن ذلك (فعل) و (افتعل) فافتعل أقوى من فعل نحو قدر واقتدر وكسب اكتسب، جاء في (الخصائص) في (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى): «ومثله باب فعل وافتعل نحو قدر واقتدر، فاقتدر أقوى معنى من قولهم (قدر) كذلك قال أبو العباس وهو محض القياس. قال الله سبحانه: ﴿أَنْذِرْ عِبْرَةَ مُنْذِرٍ﴾ [القمر: ٤٢] فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضوع لتضخيم الأمر وشدة الأخذ»^(٢).

ومنه (استفعل) نحو استقر واستياس، ف (استياس) أقوى من (يشن) وذلك لزيادة المبنى قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَكَلَّمُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا﴾ [يوسف: ١١٠] وقال: ﴿قَلَّمَا أَنْتَيْسُوا مِنْهُ حَاكِمًا﴾ [يوسف: ٨٠].

ومنه (افمعل) نحو اخشوشن واحلولى فاخشوشن أبلغ من خشن واحلولى أبلغ من حلا لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو^(٣). جاء في (الكتاب): «قالوا خشن وقالوا اخشوشن، وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد كما أنه إذا قال: اعشوشبت الأرض فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيراً عاماً قد بالغ، وكذلك احلولى»^(٤).

ونحوه (افمؤل) نحو (اجلؤذ) إذا أسرع «ومعناه المبالغة كافمعل لأنه

(١) الكشاف ١/٣٤.

(٢) الخصائص ٣/٢٦٤-٢٦٥.

(٣) انظر الخصائص ٣/٢٦٤.

(٤) الكتاب ٢/٢٤١ وانظر شرح ابن يعيش ٧/١٦٢.

على زنته إلا أن المكرر هناك العين وهنا الواو الزائدة^(١).

جاء في (الخصائص): «ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك فُعال في معنى فعيل نحو طُوال فهو أبلغ معنى من طويل وُعراض فإنه أبلغ معنى من عريض وكذلك خُفاف من خفيف وفُلال من قليل وسُراع من سريع...»

وبعد، فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني ثم زيد فيها شيء أوجبت القسمة له زيادة المعنى به^(٢).

وما إلى ذلك.

٣- التضعيف: وهو يدخل في زيادة البناء إلا أنني أفردته لكثرتِه واطرادِه وسعته، فإنه كثيراً ما يؤتى بالتضعيف لزيادة المعنى وللدلالة على التكثير نحو كثر وقطع، فكثر أبلغ من كسر وقطع أبلغ من قطع لما فيهما من الكثرة، ونحوهما فتح وغلّق، ويدخل فيه ما ذكرناه في افمعمل وافعول نحو اخشوشن واجلوّذ فإن فيهما تضعيفاً كما سبق ذكره.

ونحو (كُبار) بالتضعيف فإنه أبلغ من (كُبار) بالتخفيف لما فيه من التضعيف ومثله حُنان ووضاء.

جاء في (الخصائص): «ومن ذلك أيضاً رجل جميل ووضيء فإذا أودوا المبالغة في ذلك قالوا وُضَاء وجُمَال فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه... وكان أصل هذا إنما هو لتضعيف العين في نحو المثال قطع وكثر ويا بهما...»

فأما قولهم خُطاف وإن كان اسماً فإنه لاحق بالصفة في إفادة معنى الكثرة ألا تراه موضوعاً لكثرة الاختطاف به... وكذلك البرّاز والقطار والقصار ونحو ذلك إنما هو لكثرة تعاطي هذه الأشياء وإن لم تكن مأخوذة من الفعل.

(١) شرح ابن يعيش ١٦٢/٧.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٦٧-٢٦٨.

وكذلك التَّنَافُ لهذا الطائر كأنه قيل له ذلك لكثرة نسفه بجناحيه، وكذلك الحُصَاذَى للطائر أيضاً كأنه قيل له ذلك لكثرة خضرته، والحوَارِي لقوة حوره وهو بياضه^(١).

وجاء فيه أيضاً: «فإذا اشتد الغلام شيئاً قالوا حَزُورٌ وهو فَعُولٌ من اللبن الحازر إذا اشتد للحموضة... وكانهم زادوا الوار وشدودها لتشديد معنى القوة، كما قالوا للسيء الخلق عَدُورٌ فضعفوا الوار الزائدة لذلك... ومنه رجل كزُوسٌ للصلب الرأس وسفر عَطُودٌ للشديد»^(٢).

٤- تاء التأنيث: وهي تفيد المبالغة في نحو راوية وداهية وذلك أنها تحول اسم الفاعل إلى المبالغة، وتفيد زيادة المبالغة في نحو علامة وملولة وعدوة وذلك لأن فعلاً وفعولاً من أوزان المبالغة فدخلت التاء للزيادة في المبالغة، جاء في (التصريح): «وتأتي التاء للمبالغة في الوصف كراوية لكثير الرواية وإنما أنشأ المذكر لأنهم أرادوا أنه غاية في ذلك الوصف والغاية مؤنثة، ولتأكيد أي المبالغة الحاصلة بغير التاء كنشابة وذلك لأن فعلاً يفيد المبالغة بنفسه فإذا دخلت عليه التاء أفادت تأكيد المبالغة لأن التاء للمبالغة»^(٣).

وجاء في (الخصائص) أن الهاء في نحو علامة ونشابة لم تلحق لتأنيث الموصوف بما هي فيه وإنما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهية فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة سواء كان ذلك الموصوف مذكراً أم مؤنثاً^(٤).

٥- لحاق الباء المشددة في آخر الوصف للمبالغة نحو أحمرني أي أحمر ودوّارني أي دوّار^(٥). جاء في (الخصائص): «ومنه الاحتياط في إشباع معنى الصفة كقوله:

(١) الخصائص ٢/ ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) الخصائص ٢/ ١٢٠.

(٣) التصريح ٢/ ٢٨٨ وانظر ابن يعيش ٥/ ٩٨.

(٤) الخصائص ٢/ ٢٠١.

(٥) انظر شرح الرضي على الشافية ٤/ ٤٢٣.

والدمر بالإنسان دَوَّارِي

أي دَوَّار، وقوله:

غُضِفَ طَوَاهِمَا الْأَمْسِ كَلَابِي

أي كَلَاب^(١).

٦- أسماء الأفعال: وهي أبلغ وأكد من معاني الأفعال التي هي بمعناها، ذ (صه) أبلغ من (اسكت) و (حي) أبلغ من (أقبل)، وذلك لأنها يراد بها الحدث المجرد. ألا ترى أنها لا تتصل بها الضمائر صاحبة الحدث فلا يقال صها ولا صهوا كما يقال اسكتنا واسكتوا بل تقال بلفظ الأفراد دوماً اكتفاء بالحدث. وكذلك (مكانك) أبلغ من (اثبت مكانك) و (عليك نفسك) أبلغ من (الزم عليك نفسك) لما فيه من الاختصار والسرعة.

وما كان بمعنى الخبر يفيد التعجب إضافة إلى المبالغة والتوكيد وذلك نحو هيهات الأمل أي ما أبعد^(٢)، جاء في (شرح الرضي على الكافية): «ومعاني أسماء الأفعال أمراً كانت أو غيره أبلغ وأكد من معاني الأفعال التي يقال أن هذه الأسماء بمعناها.

أما ما كان مصدراً في الأصل والأصوات الصائرة مصادر ثم أسماء الأفعال فلما تبين في المفعول المطلق فيما وجب حذف فعله قياساً.

وأما الظروف والجار والمجرور فلأن نحو أمامك ودونك زيدا بنصب (زيداً) كان في الأصل: أمامك زيد ودونك زيد فحذفه فقد أمكنك.

فاختصر هذا الكلام الطويل لغرض حصول الفراغ منه بالسرعة ليبادر المأمور إلى الامتثال قبل أن يتباعد عنه.

وكذا كان أصل (عليك زيدا) وجب عليك أخذ زيد. و (إليك عني) أي ضمّ رحلك وثقلك إليك واذهب عني، و (وراءك) أي تأخر وراءك،

(١) الخصائص ٣ / ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) انظر معاني النحو ٤ / ٤٢٣.

فجرى في كلها الاختصار لغرض التأكيد^(١).

ومن ذلك أسماء الأفعال المعدولة إلى (فَعَالٍ) نحو (سَمَاع) بمعنى اسمع (وَنَزَالٍ) بمعنى انزل وهي تفيد المبالغة أيضاً. فنزال أبلغ من انزل وأكد، وسَمَاعٌ أبلغ من اسمع وأكد، وكذلك كل ما عدل إلى (فَعَالٍ) من أسماء الأفعال فإنها أبلغ من الأفعال التي بمعناها. جاء في (شرح الرضي على الكافية): «واعلم أن يذهب النحاة أن (فَعَال) هذه معدولة عن الأمر الفعلي للمبالغة وهذه الصيغة كفعال وفعل مبالغة فاعل...»

وأما المبالغة فهي ثابتة في جميع أسماء الأفعال...

وكذلك لا يخلو قسما المصدر والصفة من معنى المبالغة فحماد ولكاع أبلغ من الحمد ولكعاء^(٢).

٧- التحويل إلى (فَعُل) بضم العين للدلالة على الثبوت أو القرب من الثبوت نحو خَطَبٌ وفقه. تقول (خطب محمد) بفتح الطاء إذا ألقى خطبة، وتقول (خطب محمد) بضمها بمعنى صار خطيباً، وتقول (فقه خالد المسألة) بكسر القاف، فإن قلت (فقه خالد) بضمها كان المعنى أنه صار فقيهاً.

وقد يحول الفعل إلى (فَعُل) لقصد المدح والذم وذلك أننا إذا أردنا جعل الفعل الثلاثي للمدح والذم حولناه إلى (فَعُل) بضم العين أيأ كانت حركة عينه في الأصل، تقول: فهم الرجل المسألة - بالكسر - فإذا أردت مدحه بالفهم قلت (فهم الرجل خالد) بالضم، وتقول (حفظ خالد القصيدة) فإذا أردت مدحه بالحفظ قلت (حفظ الرجل خالد) بضم عينه^(٣).

وقد يحول إلى هذا الوزن للتعجب وذلك نحو قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] أي ما أكبرها، وكذلك (كُتِبَ سالم) أي ما أكتبه^(٤).

(١) الرضي على الكافية ٧٦/٢، ٨٢، ٨٣ وانظر شرح ابن يعين ٢٥/٤.

(٢) الرضي على الكافية ٧٦/٢.

(٣) انظر ابن عقيل ١٦٨/٢، التصريح ٩٨/٢.

(٤) انظر التصريح ٨٩/٢.

إلى غير ذلك من وسائل المبالغة في المفردات.

ب - المبالغة في الجمل: ومن وسائل المبالغة في الجمل:

١- الإخبار بالمصدر عن الذات وهو يفيد المبالغة بجعل الميم هو الحدث نفسه وذلك كقوله تعالى في ابن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] أي أنه تحول إلى عمل غير صالح، جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾: «وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذلك كقوله (فإنما هي إقبال وإدبار)»^(١).

ومنه قول الخنساء تصف ناقتها:

ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت فإنما هي إقبال وإدبار
فأخبرت عن ناقتها بقولها (فإنما هي إقبال وإدبار). والإقبال والإدبار لا يكونان خبراً عن الناقة وإنما هي مقبلة ومدبرة، وإنما القصد المبالغة.

والمعنى أن الناقة تحولت إلى حدث مجرد ليس فيها شيء من عنصر المادة. ونحوه أن تقول (إنما أنت سير) وذلك يفيد المبالغة، والمعنى أنك تحولت إلى سير وهو تجوز.

ومما يقرب من هذا الباب وصف الذات بالمصدر نحو قولهم (مررت برجل صوم) و (مررت برجل عدلي) ونحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْبٍ مِّنْ يَدْرِ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] والقصد منه المبالغة على معنى أن الذات تحولت إلى حدث مجرد. جاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَيْبٍ مِّنْ يَدْرِ كَذِبٍ﴾ «ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه: فهن به جود وأنتم به بخل»^(٢).

جاء في (شرح الرضي على الكافية): «والأولى أن يقال أطلق اسم

(١) الكشاف ١٠١/٢.

(٢) الكشاف ١٢٧/٢.

الحدث على الفاعل والمفعول مبالغة كأنهما من كثرة الفعل تجسما منه^(١).

وجاء في (الخصائص): «إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه، ويدل على أن هذا معنى لهم ومتصور في نفوسهم قوله:

ألا أصبحت أسماء جاذمة الجبل وضئت علينا والضحين من البخل

أي كأنه مخلوق من البخل لكثرة ما يأتي به منه، ومنه قول الآخر:

ومن من الأخلاف والولمان

وقوله:

ومن من الأخلاف بمدك والمطل

وأصل هذا الباب عندي قول الله عز وجل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقولك رجل ذئف أقوى معنى لما ذكرناه من كونه كأنه مخلوق من ذلك الفعل، وهذا معنى لا تجده ولا تتمكن منه مع الصفة الصريحة^(٢).

وجاء فيه أيضاً: «إذا قيل (رجلٌ عدل) فكأنه وصف بجميع الجنس مبالغة كما تقول: استولى على الفضل وحاز جميع الرياسة والنبيل ولم يترك لأحد نصيباً في الكرم والوجود ونحو ذلك. فوصف بالجنس أجمع تمكيناً لهذا الموضع وتوكيداً.

وقد ظهر منهم ما يؤيد هذا المعنى ويشهد به وذلك نحو قوله:

ألا أصبحت أسماء جاذمة الجبل وضئت علينا والضحين من البخل

فهذا كقولك: هو مجبول من الكرم ومطّين من الخير وهي مخلوقة من البخل... وأقوى التأويلين في قولها (فإنما هي إقبال وإدبار) أن يكون من هذا أي كأنها مخلوقة من الإقبال والإدبار لا على أن يكون من باب حذف المضاف أي ذات إقبال وإدبار، ويكفيك من هذا كله قول الله عز

(١) الرضي على الكافية ١/٣٣٤.

(٢) الخصائص ٢/٢٥٩-٢٦٠.

وجل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وذلك لكثرة فعله إياه واعتياده له^(١).

ومنه وقوع المصدر حالاً نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسَ الْبِرُّ لِلرِّبِّ كَثْرًا رَاحًا فَلَا قَوْلُهُمْ إِلَّا نَبَارٌ﴾ [الأنفال: ١٥] أي زاحفين، وقوله: ﴿ثُمَّ أَدْعَاهُمْ يَايْتِنَاكَ سَعِيًّا﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي ساعيات ونحوه قولك (جنت ركضاً) أي راكضاً والغرض من ذلك كله المبالغة ذلك أن المصدر هو الحدث المجرد فلا يصح أن يقع خبراً ولا نعتاً ولا حالاً عن الذات إلا على ضرب من التجوز كما أسلفنا، فمعنى قولك (أقبل ركضاً) أنه تحول إلى ركض عند إقباله، ومعنى قوله: ﴿يَايْتِنَاكَ سَعِيًّا﴾ إنهن يتحولن إلى حدث مجرد ليس فيهن شيء من عنصر الذات.

٢- نسبة الشيء إلى غير أصله كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] مبالغة في اتصافه بالمجلة، وكقولك في بلادة شخص ما (خُلِقَ هو والحمار من طينة واحدة) ومنه قول الشاعر:

ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل وضنت علينا والضنين من البخل
أي كأنه مخلوق من البخل لكثرة ما يأتي منه، ومنه قول الآخر:

وهن من الأخلاف والولعمان

وقوله:

وهن من الأخلاف بمدك والمطل^(٢)

٣- الوصف بالأسماء الجامدة للدلالة على الكمال أو غيره نحو أي وكل وجد وحق كقولك: مررت برجل أي رجل وهو الرجل كل الرجل وحق الرجل وجد الرجل. والمقصود بها كلها المبالغة في الكمال فقولك (مررت برجل أي رجل) يعني أنك مررت برجل كامل^(٣).

(١) الخصائص ٢/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٣) انظر الكتاب ١/ ٢١٠، الرضي على الكافية ١/ ٣٣٢.

وكذلك قولك مررت بالرجل كل الرجل وحق الرجل وجد الرجل
فالمقصود بكل ذلك المبالغة في الكمال وبلوغ الغاية^(١).

قال الرضي: معنى (كل الرجل) أنه اجتمع فيه من خلال الخير ما
تفريق في جميع الرجال، ومعنى (جد الرجل) أي كأن ما سواك هزل و (حق
الرجل) أي أن من سواك باطل^(٢).

ومنه قولهم (ما شئت) في نعت النكبات نحو (رأيت رجلاً ما شئت
من رجل) أي رجلاً يسد مشيتك وإرادتك.

ومن ذلك الألفاظ المتقاربة في معنى الكفاية كقولهم (مررت برجلٍ
حسبك من رجل وشرعك من رجل وناهيك من رجل وكفئك من رجل
ومذك من رجل) وكلها على معنى المبالغة في الكفاية وسد الحاجة.

ومن ذلك الوصف باسم الجنس نحو (مررت برجلٍ أسد) أي جريء،
وبرجلٍ حمار أي بليد، وبامرأةٍ كلبة أي دنية^(٣).

ومنه أن يكرر لفظ الجنس على إرادة معنى الكمال نحو (مررت برجلٍ
رجل) أي كامل في الرجولة و (رأيت أسداً أسداً) أي كاملاً^(٤).

٤- القطع إلى الرفع والنصب وذلك نحو مررت بزيد الكريم أو
الكريم وهو يفيد المبالغة، ذلك أن القطع يعني أن الموصوف مشتهر بالصفة
معلوم بها حقيقة أو ادعاء^(٥) فيكون القطع أبلغ في المدح والذم لأنك تدعي
أنه معلوم بالصفة مشتهر بها وأن المخاطب يعلم من الوصف ما علمه
المتكلم، ومعنى ذلك أنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة حدًا بحيث أصبح لا
يخفى على أحد، جاء في (الكامل):

(١) انظر الكتاب ١/ ٢٢٣ - ٢٢٤، شرح ابن يعيش ٤٨/٣.

(٢) الرضي على الكافية ٣٣٣/١.

(٣) الرضي على الكافية ١/ ٣٣٤ - ٣٣٥، شرح ابن يعيش ٣١/٥.

(٤) انظر الرضي على الكافية ١/ ٣٣٥، شرح ابن يعيش ٣١/٥.

(٥) الرضي على الكافية ١/ ٣٤٦، التصريح ١١٦/٢.

«إذا قال (جاءني عبدالله الفاسق الخبيث) فليس يقول ذلك إلا وقد عرفه بالخبيث والفسق فنصبه يـ(أعني) وما أشبهه من الأفعال نحو (اذكر) وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح»^(١).

وجاء في (الكتاب): «هذا باب ما ينتصب في التعظيم والمدح) وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول وإن شئت قطعته فابتدأته وذلك قولك الحمد لله الحميد هو والحمد لله أهل الحمد والملك له أهل الحمد، ولو ابتدأته فرفعتة كان حسناً كما قال الأخطل:

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يومَ باسَلْ ذكر
الخائضُ الغمر والميمونُ طائره خليفة الله يستسقى به المطر
زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من
تخاطبه بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما علمت فجعلته ثناء
وتعظيماً. ونصبه على الفعل كأنه قال (اذكر أهل ذلك) و (اذكر المقيمين)
ولكنه فعل لا يستعمل إظهاره»^(٢).

وجاء فيه أيضاً: «هذا باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) وذلك قولك: أتاني زيد الفاسق الخبيث لم يرد أن يكرره ولا يعترفك شيئاً تنكره ولكنه شتمه بذلك... وقال عروة الصعاليك:
سقوني الخمر ثم تكشفوني عداة الله من كذب وزور
إنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين... فقد يجوز (مررت
بقومك الكرام) إذا جعلت المخاطب كأنه قد عرفهم»^(٣).

٥- القصر: وهو يفيد قوة ومبالغة في الحكم كقولك (لا شاعر إلا
البحثري) فقد نفيت الشعر عن عداه وكان من عداه ليس بشاعر، ولا شك
أن هذا مبالغة في الحكم.

(١) الكامل ٧٤٨/٣.

(٢) الكتاب ١/ ٢٤٨ - ٢٥٠.

(٣) الكتاب ١/ ٢٥٢.

ومن ذلك قولك (زيد الشجاع) و (زيد هو الشجاع) فقد قصرت الشجاعة على زيد مبالغة، جاء في (دلائل الإعجاز): «إن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصده المبالغة وذلك قولك (زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع) تريد أنه الكامل إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجواد أو الشجاعة لم توجد إلا فيه»^(١).

وجاء في (الإيضاح) أن المعرف بلام الجنس قد يفيد القصر تحقيقاً وأما مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه كقولك (عمرو الشجاع) أي الكامل في الشجاعة، تخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصوره عن رتبة الكمال»^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَمْسَرَهُمْ وَأَلْسَنَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰئِدِلُونَ ﴿١٧٨﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخٰئِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٩] فالغافلون كثيرون والذين طبع على قلوبهم من غير هؤلاء أصناف، والخاسرون غير هؤلاء كثير ولكن لعظم جرم هؤلاء حصرها عليهم مبالغة^(٣).

٦- التمييز المحول عن فاعل أو مفعول: نحو طاب محمد نفساً وتصبب عرقاً ونحوه قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] والأصل طابت نفس محمد وتصبب عرقه وفجرتنا عيون الأرض، والغرض من ذلك هو المبالغة، جاء في (شرح ابن يعيش): «فإذا قلت طاب زيد نفساً فتقديره طابت نفس زيد، وإذا قلت: تصبب عرقاً فتقديره تصبب عرقه... وإنما غيرت بأن ينقل الفعل عن الثاني إلى الأول فارتفع بالفعل

(١) دلائل الإعجاز ١٢٨.

(٢) الإيضاح ١/ ١٩٨-١٩٩.

(٣) انظر معاني النحو ١/ ١٨٩.

المنقول إليه وصار فاعلاً في اللفظ... وإنما أسند إليه مبالغة وتأكيذاً.

ومعنى المبالغة أن الفعل كان مسنداً إلى جزء منه فصار مسنداً إلى الجميع وهو أبلغ في المعنى. والتأكيد أنه لما كان يفهم من الإسناد إلى ما هو متصّب به ثم أسند في اللفظ إلى زيد تمكن المعنى^(١).

وجاء في (شرح الأشموني) أنه إنما حول الإسناد إلى غيره لقصد المبالغة^(٢). وجاء في (شرح الرضي على الكافية) أن الأصل في (طاب زيد نفساً) «لزيد نفس طابت وإنما حولت بها لغرض الإبهام أولاً ليكون أوقع في النفس لأنه يتشوق النفس إلى معرفة ما أبهم عليها أيضاً إذا فسرت بعد الإبهام فقد ذكرته إجمالاً وتفصيلاً»^(٣).

٧- تحويل مرفوع الصفة المشبهة إلى النصب أو الجر وذلك نحو (هو حسنٌ وجهه) (بالنصب) أو حسنٌ وجهاً أو حسن الوجه بالإضافة، والأصل (هو حسنٌ وجهه) بالرفع، والتحويل إلى أي من النصب والجر يفيد المبالغة عند النحاة من ناحيتين: «وذلك أنك جعلت الحسن للرجل عموماً ثم خصصت وجهه فتكون قد مدحته مرتين. مرة لعموم شخصه ومرة لوجهه.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن في هذا التعبير إيضاحاً بعد الإبهام فإنك عندما قلت (مررت برجلٍ حسنٍ) ونوتت الصفة كنت كأنك أنهيت الكلام على الإبهام ثم أوضحت جهة الحسن بعدما أبهمت، وللإيضاح بعد الإبهام مزية»^(٤).

وأما التحويل إلى الإضافة فذلك أنك نقلت الصفة من المرفوع إلى الجميع، وإيضاح ذلك أنك تقول (زيد حسنٌ وجهه) بالرفع فيكون الوجه فاعلاً للصفة المشبهة وقد أسند الحسن إليه، فإذا أضفت نقلت (زيد حسن

(١) شرح ابن يعيش ٧٥٢.

(٢) شرح الأشموني ٢/ ٢٠٠-٢٠١، حاشية الصبان ٢/ ٢٠١.

(٣) الرضي على الكافية ١/ ٢٢٣.

(٤) معاني النحو ٣/ ١٧٣.

الوجه) كنت قد أسندت الحسن إلى زيد على العموم ثم ذكرت الوجه فكان فيه من المبالغة ما كان في النصب. جاء في (شرح ابن يعيش) في قولهم (حسن الوجه) بالإضافة: «فإن قلت: إذا كان الحسن للوجه والوجه هو الفاعل فكيف جاز إضافته إليه وقد زعمتم أن الشيء لا يضاف إلى نفسه؟ فالجواب أنك لم تضيفه إلا بعد أن نقلت الصفة عنه وجعلتها للرجل دون الوجه في اللفظ وصار فيه ضمير الرجل، فإذا قلت حسن الوجه كان الحسن شائعاً في جملة كانه وصفه بأنه حسن القامة بعد أن كان الحسن مقصوراً على الوجه دون سائره فلما أريد بيان موضع الحسن أضيف إليه»^(١).

وجاء في (شرح الرضي على الكافية) أن فائدة الجر المعنوية في قولهم (حسن الوجه) «الإبهام ثم التفسير وإن لم يكن الوجه منصوباً على التمييز»^(٢).

٨ - الحذف: قد يفيد الحذف المبالغة وذلك نحو قولك (أنت سيراً) فهذا يفيد أن السير متصل بعضه ببعض، ولو قلت (أنت تسير سيراً) لم يفد ذلك بل يقال هذا وإن كان السير قليلاً.

ومن ذلك حذف الجواب في نحو قولك (والله لئن فعلت) وتسكت فلا تذكر الجواب مبالغة في التهديد والوعيد فيبقى ذهنه مشتتاً لا يعلم ماذا ستفعل به. ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] فحذف الجواب للإبهام والمبالغة أي لرأيت أمراً فظيماً لا يحيط به الوصف.

ونحوه قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقِيحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فلم يذكر الجواب للمبالغة في الدلالة على الإكرام وأن ما يلقونه أكبر مما يقال فيه، جاء في (البرهان): «قالوا وحذف الجواب يقع في مواقع التفخيم والتعظيم ويجوز حذفه لعلم المخاطب به، وإنما يحذف لقصد المبالغة لأن

(١) شرح ابن يعيش ١٢٢/٢.

(٢) الرضي على الكافية ٢٠٩/٢.

السامع مع أقصى تخيله يذهب منه الذهن كل مذهب. ولو صرح بالجواب لوقف الذهن عند المصرح به فلا يكون له ذلك الوقوع^(١).

وجاء في (الإيضاح) للقزويني: «أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه، ولو عين شيء اقتصر عليه وربما خف أمره كقوله: ﴿وَيَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ وَنُفِثَتْ أَسْرِبَتُهُمْ وَقَالَ لِمَنْ خَزَنَتْهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يُنَادُوا فَادْعُوهُمْ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ أَتَوْهَا وَقَالَ لَكُمْ ذَرْهَا عَلَىٰ النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُوقَفُ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُبْعِرُونَ تَاكِيًا رُؤسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]^(٢).

وقال ابن يعيش: «وقال أصحابنا أن حذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره. ألا ترى أنك إذا قلت لعبدك (والله لئن قمت إليك) وسكت عن الجواب ذهب فكره إلى أشياء من أنواع المكروه فلم بدر أيها يبقى^(٣). ولو قلت: (لأضربنك) فأتيت بالجواب لم تبق شيئاً غير الضرب^(٤)».

٩- خروج الفعل عن ظاهره وذلك كأن يعبر عن المستقبل بالفعل الماضي وعن الطلب بلفظ الإخبار وكل ذلك بقصد المبالغة ذلك أنه إذا عبر عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي كان القصد من ذلك تحقق الوقوع وأنها بمنزلة الفعل الماضي الذي حصل وقوعه وذلك يفيد مبالغة في إثبات المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَّوْنَهُمْ قَلَمٌ تَارِدٌ مِنْهُمْ لَمَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وقوله: ﴿وَوُضِعَ الْعَسَاءُ فَكَانَتْ أَوْبًا﴾ [١١] ﴿وَسُيِّرَ لِلْجَالِ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [٢٠]. [النبا: ١٩، ٢٠].

(١) البرهان ١٨٣/٣.

(٢) الإيضاح ١/ ١٨٧-١٨٨.

(٣) كذا والأشبهه بالسياق: يتقى.

(٤) شرح ابن يعيش ٩/٩.

وكذلك التعبير بلفظ الخير عن الطلب نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُضَيِّعْنَ أَمْوَالَهُمْ حَرَالَيْنَ كَأَمَلِيٍّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فلفظ ﴿يُضَيِّعْنَ﴾ خير وحقيقته أمر. جاء في (شرح شذور الذهب) في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُضَيِّعْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨] و«هذان الفعلان خبريان لفظاً طلبيان معنى ومثلهما (يرحمك الله). وفائدة العدول بهما عن صيغة الأمر التوكيد والإشعار بأنهما جديران بأن يتلقيا بالمسارعة. فكانهن امتثلن فهما مخبر عنهما بموجودين»^(١).

وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣] «لا تعبدون إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاه فهو يخبر عنه»^(٢).

وجاء في (البرهان) في قول الرسول ﷺ: «لا يخطبُ الرجل على خطبة أخيه ولا يسوم على سوم أخيه» بالرفع «كلامهما لفظه لفظ الخير والمراد به النهي وهو أبلغ في النهي»^(٣).

١٠- التوكيد: ويراد به تقوية الحكم وإثباته وقد يراد به المبالغة كقوله:

يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

وينطبق ذلك على التوكيد بكل صوره سواء كان تابعاً أم كان بصورة نعت مؤكدة كقوله ﴿نَقْعٌ وَبَيْدَةٌ﴾ أو حال مؤكدة كقوله ﴿وَأَنَّ مُذْرِبًا﴾ أو مصدر مؤكدة نحو ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وينطبق كذلك على ما أكد بالحروف المؤكدة كأن ولام الابتداء والحروف الزائدة المؤكدة كالباء الزائدة ومن الاستغراقية كقوله تعالى: ﴿مَا

(١) شرح شذور الذهب ٦٩.

(٢) الكشاف ٢٢٤/١.

(٣) البرهان ٣٥٢/٣.

لَمْ يَدْرِ مِنْ عِلْمِهِ ﴿ [الكهف: ٥] وهو نفي للعلم على سبيل الاستفراق.

وغير ذلك من صور التوكيد.

١١- الألفاظ التي جيء بها توكيداً مشتقة من الاسم المؤكد كقولهم:

ليلة ليلاء وظلمة ظلماء وداهية دهاية وعجب عجب وموت مائت وشيب شائب ونحو ذلك.

وكل ذلك يفيد المبالغة في الوصف بالشدّة والقوة^(١).

١٢- عطف الشيء على نفسه كقوله (هذا زيغ وضلال) و (هذا كذب

وافترأ) و (هذا ظلم وجور) كل ذلك يقصد المبالغة في الحكم ومنه قوله (أتاني هذا الحديث عن أبي حفص والفراروق) يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢).

١٣- إضافة الشيء إلى مرادفه للمبالغة نحو قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُمْ لَعْنُ

الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ [الحاقة: ٥١] و (علم اليقين) وعاش في رخاء الدعة ويعيش في وجل الخوف و (انج نجا الجلد) والنجا هو الجلد، والمعنى: اسلخ الجلد.

وأجاز بعض النحاة أن يضاف الشيء إلى نفسه بقصد التوكيد

والمبالغة^(٣). وعلى هذا يجوز أن يقال (وهو يعيش في ضنك الضنك) و (نكد النكد) و (هول الهول).

١٤- إثبات الشيء ونفي ضده كقوله تعالى: ﴿أَمْزُتْ غَيْرُ نَحْيَاؤِ ﴿

[النحل: ٢١] وهو كريم غير بخيل.

١٥- التشبيه نحو (هي كالشمس) أو كالبدر و (إنك كالليل الذي هو

مدركي) و (كأن الثريا علقت في مصامها).

(١) انظر الأشباه والنظائر ١/ ٩١-٩٢، المزهر ٢/ ٢٤٦-٢٤٨.

(٢) معاني القرآن ٥٨/٢.

(٣) انظر حاشية الصبان ٢/ ٢٤٩.

والمبالغة واضحة في ذلك.

١٦- المجاز والكنائيات كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] كان الغضب كان يلح عليه ويهيجه ويزين له الاندفاع، وكقوله:

فلم أر قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الأسد
وقولك (الكرم بين برديك)، وقوله:

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير
وقوله يصف حصاناً:

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الشريا
سرى خلف الصباح يطير مشياً ويطوي خلفه الأفلاك طياً
إلى غير ذلك من مواطن المبالغة.





توليد المعاني

تتولد المعاني في اللغة بوسائل متعددة يمكن أن نقسمها على قسمين:

أ - وسائل توليد معاني المفردات.

ب - وسائل توليد معاني الجمل.

١- وسائل توليد معاني المفردات: تتولد معاني المفردات في العربية بوسائل متعددة منها على سبيل المثال:

١- الوضع: وهو أولى الوسائل وأقدمها، وأغلب المفردات في العربية آتية عن هذا السبيل وذلك نحو قمر وشمس وأرض وجبل ورجل. وقد تضع اللغة ألفاظاً للتعبير عن المعاني الجديدة وما يستجد من أمور الحياة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وذلك نحو ما يستجد من مخترعات وأفكار جديدة وغير ذلك مما نشاهده في عصرنا الحديث أو في غيره من العصور.

٢- الاشتقاق: وهو من أهم وسائل توليد المعاني، والاشتقاق هو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفاً حروفاً وهيئة تركيب لها^(١) وذلك كاشتقاق الأفعال واسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم التفضيل واسمي المكان والزمان وما يلحق بها وذلك نحو علم يعلم عالم غليم علامة معلوم أعلم تعلم وغيرها.

(١) المزمر ١/٣٤٦.

وقد اشتقت العربية على مرّ العصور ألفاظاً كثيرة للتعبير عن حاجاتها المستجدة ومن ذلك في العصر الحديث ألفاظ المذيع والهاتف والسيارة والدبابة والطيارة والغواصة والصاروخ وغيرها.

٣- التصرف والجمود: قد يفيد كل من التصرف والجمود توليد معنى جديد. فالتصرف هو قبول الكلمة للتغيير كالأفراد والتنبيه والجمع والتذكير والتأنيث وما إلى ذلك، وذلك نحو مهندس ومهندسة ومهندسين ومهندستين ومهندبيين ومهندسات ونحو صائم وصائمة وصائمين وصائمات وصائمين وصائمات وما إلى ذلك.

فكل تغير من هذا يولد معنى جديداً على الأغلب.

وأما الجمود فهو عدم قبول الكلمة للتغيير وذلك نحو أفعال المدح والذم والتعجب والاستثناء وغيرها نحو نعم وبئس وحبذا وما أحسنه وأحياناً به وعدا وخلا في الاستثناء وغير ذلك.

فإن جمود هذه الأفعال إنما كان لتوليد معنى جديد ذلك أنه أصبح لها دلالة خاصة واستعمال خاص. وكذلك كل فعل تحول للدلالة على أمثال هذه المعاني وذلك كالأفعال المحولة لقصد المدح والذم والمحوّلة للتعجب والأفعال المخصصة للاستثناء نحو خلا وعدا وغيرها.

فكما أن التصرف يولد معنى جديداً كذلك الجمود قد يولد معنى جديداً.

٤- الحركة والسكون: تولد الحركات والسكون في بنية الكلمة معنى جديداً في الأغلب. فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى بحسب اختلاف الحركات في بنيتها وذلك نحو (حلم)، فحلّم بفتح اللام أي رأى في المنام وحلّم بضم اللام صار حليماً، وحلّم الأديم بكسر اللام إذا فسد وتثقب.

و (قديم) بكسر الدال إذا آب من سفر، و (قدّم) بضم الدال صار قديماً. و (قدّم) بفتح الدال تقدّم القوم.

و (الْحَلَن) بفتح الحاء شراب معروف و (الْحِلَن) بكسرهما الصديق.
و (القَيْلَة) و (القَيْلَة) والضَيْد والضَيْد، فالضَيْد بسكون الياء مصدر
صاد، والضَيْد بفتحها مصدر صيد وهو داء.
والخَوْر والخَوْر، فالخَوْر بسكون الواو هو الرجوع والخَوْر بفتحها من
صفات العين، وغير ذلك.

فالحركة والسكون في بنية الكلمة من أهم وسائل توليد المعاني.

٥- الصيغ المختلفة كاسم الفاعل واسم المفعول والمصادر وأبنية
أسماء المكان والزمان وغيرها، فصيغة اسم الفاعل لها معنى، وصيغة اسم
المفعول لها معنى، وصيغة اسمي المكان والزمان لها معنى واسم التفضيل
له معنى، وكذلك أبنية المصادر كالفعالة والفعال والفعالان، وكأفعل وفعل
وفعل في الصفات المشبهة وكأبنية جموع التكسير وغيرها.

فالفعالة في المصادر مثلاً تفيد الحرفة والولاية كالنجارة والصناعة
والسقاية والحجاية. تقول (سقاء الماء سقياً) فإذا أردت الولاية قلت:
السقاية. قال تعالى: ﴿أَجْمَلْتُمْ يَقَايَةَ لَلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ لِقُرَّارٍ كَفَّنَ آمَنَ
بِأَنفُسِهِ﴾ [التوبة: ١٩].

وكالفعال للأدواء والصوت كالصداع والزحار والبكاء والصراخ، يقال:
عطش عطشاً، فإذا كان العطش يعتره كثيراً قالوا: به عطاش.

وتقول: مشى الرجل مشياً ومشى بطنه مشاً^(١) إذا كان داء.

و (أفعل) في الصفات المشبهة للدلالة على الألوان والعيوب الظاهرة
والحلى من خلقة أو ما هو بمنزلتها نحو أحمر وأزرق وأعور وأحول
وأهيف.

و (فعليل) للدلالة على الثبوت مما هو خلقة أو مكتسب نحو طويل
وقصير وخطيب وفقه. فالعسير الصعب و (الأعسر) الذي يعمل بيسراه،

(١) انظر أدب الكاتب ٤٦٩، الأشعري ٣٠٥/٢.

و (المليح) من الملاحه و (الأمليح) لون وهو أشد الزرق الذي يضرب إلى
البياض، و (الصبيح) من الصباحة وأما (الأصيح) فهو لون وهو ما كان لونه
قريباً من الأصهب.

ومثل ذلك أوزان الجموع، فلجموع القلة أوزان، وهناك دلالات
يذكرها النحاة لقسم من جموع الكثرة^(١).

وغير ذلك من الأوزان، جاء في (الأشياء والنظائر) أنهم «قالوا (عذل)
لما يعادل من المتاع و (عديل) لما يعادل من الأناسي والأصل واحد وهو
(ع د ل) والمعنى واحد ولكنهم خصوا كل بناء بمعنى لا يشاركه فيه الآخر
للفرق.

ومثله (بناء حصين) و (امرأة خصان) والأصل واحد والمعنى واحد
وهو الحرز، فالبناء يحرز من يكون فيه ويلجأ إليه والمرأة تحرز فرجها^(٢).

فالبناء على صيغة معينة يفيد معنى معيناً في الغالب.

٦- الإعلال والتصحيح: قد تكون لفظتان من مادة واحدة إحداهما
مُعَلَّة والأخرى مصححة وقد خصت العربية كلا منهما بمعنى وذلك نحو
حار وحرور.

فالقياص في (حرور) أن يحصل فيها إعلال لتحرك الواو وانفتاح ما
قبلها فتكون مثل (حار) لفظاً إلا أنهم لم يعملوها لتفيد معنى آخر، فمعنى
(حار) رجوع ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَمُوتَ﴾ [الانشقاق: ١٤]
وأما (حرور) كفرح فإنها من صفات العين وهو شدة بياضها مع شدة السواد
فيها.

ومثله (حال) و (حوال) فالقياص في (حوال) أن تُعَلَّ أيضاً إلا أنهم لم
يعملوها لإفادة معنى مغاير، وذلك أن معنى (حال) حجز ومنع ومنه قوله

(١) انظر معاني الأبنية في العربية - باب الجموع.

(٢) الأشياء والنظائر ٦٧/١.

تعالى: ﴿وَسَالَ بَيْنَهُمَا السَّوْحُ فَكَانَ مِنَ الْمُتَرَفِّعِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وأما (حوول) فمعناه حدوث الحَوَل في العين وهو ظهور البياض في مؤخر العين. ومثله الحال والحَوَل فالحال هو الحالة التي عليها الشيء والحَوَل هو ما ذكرت. ومثله النخال والحَوَل، فالخال آخر الأم، والحَوَل محركة ما أعطاك الله من النعم والعبيد والإماء^(١)، وقياس الحَوَل أن تكون على (الخال) إلا أنهم لم يعلوها لتوليد معنى آخر.

ونحو ذلك (القيام) و (القوام) بكسر القاف وهما من مادة اشتقاقية واحدة وهي (ق و م) وقد أعلت القيام ولم تعل القوام مع أنهما على صورة واحدة. فأصل القيام القِوَام إلا أنهم أعلوا القيام ولم يعلوا القوام لتوليد معنى آخر، فالقيام مصدر قام، والقوام مصدر قاوم، تقول: قام قياماً وقاوم قواماً.

ومثله اللياذ واللواذ، فاللياذ مصدر لاذ يلوذ واللواذ مصدر لاوذ قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣] وأصل اللياذ اللواذ.

ونحوه كثير في اللغة.

٧- الإدغام والفك: ومن وسائل توليد المعنى الإدغام والفك، فقد تكون كلمة مدغمة وأخرى من نفس المادة اللغوية مفكوكة الإدغام وكل منهما لأداء معنى خاص. ومن ذلك على سبيل المثال آل وألل ولح ولحج ومش ومشش. وهذا المفكوك يقتضي القياس إدغامه إلا أنه لم يدغم لتوليد معنى آخر، فمعنى (آل) طمن ووطىء، ومعنى (ألل) تغيير وفسد، يقال: ألت أسنانه إذا فسدت، وألت السقاء أروحت.

ويقال: لحت القرابة لحتاً ولححت عينه إذا لصقت بالرمص.

ومش مسح يده، ومششت الدابة إذا أصابها المشش وهو بياض يعترى

(١) القاموس المحيط (الخول) ٣٧٢/٣.

الإبل في عيونها. فالإدغام لمعنى وفك الإدغام لمعنى آخر.

٨ الإبدال: قد يكون الإبدال لتوليد معنى مغاير وذلك نحو وَحَد
وأحد فهزمة (أحد) منقلبة عن واو^(١) غير أن لكل منهما معنى.

فالوحد من الوحش المتوحد ومن الرجال الذي لا يعرف نسبه ولا
أصله والليث الوحد المنفرد.

وأما (أحد) فهي إذا أضيفت فإنها تكون بمعنى (واحد) نحو قوله
تعالى: ﴿فَأَبْتَرُوا أَعْيُنَكُمْ بِرَفِقَةٍ هُنْدِيَّةٌ إِلَىٰ أَلْيَدِيَّةِ﴾ [الكهف: ١٩]،
وأما إذا استعملت في الإثبات بلا إضافة ولا تبيين بمن فتختص بالله تعالى
وحده لا يشركه فيها غيره، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]
ولا بوصف بالأحادية غيره فلا يقال رجل أحد ولا درهم
أحد^(٢).

ومن ذلك الوزث والإرث، فهزمة الإرث مبدلة عن واو وأصلها رِزْث
إلا أن الإبدال كان لمعنى فقد قيل أن الوزث والميراث في المال والإرث
في الحساب^(٣).

ومنه وقى وتقى والوقاء والتقاء، فتاء (تقى) و (تقاء) مبدلة من واو
والأصل وقى ووقاء إلا أن الإبدال كان لتوليد معنى جديد، فمعنى (وقاه)
صانه وحفظه مما يكره، وأما (تقى) فمعناه (حذر) فتقبت الشيء حذرته.
تقول (وقيت محمداً) إذا حفظته وصنته، وتقول (تقيت محمداً) إذا حذرته
وحفته.

والوقاء والوقاية كل ما وقيت به شيئاً وحفظته.

والتقاء الحذر.

(١) انظر لسان العرب (وحد) ٤/٤٦١.

(٢) لسان العرب (وحد) ٤/٤٦٤.

(٣) لسان العرب (ورث) ٣/٢٢٢.

فالإبدال قد يكون لتوليد معنى مغاير.

٩- الإلحاق: ومعنى الإلحاق في الاسم والفعل أن تزيد حرفاً أو حرفين على تركيب زيادة غير مطردة في إفاضة معنى ليصير ذلك التركيب بشلك الزيادة مثل كلمة أخرى في عدد الحروف وحركاتها المعينة والسكنات... وفائدة الإلحاق أنه ربما يحتاج في تلك الكلمة إلى مثل ذلك التركيب في شعر أو سجع.

ولا نحتم بعدم تغير المعنى بزيادة الإلحاق على ما يتوهم كيف وأن معنى حوقل مخالف لمعنى حقل وشملل ومخالف لشمل معنى^(١).

فالإلحاق قد يكون لتوليد معنى آخر وذلك نحو جلب وجلبب فمعنى (جلب الشيء) ساقه من موضع إلى موضع، ومعنى (جلبب) ألبسه الجلباب^(٢).

ونحو صعر وصعمر، فمعنى (صعر) أصابه الصعر وهو ميل في الوجه، ومعنى صعمر دحرج^(٣).

ونحو حقل وحوقل، فمعنى (حقل الفرس) أصابه وجع في بطنه من أكل التراب و (حوقل الرجل) إذا مشى فأعبا وضعف.
وغير ذلك.

١٠- النحت: وهو أن تأخذ كلمة من كلمتين، جاء في (المزهر) «العرب تنحت كلمة من كلمتين»^(٤) وهو قليل في اللغة نحو الهيللة أي لا إله إلا الله، والحولقة والحوقلية أي لا حول ولا قوة إلا بالله، والحمدلة أي الحمد لله، والبسملة أي بسم الله الرحمن الرحيم، ونحو عبدري نسبة إلى عبد الدار، وعبقي نسبة إلى عبد القيس، ومرقي نسبة إلى امرئ القيس،

(١) الرضي على الشافية ٥٢/١.

(٢) انظر لسان العرب (جلب) ٢٦٠/١، ٢٦٥.

(٣) لسان العرب (صعر) ٦/ ١٢٦-١٢٧، القاموس المحيط (الصعر) ٦٩/٢.

(٤) المزهر ٤٨٢/١.

وعبشمي نسبة إلى عبد شمس. ويمكن الاستفادة منه في العصر الحديث لتوليد معانٍ جديدة إلى حد ما.

١١- التركيب: وهو أن تتركب كلمتان فتصيرا كلمة واحدة وقد يحدث بالتركيب معنى جديد، وذلك نحو (هلاً) فإنها مركبة من (هل) و (لا) ونحو لولا ولوما وكأين وهلم وغيرها فيتولد بالتركيب معنى لم يكن قبله في الغالب، جاء في (الأشياء والنظائر): «قال أبو حيان: قد يحدث بالتركيب معنى وحكم لم يكن قبله، ألا ترى أن (هل) حرف استفهام تدخل على الجملة الإسمية والفعلية فإذا ركبت مع (لا) صار المعنى على التحضيض ولم تدخل إلا على الفعل ظاهراً أو مضمراً.

وكذلك (لو) كانت لما كان سيقع لوقوع غيره ولا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً فإذا ركبت مع (لا) صارت حرف امتناع لوجود واختصت بالجملة الاسمية.

وقال الزمخشري: (إلا) مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية، وبعد التركيب صارت كلمة تنبيه تدخل على ما لا تدخل عليه كلمة (لا).

وقال الشيخ أكمل الدين في حاشية على الكشاف: قد تتركب حروف المعاني فيستفاد منها معنى غير ما كان أولاً كهلاً والوا ولولا ولوما وألاً كذلك.

وقال ابن يعيش: (كأين) مركبة أصلها (أي) زيد عليها كاف التشبيه وجعلت كلمة واحدة وحصل من مجموعهما معنى ثالث لم يكن لكل واحد منهما في حال الإفراد^(١).

ومن التركيب بعد عصور الفصاحة اللانهاية والمامية، وفي العصر الحديث اللاسلكي واللامتمي والرأسمالية ونحوها.

١٢- التعريب: وهو من الوسائل المهمة في التوليد وقد عزت العرب

(١) الأشياء والنظائر ١/ ١٠٤-١٠٥.

كلمات كثيرة وأدخلتها في لغتها على مر العصور كالأجر والساج والصولجان والمغناطيس والهيولى والماكنة والتلفاز وغيرها.

إلى غير ذلك من وسائل التوليد.

ولا بد أن أذكر هنا أن أهم وسيلة للتوليد هو الاشتقاق إذ بواسطته نستطيع أن نولد الكثير من المعاني وأن نضع أسماء لكثير من الآلات كما فعلنا في الدبابة والطيارة والسيارة والغواصة والهاتف والمذيع وغيرها.

فإن عزَّ الاشتقاق ففي غيره مندوحة.

ب - وسائل توليد المعاني في الجمل: يكون توليد المعاني في الجمل بطرائق مختلفة منها على سبيل المثال:

١- الإعراب: إن الإعراب من الوسائل المهمة لتوليد المعاني، فبتغيير الإعراب تتغير المعاني ويحصل معنى جديد وذلك نحو قولك (ما أحسن خالد) فإنك إذا قلت (ما أحسن خالد) بفتح نون (أحسن) ورفع (خالد) كان المعنى النفي، والمعنى: لم يحسن خالد. وإن قلت (ما أحسن خالداً) بفتح نون (أحسن) ونصب (خالد) أصبحت الجملة ذات معنى آخر وهو التمجيد. فإن قلت (ما أحسن خالد) بضم نون أحسن وجر خالد صار استفهاماً، فكل تغيير في الإعراب ولَّد معنى جديداً.

ونحو ذلك قولك (هذا بسرأ أطيب منه رطباً) أي هذا في حالة البسر أطيب منه في حالة الرطب، فإن قلت (هذا بسرأ أطيب منه رطب) برفع البسر والرطب تولد معنى آخر ويكون المعنى (هذا بسر) غير أن هناك رطباً أطيب منه.

وتقول (هذا رجلاً أحسن منه غلاماً) فقد فضلت الشخص في حالة كونه رجلاً على نفسه حين كان غلاماً، فإن قلت (هذا رجل أحسن منه غلام) كانا اثنين وليس واحداً، والمعنى أن هذا رجل غير أن الغلام أحسن منه.

ونحوه أن تقول (لا يذهب محمود) فإن قلتها برفع (يذهب) كان نفياً، وإن قلتها بالجزم صار المعنى نهياً.

ونحو (له انطلاق انطلاق السهم) فإن قلتها بنصب (انطلاق السهم) كان المعنى أنك مررت به وهو ينطلق، وإن قلتها بالرفع كان المعنى أن انطلاقه انطلاق السهم. أي أنه إذا انطلق فانطلاقه كالسهم وأن هذا الأمر قد عرفته منه وإن لم تره الآن ينطلق.

وفيما مر في الكتاب أمثلة كثيرة لتغيير المعنى بتغيير الإعراب فلا نظيل الكلام فيه.

٢- التقديم والتأخير: إن كل تقديم أو تأخير في العبارة الواحدة يولد معنى جديداً، فقولك (يذهب محمود) له معنى، فإن قلت (محمود يذهب) تولد معنى آخر وهو الاختصاص مثلاً. وقولك (أسلم محمد وجهه لله) له معنى، فإن قلت (محمد أسلم وجهه لله) أو (وجهه أسلم محمد لله) أو (وجهه محمد أسلم لله) أو (الله أسلم وجهه) أو (الله أسلم محمد وجهه) أو غير ذلك كان لكل عبارة معنى.

ونحوه أن نقول (أعطيت زيدا عمراً) و (أعطيت عمراً زيدا) فزيداً في الأول هو الآخذ وفي الثانية مأخوذ، ونحوه ما جاء في الحديث عن الأرقم: «إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم».

وقد مر نحو هذا بما فيه الكفاية.

٣- الذكر والحذف: قد يولد الذكر والحذف أحياناً معنى جديداً وذلك نحو قولك (هو يمشي مشياً) و (هو مشياً) فالحذف في العبارة الثانية ولد معنى جديداً. فإن معنى العبارة الثانية أنه يمشي مشياً مستديماً متصللاً بعضه ببعض. أما العبارة الأولى فقد تقال لمن كان يمشي ولو قليلاً.

ونحو قولك (مررت برجل ذي صوم) و (مررت برجل صوم) فإن العبارة الثانية تفيد المبالغة ولا تقال إلا لمن يكثر الصوم فكأنه تحول إلى صوم، وأما العبارة الأولى فتقال لمن كان صائماً ولو يوماً واحداً.

ونحو قولك (جئت في صباح) و (جئت صباحاً) فذكر (في) أفاد تنكير الصباح وحذفها أفاد تعيينه وجعله صباح يوم بعينه، ونحوه قولك (يسافر في ليل) و (يسافر ليلاً).

ونحو قولك (سرت في شهر رمضان) و (سرت شهر رمضان) فذكر
(في) أفاد توقيت المسير، وحذفها ولّد معنى آخر إضافة إلى المعنى الأول
وهو ذكر مدة السير أي أن سيره استغرق شهر رمضان بأكمله. وأما العبارة
الأولى فتقال لتعيين وقت السير وإن كان حصل في ساعة واحدة منه.

ونحو (فاصدع بما تؤمر به) و (فاصدع بما تؤمر) فمعنى العبارة
الأولى: اصدع بالذي تؤمر به ف (ما) اسم موصول، وحذف (به) ولّد معنى
آخر إضافة إلى المعنى الأول وهو: فاصدع بأمرنا فتكون (ما) مصدرية.
ونحو ذلك كثير.

٤- اختلاف التقدير: قد يولد اختلاف التقدير اختلافاً في المعنى
فيتولد من كل تقدير معنى جديد وذلك نحو قولنا (حسن خالد أباً) فإذا
أعربنا (أباً) تمييزاً كان للجملة معنى، وإذا أعربناها حالاً كان لها معنى آخر.
ومعناها على التمييز حسن أبو خالد، ومعناها على الحال حسن خالد حال
كونه أباً.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ حَوْقًا وَمَطْمًا﴾ [الأعراف: ٥٦] فإذا أعربنا
(حوقاً) مفعولاً له كان لها معنى وإذا أعربناها حالاً كان لها معنى آخر،
فمعنى المفعول له ادعوه للخوف والطمع ومعنى الحال ادعوه خائفين
وظامعين.

ونحوه قوله تعالى: ﴿تَلَيَّضَكُمْ قَلِيلًا وَزَيَّنَّاكُمْ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] فإذا
أعربنا قليلاً وكثيراً ظرفاً كان لها معنى وإذا أعربناها مفعولاً مطلقاً كان لها
معنى آخر.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْقَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١] فإذا أعربنا
(القوز) خبراً كان لها معنى، وإذا أعربنا (الكبير) خبراً كان لها معنى آخر.

ونحوه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]
فإنه يصح أن يقدر المعنى أنه رفعها بغير عمد وجملة (ترونها) استئنافية،
ويصح أن تقدر المعنى أنه رفعها بعمد غير مرئية، فيتولد من كل تقدير معنى.

وقد مر بنا كثير من نحو هذه الجمل.

٥- التضمين: إن التضمين يولد معنى جديداً فهو يأخذ معنى من الفعل المذكور ومعنى من الفعل المقدر فيتولد منهما معنى جديد يجمع بين المعنيين، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُنَا بِشَرِبِهَا يَبِأَذِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] فقد ضمن (يشرب) معنى (يرتوي) فجمع معني الشرب والري معاً.

ونحوه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] فقد ضمن ﴿أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ معنى تسلطوا على الناس بالاكتيال وظلموهم حقهم.

ونحو قوله: (قد قتل الله زياداً عني) أي صرفه عني بالقتل.

وهو كثير.

٦- الاختلاف في التعليق: قد تأتي بجمل يحتمل فيها الظرف والجار والمجرور أكثر من تعليق فيكون لكل تعليق معنى وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: ٢٨] فإن علفت ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ بمحذوف كان المعنى أن الرجل من آل فرعون، وإن علفتها بـ ﴿يَكْتُمُ﴾ كان المعنى أنه يكتُم إيمانه من آل فرعون ولا يدل على أنه منهم.

ونحو قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَهُ إِبْدَهُمَا تَتَّبِعِيَ عَلَى آسْتَحْيَاوُ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِ بَدْمُوكُ﴾ [الفصص: ٢٥] فإن علفت ﴿عَلَى آسْتَحْيَاوُ﴾ بتمشي كان المعنى أن مشياً كان على استحياء وإن علفته بالقول كان القول على استحياء.

ونحوه أن تقول (الذي هاجر من مصر إلى الشام وصل) فإذا علفت (إلى الشام) بـ (هاجر) كان المعنى أن الهجرة إلى الشام وأنه وصل ولكن الوصول قد يكون ليس إلى الشام، فقد يكون المكان الذي وصل إليه هو مرحلة من مراحل الطريق. وإن علفت (إلى الشام) بـ (وصل) كان المعنى (الذي هاجر من مصر) (وصل إلى الشام) لكنك لم تذكر إلى أين هو مهاجر فقد يكون هاجر إلى الشام أو إلى غيرها.

فإن معنى التقدير الأول أن الهجرة إلى الشام ولكن الوصول قد يكون إلى الشام أو إلى غيرها.

ومعنى التقدير الثاني: أن الوصول إلى الشام ولكن الهجرة قد تكون إلى الشام أو إلى غيرها.

ونحو ذلك أن تقول (يهدي الله إليه الأسرع في التوبة)، فهذا يحتمل أن يكون الجار والمجرور (إليه) متعلقاً بـ (يهدي) فيكون المعنى:

(يهدي الله إليه) (الأسرع في التوبة) فالهداية إليه سبحانه.

ويحتمل أن يكون متعلقاً بـ (الأسرع) فيكون المعنى:

يهدي الله (الأسرع إليه) في التوبة، فيكون الإسراع إليه.

ويحتمل أن يكون متعلقاً بالتوبة فيكون المعنى:

يهدي الله الأسرع في (التوبة إليه)، فتكون التوبة إليه كما قال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

فيتولد من كل تقدير معنى.

٧ - الوقف والابتداء: قد تحتمل العبارة أكثر من موطن للوقف والابتداء، ويكون لكل موطن منهما معنى، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِيَكُم تَبَاؤُهُمُ مِنَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ لِيُدْخِلَهُمُ اللَّهُ فِي عَذَابِهِمْ لِيَسْلُبَهُمْ أَوْلَادَهُمْ وَيَجْعَلَ فِيهَا كِفَالَهُمْ﴾ [النور: ٢١]. فإذا وقفت على (ثمود) وابتدأت بما بعدها كان المعنى ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَكُمُ التَّبَاؤُهُمْ مِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ لِيُدْخِلَهُمُ اللَّهُ فِي عَذَابِهِمْ لِيَسْلُبَهُمْ أَوْلَادَهُمْ وَيَجْعَلَ فِيهَا كِفَالَهُمْ﴾.

وإذا وقفت على (من بعدهم) دخلوا فيمن قبلهم وكانت جملة ﴿لَا يَسْلُبُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ اعتراضية ويجوز أن تكون استثنائية.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَمُ تُأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّايِحُونَ فِي أَلْيَمٍ يَقُولُونَ مَاذَا يَوْمَ كُلِّ تَيْنٍ عِنْدَ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فقد وقف الأكثرون على (إلا الله) والمعنى أنه لا يعلم تأويل المتشابهة

إلا الله وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا.

ووقف آخرون على قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على معنى أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، وجملة (يقولون...) كلام مستأنف أو حال^(١).

ونقول في غير القرآن (الذي يؤمن بالله وبرسله وبالأخرة هو مؤمن مهتد له الجنة).

فإذا وقفت على (الأخرة) كانت جملة (هو مؤمن...) خبراً ويكون الكلام على النحو الآتي (الذي يؤمن بالله وبرسله وبالأخرة) (هو مؤمن مهتد له الجنة).

وإذا وقفت على (رسله) وعلى (مؤمن) كان (مهتد) هو الخبر ويكون لكلام على النحو الآتي (الذي يؤمن بالله وبرسله) (وبالأخرة هو مؤمن) (مهتد له الجنة).

ونحوه أن تقول (محمد مسافر أخواه غاضبان عليه)، فإذا وقفت على (مسافر) كانت جملة (أخواه غاضبان عليه) خبراً ثانياً أو جملة حال، وتكون على النحو الآتي (محمد مسافر) (أخواه غاضبان عليه).

وإذا وقفت على (أخواه) كان المسافر أخويه و (غاضبان عليه) خبراً ثانياً، وتكون على النحو الآتي: (محمد مسافر أخواه) (غاضبان عليه).

وفي القرآن الشيء الكثير من الوقف والابتداء.

٨- ذكر القيود فكلما ذكرت قيماً تولد معنى جديد، فإذا قلت (ما جاءني أحمد) كنت نفيت مجيء أحمد، فإن قلت (ما جاءني محمد راكباً) فهذا يحتمل أنه جاء غير راكب ويحتمل أنه لم يأت أصلاً كما قال تعالى:

(١) انظر المكتفى في الوقف والابتداء، ١٤٠، ١٤١، الكشاف ٣١١/١، البحر المحيط ٣٨٤/٢ - ٣٨٥.

﴿لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ بِإِعْكَافِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي لا يسألونهم الإحافاً
وغير الإحاف.

ونحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَقْبَلْنَا مِنِّي ذُنُوبًا كَمَا أَقْبَلْتُمْ ذُنُوبًا﴾ [الأنعام: ١٦] فهذا يحتمل أنه لم يكن شيئاً لا مذكوراً ولا
غير مذكور ويحتمل أنه كان شيئاً ولم يكن مذكوراً^(١).

ولو قال (لم يكن شيئاً) لأطلق المعنى.

ونحوه قوله: ﴿وَلَا تَنسِي فِي الْأَرْزَاقِ مَرَّةً﴾ [لقمان: ١٨] فإنه لو حذف
﴿مَرَّةً﴾ لفسد المعنى، فذكر القيد وُلِدَ معنى جديداً أصلح المعنى، ونحو
ذلك قول الشاعر:

إنما المبيت من يعيش كشيء

فذكر القيد أصلح المعنى وولِدَ معنى جديداً مقبولاً. ولو حذف القيد
لفسد المعنى.

٩- المركبات: وهي تولد معنى جديداً في الغالب، ومن هذه
المركبات: المركبات المبنية من الظروف والأحوال نحو بين وبين ويوم ويوم
وصباح مساء وبيت بيت، فإن هذا التركيب يولد معنى جديداً وذلك نحو
قولك (هو جاري بيت بيت) أي ملاصقاً، ونحو (تساقطوا أخول أخول) أي
متفرقين، و (هو يأتينا يوم يوم) أي كل يوم^(٢).

ومنها المركبات المعربة الدالة على الترتيب أو التكرار نحو ادخلوا
رجلاً رجلاً أي مترتين، وأقبلوا صفأً صفأً أي مترتين صفأً بعد صف،
ونحو قولك (خذوا واحدة واحدة) أي ليأخذ كل واحد واحدة، ولو قال
(خذوا واحدة) لاشتركوا كلهم في واحدة، ونحو (صلاة الليل ركعتان
ركعتان) أي مكررة.

(١) انظر معاني القرآن ٢١٣/٣، البحر المحيط ٣٩٣/٨.

(٢) انظر الكتاب ٥٣/١، شرح شذور الذهب ١٠٥-١٠٩.

ولو قال (صلاة الليل ركعتان) لم يصح المعنى لأن معنى ذلك أن
مجموع صلاة الليل ركعتان.

١٠- وقد ذكرنا في الجمل ذات الدلالة المشتركة والمتضادة،
والمحتملة لأكثر من معنى وغيرها مواطن قد تفيد توليداً في المعنى فلا نعيد
القول فيها.





مساحة التعبير عن المعنى

في العربية مساحة واسعة للتعبير عن المعنى، فلا يعبر عن المعنى بعبارة واحدة ولا بطريقة واحدة، بل يعبر عنه بعبارات عدّة وبطرائق مختلفة، وهذه العبارات لا تؤدي معنى متماثلاً البتة بل إن كل عبارة تختلف عن معنى العبارة الأخرى شيئاً من الاختلاف قليلاً أو كثيراً وإن كانت كلها يجمع بينها إطار عام.

إن هناك أسباباً لسعة المساحة التعبيرية، منها:

١- الاشتقاق: فالاشتقاق يملأ مساحة واسعة من المعاني وذلك نحو علم، يعلم، اعلم، علمت، أعلم، استعلمت، تعالمت، تعلمت، عالم، معلوم، معلّم، معلّم، مُعلِّم، مُعلِّم، متعلم، متعلم، مستعلم... إلخ.

وهكذا يملأ الاشتقاق مساحة واسعة من معاني العلم.

ولا يقتصر هذا الأمر على الاشتقاق الصغير بل يشمل الاشتقاق الأكبر وهو ما اشترك في أكثر عدد من الحروف مع تناسب في المعنى، مثل نطق ونعق ونهق فهى مشتركة في معنى الصوت وإن اختلف الصوت والمصوت، ونبر ونيز ونبع ونبيغ ونبت فهى مشتركة في معنى الظهور.

ونحو خضم وقضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء... والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها... فاختروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث^(١).

(١) الخصائص ٢/ ١٥٧-١٥٨.

ومثله النضح والنضح فد النضح للماء ونحوه، والنضح أقوى من النضح... فجعلوا الحاء لرتتها للماء الضعيف والحاء لغلظها لما هو أقوى منه^(١).

ومن ذلك أيضاً سدّ وصدّ فكلاهما واحد في معنى المنع غير أن الصد أقوى من السد لأن السد يقال للباب وللثقب ونحوه وقد يقوم به الضعيف والطفل، وأما الصد فلا يقوم به إلا الشديد القوي، فصدّ الحيوان الراكض وصدّ الفارس وصدّ الجيش يحتاج إلى قوة كبيرة. جاء في (الخصائص): «ومن ذلك أيضاً سدّ وصدّ فالسد دون الصد لأن السد للباب يسد والمنظرة ونحوها. والصد جانب الجبل والوادي والشعب وهذا أقوى من السد الذي قد يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك. فجعلوا الصاد لقوتها للأقوى والسين لضعفها للأضعف.

ومن ذلك القسّم والقُصم. فالقسّم أقوى فعلاً من القسّم لأن القسّم يكون معه الدق. وقد يقسم بين الشيتين فلا ينكأ أحدهما. فلذلك خصت بالأقوى الصاد وبالأضعف السين^(٢).

فتقول قسم الماء بينهم وقسم بينهم لحم الجزور وقسم الجين ولا يقال في نحو ذلك (قسّم) لعدم شدته.

ونحو ذلك القُصم والقُصم، فالقسّم - بالقاف - كسر الشيء حتى يبين. وأما القصم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين^(٣).

فخصت القاف بالأقوى والفاء بالأضعف وذلك لقوة القاف وصلابتها وضعف الفاء.

فلاشتقاق بأنواعه يملأ مساحة واسعة من المعنى.

٢- تنوع الأبنية وتعدد المعنى الواحد: وتعدد الأبنية يملأ مساحة

(١) الخصائص ١٥٨/٢.

(٢) الخصائص ١٦١/٢.

(٣) انظر لسان العرب (قصم) ٣٨٦/١٥.

واسعة من المعاني وذلك كصيغ اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة والمصادر والجموع، وكذلك تعدد الأبنية للمعنى الواحد فهناك صيغ متعددة لاسم المفعول والمبالغة والصفة المشبهة وغيرها مثل مجروح وجريح ومصروع وصرع وضُرعة، ونحو غفار وغفور وعلیم وعلّام وعلامة ونشط ونشيط وصدّ وصدّيان وعجل وعجلان وعجول، ومبتين وأموات وموتى وجاهلين وجُهلاء وكريمين وكرام وكرماء، وكل ذلك له معنى خاص به، فـ (كريم) مثلاً أبلغ من (كارم)، و (كُرام) أبلغ من (كريم)، و (كُرام) أبلغ من (كُرام).

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَثَقٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَثَقٌ عَجِيبٌ﴾ [ص: ٥] فعدل من فَعِيل إلى فُعال لزيادة المبالغة. وقال: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ غَيْرٌ﴾ [القمر: ٨] وقال: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ غَيْرٌ﴾ [المدثر: ٩] فقال مرة (فَعِيل) وقال مرة (فَعِيل). وقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ يَبِينُونَ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال: ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحریم: ٦] فقال مرة (أفعل) ومرة (فَعَال). وقال: ﴿إِنَّكَ نَبِيٌّ وَرَأْسُ قَوْمٍ مَبِينُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿أَمْزَوْا غَيْرَ أَحْسَبُوا﴾ [النحل: ٢١] وقال: ﴿وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] فقال (مبتون) وقال (أموات) وقال (موتى).

وكل من هذه الأبنية له معنى خاص به^(١).

ولا شك أن هذه الأبنية تملأ مساحة واسعة من المعاني حرمت منها كثير من اللغات.

٣- تعدد الألفاظ للمعنى الواحد وهو ما يسمى بالمترادف كالأسد والليث والضيغم، والسيف والصارم والحمام.

وأياماً كان الخلاف في مسألة الترادف فيما لا شك فيه أن هناك ألفاظاً متعددة للشيء الواحد ليست متطابقة في المعنى بل إن لكل منها معنى يختلف كثيراً أو قليلاً عن المعنى الآخر. ولأضرب مثلاً واحداً بوضح ذلك

(١) انظر كتابنا (معاني الأبنية في العربية).

وهو ألفاظ (الأسد) وهي اللبث والضيغم والضرغام والصلهام والغضنفر والقسورة والهزبر والرئبال، فهذه كلها من أسماء الأسد ولكنها لا تتطابق في المعنى وإنما يكون لكل لفظة معنى خاص بها.

فالأسم (الأسد) والبقية أوصاف، وإليك إيضاح ذلك:

اللبث: يأتي مصدراً بمعنى الشدة والقوة، ورجل بلّيث شديد العارضة، وقيل شديد قوي، ويأتي وصفاً بمعنى الشجاع، ومصدره (اللبوثة)، يقال: هذا لبث بين اللبوثة أي شجاع بين الشجاعة. والألبث الشجاع وجمعه لبث كأبيض بيض، ويأتي منه اسم تفضيل فيقال: هو ألبث أصحابه أي أشدهم وأجلدهم، وبه سمي الأسد لبثاً^(١).

فهو على هذا وصف له أي شديد قوي.

الضيغم: صفة مشبهة من الضغم وهو العض الشديد، يقال: ضغمه أي عضه، والضيغم كالفيصل والصيقل وهو الذي يعض ومنه سمي الأسد ضيغماً بزيادة الياء^(٢).

الضرغام: هو الضاري الشديد، وهو وصف، يقال: أسد ضرغام، جاء في (لسان العرب): «والأسد الضرغام هو الضاري الشديد المقدم من الأسود»^(٣). فإن كان الأسد عاجزاً أو ليس شديد الضراوة فليس بضرغام.

الصلهام: وصف من الصلابة والشدة يقال: «اصلهم الشيء صلب واشتد». والصلهام من صفات الأسد^(٤).

الغضنفر: الغضنفر هو الغليظ المتغضن، وأسد غضنفر غليظ الخلق متغضنه^(٥). فإن لم يكن كذلك فليس بغضنفر.

(١) لسان العرب (لبث) ٣/ ٨٩.

(٢) انظر لسان العرب (ضغم) ٢٥٠/١٥.

(٣) لسان العرب (الضرغام) ٢٥٠/١٥.

(٤) لسان العرب (صلهم) ٢٣٥/١٥.

(٥) لسان العرب (غضنفر) ٣٢٩/٦.

القنورة: من القسر وهو القهر على الكره والغلبة، يقال قسره يقسه
قسراً أي غلبه وقهره، والقنورة العزيز يقسر غيره أي يقهره.

والقنورة الشجاع والأسد^(١)، قال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ حُرّاً شَتْنِيْرَةً﴾^(٢)
فَرَّتْ مِنْ قَسْرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴿المدثر: ٥١﴾.

ومن هذا سمي الأسد.

الهزبر: هو الغليظ الضخم والشديد الصلب، ومن هذا المعنى سمي
الأسد فإن لم يكن غليظاً ضخماً شديداً صلباً فليس بهزبر، والهزبر أيضاً
القاطع يقال: هزبره أي قطعه^(٣).

فهو وصف على ما ترى.

الربالة: الرابلة أن يمشي متكفناً في جانبه كأنه يتوجى وفعل ذلك من
دهاء وخيشه، وترأبلوا تلتصصوا أو غزوا على أرجلهم وحدهم بلا وإل
عليهم^(٣).

فالرابلة صفة من صفات المشي ومنها سمي الأسد.

فأنت ترى أن هذه صفات للأسد وليست أسماء له.

ونحو ذلك ألفاظ كثيرة مما يسمى بالمترادف كأسماء السيف وكأفعال
المقاربة نحو كاد وكرب وأوشك وأفعال الرجاء نحو عسى وحرى واخلولق،
وأفعال الشروع نحو طفق وأنشأ وجعل وعلق وغيرها فتقول في المقاربة:
كاد زيد يفرق وأوشك أن يفرق وكرب يفرق وهلهل يفرق.

وتقول للرجاء: عسى زيد أن يأتي وحرى أن يأتي واخلولق أن يأتي.

وتقول للشروع: أنشأ يكتب وطفق يكتب وعلق يكتب وجعل يكتب
وأخذ يكتب ونحوها، ولكل تعبير من هذه التعبيرات معنى يختلف عن

(١) لسان العرب (قسر) ٤٠١/٦.

(٢) القاموس المحيط ١٦١/٢.

(٣) القاموس المحيط ٢٨٠/٣.

الآخر، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا (معاني النحو)^(١).

ونحو ذلك الأفعال الدالة على الاستمرار نحو ما زال يفعل وما برح يفعل وما فتىء يفعل وما انفك يفعل وظل يفعل وبقي يفعل وغيرها، وكل تعبير له معنى يختلف عن الآخر كما بينا في كتابنا (معاني النحو)^(٢).

ولا شك أن هذه الألفاظ تملأ مساحة واسعة من المعاني.

٤- تعدد الصور التعبيرية للمعنى الواحد: كثيراً ما تتعدد الصور التعبيرية للمعنى الواحد ويكون لكل صورة معنى يختلف عن معنى الصورة الأخرى مع اشتراكهما في المعنى العام فتكون للمعنى العام، مساحة واسعة تملؤه تعبيرات متعددة وذلك: كالأمر مثلاً فقد يؤدي هذا المعنى بصور مختلفة فيكون بفعل الأمر وباسم الفعل وبالمصدر المنصوب والمرفوع وبالفعل الخبري الدال على الأمر وذلك نحو: اصبرْ وتصبِرْ وتصبِراً وصبِراً وصبِراً وتصبرْ على هذا الأمر. وكلها بمعنى (اصبر) غير أن لكل أمر معنى، ف (صبِراً) أقوى من (اصبر) للدلالة على الحدث المجرد غير المقرون بزمن ولا بفاعل معين.

و (صبِراً) أقوى من صبِراً للدلالة على الثبوت إضافة إلى ما مر.

و (صبِراً) أقوى من (اصبر) أيضاً لما فيه من المبالغة في الأمر ولأنه لا يستند إلى فاعل بارز فيكون بلفظ واحد للجميع. قال عبد القاهر: «أصل نزول انزل انزل ثلاثاً أو أكثر»^(٣) وذكروا أن (فعال) أبلغ من المصدر والصفة، فحماد أبلغ من الحمد ولكاع أبلغ من لكعاء^(٤).

و (تصبير) بلفظ الخبر إذا أريد به الأمر يفيد التوكيد والإشعار بأن

(١) انظر معاني النحو ٢٨٩/١ وما بعدها.

(٢) انظر معاني النحو ٢٥٨/١ وما بعدها.

(٣) الرضي على الكافية ٧٦/٢.

(٤) الرضي على الكافية ٧٦/٢.

الفعل جدير بأن يتلقى بالمسارعة فكأنه امتثل فأنت تخبر عن موجود^(١) كما سبق ذكره.

وكالتعجب: فالتعجب يكون بصور تعبيرية متعددة نحو ما أحسنه وأحسِنُ به وحسُنَ سعيد (بالتحويل إلى فعل) وحسُنَ به ويا لحسن سعيد، وكفى بحسن سعيد، وغير ذلك من الصور التعبيرية المقيسة والمسموعة. وكل صورة لها معنى يختلف عن الصورة الأخرى. وقد ذكرنا معاني هذه الصور في كتابنا (معاني النحو)^(٢) فلا نعيد القول فيها.

وكالحصر نحو إنما أنت شاعر وما أنت إلا شاعر، شاعرٌ أنت، زيد هو الشاعر، زيد شاعر لا كاتب.

وكالتوكيد وله صور تعبيرية كثيرة جداً فتقول مثلاً في توكيد الفعل:

هو يمشي يمشي، وهو يمشي ممشياً، ليمشي، ليمشين، هو يمشي ماشياً. وغير ذلك من صور التوكيد الكثيرة.

٥- تنوع الأدوات للتعبير عن المعنى الواحد: إن الأدوات التي تعبر عن المعنى الواحد متعددة في الغالب ولكل منها معنى يميزها عن الأخرى. فللتنفي أدوات عدة وللإستثناء والنداء والعرض والتحصيض وغيرها. فقد تنفى الأسماء بما وليس وإن ولا وغير، ولكل منها معنى واستعمال.

فـ (ليس) فعل و (غير) اسم، وما وإن ولا حروف، و (ما) أكد من (ليس)، و (إن) أكد من (ما)، فتقول: ليس محمد حاضراً وما محمد حاضراً وإن محمد حاضراً ومحمد غير حاضر ولا محمد حاضر ولا سعيد.

وينفى الجنس تنصيماً بـ (لا) العاملة عمل (إن)، وينفى الجنس احتمالاً بـ (لا) غير الناصبة للاسم فتقول: لا رجلٌ حاضرٌ ولا رجلٌ حاضرًا.

(١) انظر شرح شذور الذهب ٦٩، الكشاف ٢٢٤/١.

(٢) انظر معاني النحو ٦٥١/٤ وما بعدها.

والأفعال تنفي بما وإن ولن ولا ولم ولما، فـ (ما) لنفي المضارع في الحال فتقول: ما يذهب وما يكتب. وهي تنفي الماضي فتقول: ما كتب.

و (إن) تنفي الماضي والمضارع أيضاً قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرَبْتَ أَبْصَارَ بَعِيدٍ مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وقال: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا آلَ بِعْسْنَا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

و (لا) تنفي المضارع والماضي فتقول (هو لا يذهب) قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وتقول (لا ذهب ولا رجع) قال تعالى: ﴿فَلَا سَلْكَ وَلَا سَلَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ٣١].

و (لن) تنفي المضارع نفيًا مؤكدًا وتخلصه للاستقبال تقول (لن أذهب إليه) قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَنْتَمِلُوا وَلَنْ تُنْفَعُوا فَأَنْزَلْنَا الْبَقْرَةَ: ٢٤﴾.

و (لم) و (لما) تنفيان المضارع وتقلبان زمنه إلى الماضي مع اختلاف بينهما في المعنى، تقول (لم يرجع) و (لما يرجع).

وللاستثناء أدوات عدة نحو إلا وغير وسوى وخلا وما خلا وعدا وما عدا وحاشا وليس ولا يكون ولها استعمالات ومعانٍ خاصة.

فـ (إلا) حرف، و (غير) و (سوى) اسمان، و (خلا) و (عدا) يترددان بين الفعلية والحرفية، و (حاشا) حرف جر في الغالب، والبقية أفعال.

وحروف النداء قد تكون للقريب والبعيد وهي متعددة منها: يا والهمزة وأني وأيا وهيا.

وأدوات العرض والتحضيض متعددة وبعضها أقوى من بعض وهي لو وألا (مخففة) و (ألا) بتشديد اللام، وهلا ولولا ولوما.

فلو وألا للعرض وهو الطلب بلين ورفق نحو: لو تنزل عندنا فتستريح، وألا تجلس.

والباقى للتحضيض وهو الطلب بحث وازعاج وهي ألا وألا وهلا ولولا ولوما نحو ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا كَثُرُوا أَصْنُفَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣]

﴿لَوْلَا تَسْتَفْتِرُونَ اللَّهَ﴾ [النمل: ٤٦] و ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِكُوْا إِنْ كُنْتَ مِنْ
الْمُتَدَيِّقِيْنَ﴾ [الحجر: ٧].

وللاستفهام هل والهمزة ولكل منهما معنى واستعمال، فالهمزة تستعمل
لما ادعي أنه واقع بخلاف (هل) نحو قولك (أتضرب سالماً وهو أخوك؟)
فانت أثبت ضربه لسالم وأنكرت عليه ذلك، جاء في (الكتاب) أن «هل»
ليست بمنزلة ألف الاستفهام لأنك إذا قلت: هل تضرب زيداً؟ فلا يكون أن
تدعي أن الضرب واقع. وقد تقول: (أتضرب زيداً؟) فانت تدعي أن الضرب
واقع، ومما يدل على أن الألف ليست بمنزلتها أنك تقول:

أطربياً وأنت قسري

فقد علمت أنه قد طرب ولكن قلت لتوبخه أو تقرره ولا تقول هذا
بعد هل^(١).

وتستعمل أي الهمزة إذا هجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه
بخلاف هل فإنه لا ترجح عنده بنفي ولا إثبات فإذا قلت (أعندك زيد؟)
فقد هجس في نفسك أنه عندك فأردت أن تستب بخلاف هل^(٢).

وقد ألمح سيبويه إلى أن الاستفهام بالهمزة إنما يكون لما توقع فيه
الإثبات بخلاف (هل) فإنها ليست كذلك. قال سيبويه في (باب الحروف
التي لا يليها إلا الفعل) «فمن تلك الحروف (قد) لا يفصل بينها وبين الفعل
بغيره وهو جواب لقوله (أفعل؟) كما كانت (ما فعل) جواباً لـ (هل فعل؟)
إذا أخبرت أنه لم يقع.

ولما يفعل وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً^(٣).

فذكر أن (أفعل؟) جوابه (قد فعل) و (قد) للتوقع والانتظار. ومعنى
ذلك أن السائل كان يتوقع حصول الشيء فجاء الجواب بـ (قد) بخلاف هل.

(١) الكتاب ١ / ٤٨٥ - ٤٨٦.
(٢) البرهان ٤ / ٤٣٣، ٢ / ٣٤٨.
(٣) الكتاب ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩.

فإذا قلت (أكتب خالد في هذا الأمر؟) فإن السائل كان يتوقع أنه كتب أو هجس في نفسه ذلك، وجوابه إذا كان إيجاباً (نعم قد كتب)، وإذا قلت (هل كتب خالد في هذا الأمر؟) فإن السائل لم يكن يتوقع أنه كتب^(١).

والاستعمال بينهما مختلف أيضاً^(٢).

وأدوات القسم مختلفة كذلك كالوار والباء والتاء واللام نحو والله وبالله وتالله والله. وهناك ألفاظ قسم أخرى نحو يمين الله وأيمن الله ولعمرك وقعدك الله وعمرك الله وغيرها.

فالوار أكثرهن استعمالاً في القسم، وتختص هي والتاء من بين حروف القسم به أي بالقسم نحو والله وتالله.

ولا يذكر فعل القسم مع الواو ولا مع التاء فلا يقال: أقسم بالله ولا أقسم تالله. والواو لا تختص بلفظ الله بل تدخل على كل مقسم به نحو ﴿وَأَلَيْلٌ إِذَا يَتَقَنَّ﴾ ﴿وَاللَّيْلُ رَحْمَتًا﴾ أما التاء فتكاد تختص بلفظ الله، ولم ترد في القرآن مع غيره قال تعالى: ﴿وَتَأْتِيهِ لَكَيْدًا أَتَىٰكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧] وفيها معنى التعجب والتفخيم^(٣).

وأما الباء فيجوز ذكر فعل القسم معها فيقال (أقسم بالله) قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النور: ٥٣] وتدخل على الظاهر والمضمر نحو (أقسم بك يا رب)، وتختص بالجواب الطلبي والاستعطافي نحو (بالله افعل) و (بالله لا تفعل) فلا يقعان جواباً لغيرها من حروف القسم.

وأما اللام فهي مختصة في القسم بلفظ الله تعالى ولا تستعمل إلا إذا أريد معنى التعجب، قال سيبويه: «ولا يجيء إلا أن يكون فيه معنى التعجب»^(٤)، نحو لله لا يؤخر الأجل، وهي مختصة بالأمور العظام^(٥).

(١) معاني النحو ٤/ ٦٢١-٦٢٢ وانظر التطور النحوي ١٠٩.

(٢) انظر المغني ٢/ ٣٤٩-٣٥٣، الهمع ٢/ ٧٧-٧٨، معاني النحو ٤/ ٦١٥ وما بعدها.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٣١.

(٤) الكتاب ٢/ ١٤٤.

(٥) الرضي على الكافية ٢/ ٣٦٥، ٣٧٠، ابن عيش ٢/ ٩٨.

والقسم يشمل مساحة واسعة في التعبير عن المعنى وفي الاستعمال^(١).

إلى غير ذلك من الأدوات.

٦- تعدد الحروف الزائدة والمؤكددة: فالحروف الزائدة والمؤكددة متعددة

وكل منها يفيد نوعاً من التوكيد أو زيادة فيه مما يزيد مساحة التعبير والمعنى وذلك نحو من والباء وما ولام الابتداء والموطئة للقسم وضمير الفصل ونون

التوكيد وإن وغيرها. ف (من) تفيد الاستغراق نحو (ما جاءني من رجل) قال

تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُتُوفٍ﴾ [ق: ٣٨]، والباء تفيد توكيد النفي نحو ﴿وَمَا

رَبِّكَ يَظْلَمُونَ لِقَيْدٍ﴾ [فصلت: ٤٦] وقد تؤكد غيره قليلاً نحو (بحسبك

دوهم)، واللام لتوكيد الإثبات نحو ﴿لَتَهْدِيَنَّا أَحَقَّ مِنْ سَهْدِيهِمَا﴾

[المائدة: ١٠٧] ونحو ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ لَأَيَّ اللَّهِ تُعْمِرُونَ﴾

[آل عمران: ١٥٨]، و (ما) تزداد كثيراً بعد أدوات الشرط وطائفة من حروف

الجر وغيرها نحو ﴿وَأَنَا نَحَافَتٌ مِنْ قَوْمٍ عِجَانَةٌ فَأَنْذِرْهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾

[الأنفال: ٥٩] و ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُومَا﴾ [فصلت: ٢٠] و ﴿قَبَسَا رَوْحَهُ مِنْ اللَّهِ

إِنْت لَهْمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر أو ما

أصله ذلك نحو ﴿ذَلِكَ هُوَ الْقَوْمُ الْظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٢]، و (إن) لتوكيد

الجمل الاسمية نحو ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، والنون لتوكيد فعلي المضارع

والأمر نحو ﴿لِيَسْجَنَنَّ وَيَكُونَا مِنَ السَّجَّارِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

وتخفف (إن) والنون فيخفف توكيدهما.

وقد يجتمع أكثر من حرف مؤكد فيزداد التوكيد قوة، وهكذا تسع

دائرة التوكيد استعمالاً وقوة بحسب الحاجة فتقول:

(محمد يحضر) من دون توكيد، و (لمحمد يحضر) بالتوكيد بلام

الابتداء، و (إن محمداً يحضر) بالتوكيد بياناً وحدها، ثم (إن محمداً ليحضر)

مؤكدداً بياناً واللام ثم (إن محمداً ليحضرن) مؤكداً بياناً ولام القسم ونون

(١) انظر معاني النحو ٥٣٦/٤ وما بعدها.

التوكيد الخفيفة، و (إن محمداً ليحضرن) بإن ولام القسم ونون التوكيد الثقيلة. وتخفف (إن) فتقول (إن محمداً ليحضر).

وإذا أردنا أن نرتب هذه الجمل ترتيباً بحسب قوة التأكيد كانت على النحو الآتي: محمداً يحضر، لمحمداً يحضر، إن محمداً ليحضر (بالتخفيف)، إن محمداً يحضر، إن محمداً ليحضر، إن محمداً ليحضرن (بتخفيف نون التوكيد)، إن محمداً ليحضرن (بنون التوكيد الثقيلة)، إنما محمداً ليحضرن (بزيادة ما) بين إن واسمها وهذه غير الكافة).

هذا إذا لم نزد تأكيدات أخرى كالتوكيد اللفظي والمعنوي والضمير والمصدر المؤكد وغيرها نحو إن محمداً إن محمداً ليحضر، إن محمداً نفسه ليحضر، إن محمداً هو يحضر إن محمداً لهو يحضر، إن محمداً ليحضر هو، إن محمداً نفسه ليحضر هو حضوراً... وغير ذلك.

وكل جملة لها دلالة في التأكيد فيتسع التعبير اتساعاً كبيراً ويتسع معه المعنى إذ إن لكل تعبير معنى.

وأظنك الآن في غنى عن بيان مقدار مساحة التعبير عن المعنى في العربية ولا أظن أن لغة تجاريتها في ذلك.

٧- الإعراب: وهو من الأسباب المهمة في سعة المساحة التعبيرية، وذلك نحو (محمداً مسافراً ظننت) و (محمداً مسافراً ظننت)، وبينهما اختلاف في المعنى من عدة نواح منها:

١- إن الجملة الأولى مبنية على الظن وإن الثانية مبنية على اليقين وقد أدركك الظن بعدما انتهى الكلام.

٢- إن الجملة الأولى تقال والمخاطب يعتقد أنك نظن أن خالداً قادم مثلاً فقد حصل الشك في الشخص والوصف فقدتهما لإزالة الوم.

٣- إن العبارة الأولى جملة واحدة وإن العبارة الثانية جملتان، الجملة الأولى ابتدائية وهي (محمد مسافر) والجملة الثانية مستأنفة وهي (ظننت).

٤- إن في الجملة الأولى تقديماً وتأخيراً بخلاف الجملة الثانية.

ونحو (صبراً جميلاً) و (صبرٌ جميل) فالأولى أمر بالصبر الجميل والثانية كذلك إلا أنها أمر بالصبر الدائم الثابت فهو أقوى من الأولى.

ونحو قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَمًا قَالَتْ سَلَمٌ﴾ فقد حيّوه بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث وهو حيّاهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت.

ونحو (مررت بزيد الشجاع والشجاع والشجاع) بالاتباع والقطع ولكل من ذلك غرض^(١).

ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُرُوءَاتُ يَمْنَهُنَّ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّامِرِينَ فِي آبَاءِ وَالْقُرَى﴾ [البقرة: ١٧٧] بالاتباع والقطع.

وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] برفع الرسول ويصح النصب ولكل منهما غرض كما سبق أن أوضحنا.

ومنه قولهم (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) برفع (تشرب) ونصب وجزمه ولكل منها معنى، ونحو قوله: ﴿يَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَلْمَزْتَنِي إِنَّ أَجَلَ قَرِيبٍ فَأَسَدِّقْ وَأَكُنْ بَيْنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] بنصب (أصدق) وجزم (أكن) ولكل من ذلك غرض، وقد سبق أن أوضحناه فلا نعيد القول فيه.

فالإعراب يشمل مساحة واسعة في التعبير عن المعاني حرمت منه اللغات المنية.

٨ التقديم والتأخير: فالتعبير الواحد يمكن أن نقوله بصور متعددة بتقديم بعض الكلمات على بعض، ويكون لكل صورة معنى فتتسع مساحة التعبير اتساعاً كبيراً وذلك نحو:

أعار محمود سالماً حقية	أعار محمود سالماً حقية
أعار محمود حقية سالماً	أعار محمود حقية سالماً
أعار حقية محمود سالماً	أعار حقية محمود سالماً

(١) انظر معاني النحو ١٨٧/٣.

أغار سالمأ محمود حقية	سالمأ حقية أعار محمود
أغار سالمأ حقية محمود	سالمأ حقية محمود أعار
أغار حقية سالمأ محمود	سالمأ محمود أعار حقية
محمود أعار سالمأ حقية	حقية أعار محمود سالمأ
محمود حقية أعار سالمأ	حقية سالمأ أعار محمود
محمود سالمأ أعار حقية	حقية محمود أعار سالمأ

فهذه ثماني عشرة صورة لجملة واحدة لكل صورة منها معنى خاص بها يميزها عن الصورة الأخرى. وقد ضربنا أمثلة كثيرة لاختلاف المعنى تبعاً لاختلاف التقديم والتأخير فلا نكرر القول فيه.

وهذه مساحة تعبيرية كبيرة يملؤها التقديم والتأخير.

٩- الذكر والحذف: وهما من أسباب سعة المساحة في التعبير، فقد يفيد الحذف المبالغة كما في نحو هو يمشي مشياً، وهو مشياً كما سبق إيضاحه.

وقد يدل الذكر على التوكيد فقولك (مررت بمحمد ومررت بخالد) أكد من (مررت بمحمد وبخالد) وهذا أكد من قولك (مررت بمحمد وخالد) كما سبق إيضاحه.

ونحو قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

فالأولى أكد لذكر الباء كما سبق إيضاحه في أغراض الحذف.

ونحو قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤].

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٠].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

فالآية الأولى أكد من الآخرين لتكرار الباء في (برسوله) دون

الآخرين.

والسياق يوضح ذلك. قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْأَلُ أَخَذَ لِي وَلَا تَنْصِبْ إِلَّا فِي النَّفْسِ الْمَقْتُلَىٰ وَكَانَ
جَهَنَّمَ لَمُجِيبًا بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تَصَبَّحْتَ بِحَسَنَةٍ تَسُوْمُهُمْ وَإِنْ تُصَبِّحْ
بِضَرِيحَةٍ يَسْأَلُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَكَانُوا فِيهِمْ كَرِيحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ
يُغِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ
مَلَّ تَرْتَابٍ بَيْنَ عِندِهِ أَوْ يُأَيِّدُنَا قَدْ رَضِيَ اللَّهُ بِمَا لَمْ يَرْضُوا وَمَا يَرْضَى اللَّهُ
عِنْدَ مَنْ هُوَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَمَا تَسْمَعُ مِنْ أَكْثَرِ قَوْمٍ إِلَّا بُحْثًا أَوْ
كَذِبًا وَمَنْ يَبْحَثْ فَإِنَّ سَعْيَهُ لَبَاطِلٌ وَأَلَّا تَتَّخِذَ مِنْ هَدْيِهِمْ سُبُلًا أَوْ
تَتَّخِذَ مِنْ سَبِيلِهِمْ سَبِيلًا وَلَا تَتَّخِذَ مِنْ هَدْيِهِمْ سُبُلًا أَوْ تَتَّخِذَ مِنْ
سَبِيلِهِمْ سَبِيلًا وَلَا يَفْقَهُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كَرَاهُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَا تُجِيبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْحَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَتَحَلَّتْ
بِاللَّهِ إِلَهُتَهُمْ لَيْسَ مِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِبِرٍّ وَلَا يَفْقَهُونَ قَوْلَ يَسْأَلُونَ ﴿٥٥﴾ لَوْ
يَعِدُّونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَضًا أَوْ مَدْعَاً لَوْلَا إِلَهُيْهِمْ وَمَنْ يَحْسَبُ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٤٩ - ٥٧].

وقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا
يَحِدُّونَ إِلَّا مُجَدُّعًا فَتَسَخَّرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧١﴾ اسْتَغْفِرَ لَهُمْ
أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِإِلَهِهِمْ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة: ٧٩، ٨٠].

فانت ترى أن سياق الآيات الأولى أشد في ذكر صفات المنافقين، فقد

ذكر:

- ١- أنهم في الفتنة سقطوا.
- ٢- إن تصيبك حسنة تسؤمهم.
- ٣- إن تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل ويتولوا وهم فرحون.
- ٤- أنهم يترصبون بالمؤمنين القتل وهو إحدى الحسنين.
- ٥- والمؤمنون يترصبون أن يقع عليهم العذاب من الله أو بأيديهم.

٦- أنهم لن تقبل منهم نفاقاتهم ولو أنفقوا طوعاً لشدة كفرهم ونفاقهم.

٧- أنهم كفروا بالله وبرسوله.

٨- لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى.

٩- ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

١٠- يحلفون بالله أنهم لمنهم وما هم منهم.

إلى غير ذلك من الصفات.

في حين لم يذكر في الآيتين الأخيرين إلا أنهم يسخرون من المتصدقين الذين لا يجدون إلا جهدهم.

فاتقضى السياق الأول التوكيد دون الثاني.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن السياق الأول فيه تفصيل بخلاف الثاني فاتقضى ذلك الزيادة في الذكر.

وكذلك سياق الآيات الأخرى. قال تعالى: ﴿إِن رَّجِمَكَ اللَّهُ إِنَّ طَائِفَتَهُمْ فَاسْتَدْتَوْلَهُ بِالْخُرُوجِ فَأَقْبَلُوكَ لِخُرُوجِ فَقُل لَّن نَخْرُجُ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن نَّتَّبِعُونَكَ مَعَهُ عَدُوًّا إِن كُنَّا رَاضِينَ بِالْقَعْرِ أَوْ لَمَّا قَامُوا مَعَ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصَلِّ عَلٰٓءِ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَّتٰى أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلٰٓءِ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسٰٓخُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة: ٨٣ - ٨٥].

فلم يذكر من صفاتهم إلا أنهم تخلفوا عن الخروج فلم يقتض مثل ذلك التأكيد. ويوضح ذلك أيضاً أنه قال في سياق الآيات الأولى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال في سياق الآيات الأخيرة:

﴿وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ

أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ [التوبة: ٨٥].

فقد أكد في الآية الأولى ما لم يؤكد في الآية الثانية:

١- فقد قال في الآية الأولى: ﴿فَلَا تُشِجِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾.

بتكرار (لا) مع الأولاد، وقال في الثانية ﴿وَلَا تُشِجِكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ من دون تكرار، والتكرار تأكيد.

٢- وقال في الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بزيادة اللام مع (بعذبهم)، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ من غير زيادة، والزيادة في نحو هذا تنفيذ التوكيد.

٣- أنه قال في الآية الأولى ﴿فِي أَلْعَبِيَّةِ الَّذِينَ﴾، وقال في الثانية ﴿فِي الَّذِينَ﴾، فزاد كلمة (الحياة) زيادة في التوكيد، ولهذا الاختلاف أسباب أخرى^(١).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن السياق في الآيات الأولى أطول مما في الأخيرة فاقضى ذلك الزيادة من كل وجه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ بُورِشَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥] نحذف (لا) من جواب القسم والأصل (لا تفتأ) ولم ترد في القرآن (لا) محذوفة من جواب القسم في غير هذا الموضع، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] وقال: ﴿وَأَنْسُوا بِأَنَّهُ جَهَدَ آبَائِهِمْ لَا يَبْتَئِ اللَّهُ مِنْ يَمِينِهِمْ﴾ [النحل: ٣٨] وقال: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ وَلَا تَشْرَى بِهِ نَسًا وَلَوْ كَانَ نَا قَرْنًا﴾ [المائدة: ١٠٦] وذلك أن الآية التي حذف منها (لا) أقل تأكيداً من الأخريات التي ذكرت فيها (لا) ذلك أن المقسم عليه فيها غير متحقق، فإن إخوة يوسف قالوا لأبيهم ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ بُورِشَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أي سنظل نذكركه إلى أن نفسد أو

(١) انظر التفسير القرآني ٢٣٦-٢٣٧.

تهلك. والخَرَضُ هو المريض الفأسد العقل أو الهالك، وهو غير صحيح فإن ذلك لا يكون وهو لا يفعل ذلك حتى يفسد عقله أو يهلك. ثم إنهم غير متأكدين من هذا الأمر لأن هذا من علم الغيب، فهم قالوه من باب الظن، فلم يؤكدوا الجواب.

وقد يكون الحذف للتخيم والتهويل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقِيحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] كما سبق إيضاح ذلك.

والذكر والحذف يشمل مساحة واسعة في التعبير عن المعنى.

١٠- وقد يجتمع أكثر من سبب من أسباب سعة المساحة التعبيرية، فقد يجتمع الإعراب والتوكيد والتقديم والتأخير والصفة وغير ذلك فتتسع المساحة التعبيرية اتساعاً كبيراً، وذلك نحو:

حسبت خالداً صادقاً، خالداً صادقاً حسبت، خالداً حسبت صادقاً، صادقاً خالداً حسبت، صادقاً حسبت خالداً، حسبت صادقاً خالداً، حسبت خالداً صادقاً، خالدٌ صادقٌ حسبت، خالدٌ حسبت صادقاً، صادقٌ حسبت خالداً.

حسبت أن خالداً صادق، حسبته خالدٌ صادق، إنه خالدٌ صادق حسبت، حسبت إن خالداً لصادق، حسبت إنه لخالدٌ صادق، حسبت أن خالدٌ صادق، حسبت أنه خالد صادق.

أنا حسبت خالداً صادقاً، أنا حسبت أن خالداً صادق، أنا حسبت لخالدٌ صادق، أنا حسبت إن خالداً لصادق... إلخ.

إنني حسبت خالداً صادقاً، إنني حسبت أن خالداً صادق، إنني حسبت إن خالداً لصادق... إلخ.

إنه حسبت خالداً صادقاً، إنه حسبت أن خالداً صادق... إلخ.

إن حسبت خالداً لصادقاً... إلخ.

حسبت خالداً صدوقاً... إلخ.

إلى غير ذلك من التعبيرات الكثيرة.

وتقول في النفي مثلاً:

ما محمد ذاهباً، إن محمد ذاهباً، ليس محمد ذاهباً، ما محمد بذاهب،
إن محمد بذاهب، ليس محمد بذاهب، إن محمداً ليس ذاهباً، إن محمداً
ليس بذاهب، إنه محمد ليس ذاهباً، إنه محمد ليس بذاهب، محمد غير
ذاهب، إن محمداً غير ذاهب، غير ذاهب محمد، إنه غير ذاهب محمد.

هذه أربع عشرة جملة تقابلها في الإنكليزية جملة واحدة:

Mohamed isn't going.

وهذه الجمل تؤدي معاني مختلفة فلا تتفق جملتان في معنى واحد.

وتقول في نفي التكرات مثلاً:

لا رجلٌ قادم، لا رجلٌ قادمًا، ما رجلٌ قادمًا، ما من رجل قادمًا، ما
رجل بقادم، ما من رجل بقادم.

إن رجلٌ قادمًا، إن رجل بقادم، إن من رجل قادمًا، إن من رجل بقادم،
ليس رجل قادمًا، ليس رجل بقادم، ليس من رجل قادمًا، ليس من رجل بقادم.

إنه لا رجلٌ قادم، إنه لا رجلٌ قادمًا، إنه ما رجل قادمًا، إنه ما رجل
بقادم، إنه ما من رجل قادمًا، إنه ما من رجل بقادم.

وهذه التعبيرات العشرون تقابلها جملة واحدة في الإنكليزية هي:

No man is coming

وكل تعبير له معنى مغاير للتعبير الآخر وإن كان المعنى العام واحداً.

وتقول في الشرط مثلاً:

إن أطعته نجوت، إن تطعه نجوت، إن أطعته تنج، إن أطعته فقد
نجوت، إن أطعته تنجوا، إن أطعته فتنجوا، إن تطعه فتنجوا، أنت إن أطعته
نجوت، إن أنت أطعته نجوت، لئن أطعته لقد نجوت، لئن أطعته لتنجوت.
إن أطعته لتنجوت، إنما تطيعته نجوت، إنما أطعته نجوت.

وتقول نحو ذلك في (إذا) نحو: إذا أطعته نجوت، إذا ما أطعته

نجوت...

وكل تعبير مغاير في المعنى للتعبير الآخر.

وهكذا تتسع المساحة التعبيرية اتساعاً واسعاً لا تكاد تجده في لغة أخرى.

والذي نريد أن نؤكدّه هنا أن التعدد في التعبير مرتبط بالمعنى، وأن كل تعبير له معنى يختلف عن الآخر فتكون مساحة واسعة للدلالة على المعنى، وإليك مثلاً من أفعال المقاربة والرجاء والشروع يوضح ذلك:

أفعال الرجاء: عسى وحرى واخلولق.

وأفعال المقاربة: كاد وكرب وأوشك وهلهل.

وأفعال الشروع: أخذ وجعل وطفق وعلق وأنشأ وغيرها.

وهذه الأفعال من حيث اقتران أخبارها بأنّ على النحو الآتي:

اخلولق وحرى - يلزم خبرهما الاقتران بأن.

عسى - الأكثر اقتران خبرها بأن.

أوشك - الكثير اقتران خبرها بأن.

كاد وكرب - الكثير تجرد خبرهما من أن ويقل اقترانه بها.

هلهل - لا يقترن خبرها بأن.

أفعال الشروع - يمتنع اقتران خبرها بأن.

إن هذه الأفعال تكون خطأً متدرجاً من الاستقبال إلى حصول الفعل فتشمل مساحة واسعة من المعاني ممتدة من المستقبل إلى الحال أو من الحال إلى المستقبل، وإيضاح ذلك:

إن الفعل (حرى) أبعد فعل من أفعال الرجاء في الاستقبال، وأقرب منه (اخلولق) فهو على وزن (افمعمل) الدال على المبالغة في الرجاء كاعشوشب واخلوشن، ولا يكون هذان الفعلان للحال ولا يقتربان منه،

ولذلك وجب اقتران خبرهما بأن ذلك لأن (أن) من حروف الاستقبال كما هو مقرر في علم النحو، فتقول:

حرى زيد أن يفعل - وهذا أبعد شيء في الرجاء، فإن أردت تقريبه قليلاً قلت:

اخلوتى زيد أن يفعل - فإن أردت تقريبه أكثر قلت:

عسى زيد أن يفعل - فإن أردت تقريب الاستقبال أكثر قلت:

عسى زيد يفعل - بحذف (أن) فيكون الفعل أقرب مما قبله. فإن أردت تقريبه أكثر قلت:

أوشك زيد أن يفعل - ذلك لأن (أوشك) أقرب إلى الحال من (عسى) حتى عده بعض النحاة من أفعال المقاربة^(١)، وهو في الحقيقة للإسراع المفضي إلى القرب وليس للمقاربة بخلاف كاد وكرب. فإن قربته من الحال أكثر قلت:

أوشك زيد يفعل - بحذف (أن)، فإذا اقترب من الوقوع أكثر قلت:

كاد أن يفعل - فإذا اقترب إلى الوقوع أكثر قلت:

كاد يفعل - فإذا اقترب إلى الوقوع بشدة وإسراع قلت:

كرب أن يفعل - فإن معنى (كرب) قرب ومعنى (كارب) قارب.

فإذا اقترب إلى الوقوع أكثر قلت:

كرب يفعل - فإذا اقترب الفعل من الحدوث واتصل بالشروع لكنه لم

يقع بعد قلت:

لهلhel يفعل - فإن هذا الفعل أقرب شيء إلى الوقوع وهو متصل بالشروع ولا يكون للاستقبال ولذا لا يقترن خبره بـ (أن) فإن وقع الفعل جئت بأفعال الشروع فتقول:

(١) التصريح ٢٠٦/١.

بدأ يفعل، وأخذ يفعل، فإن لازم الفعل قلت (ظفقت يفعل).

وأفعال الشروع متعددة ولكل فعل معنى خاص به^(١).

وهكذا يتدرج التعبير عن الزمن تدرجاً دقيقاً بحيث يشمل كل الزمن في هذا الباب فلا يترك شيئاً منه، ويشمل كل مساحة المعنى.

فانظر أي اتساع في التعبير في الدلالة على المعنى ولا أظن أن لغة من لغات الدنيا تجاري العربية في سعة التعبير عن المعنى.
ولا نريد أن نطيل أكثر من ذلك.

توسيع مساحة المعنى:

قد يحصل توسيع في مساحة المعنى وذلك باستعمال تعبيرات لم توضع في أصل وضعها لمعنى خاص ولكنها قد تستثمر للاستفادة منها في التعبير عن معنى خاص. واستعمالات القرآن خير مثل على ذلك فهو يستثمر التعبيرات استثماراً عجباً في توسيع مساحة المعنى.

فمن ذلك استعمال الذكر والحذف، فإن العرب قد تحذف من اللفظة تخفيفاً كحذف التاء من (استطاع) فتقول (استطاع) وكحذف نون (يكن) فتقول (لم يك) وكحذف إحدى التائين من الفعل المضارع فتقول (تُنزَل) في (تنزل)، وكحذف الياء والاجتزاء بالكسرة في نحو (كيدون) و (يسر) و (نبغ) ونحوها. ولكن القرآن يذكر ويحذف لمعنى، فيجتزئ ويحذف من الفعل للدلالة على الاجتزاء من الحدث وذلك نحو قوله تعالى في السد الذي بناه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب ﴿فَمَا اسْكَنْتُمْ أَنْ يَظْهَرُوا وَمَا اسْكَنْتُمْ لَهُمْ نَبَأًا﴾ [الكهف: ٩٧] فقال في الصعود عليه ﴿فَمَا اسْكَنْتُمْ أَنْ يَظْهَرُوا﴾ بحذف التاء، وقال في إحداث نقب فيه ﴿وَمَا اسْكَنْتُمْ لَهُمْ نَبَأًا﴾ بذكرها. ذلك أن الصعود على هذا السد أيسر من إحداث نقب فيه فخفف من الفعل للعمل الخفيف فقال ﴿فَمَا اسْكَنْتُمْ أَنْ

(١) انظر معاني النحو ٣٠٥/١ وما بعدها.

يَطَهَّرُهُ ﴿ وَيَذَكِّرُ الْفَعْلَ بِأَطْوَلِ صِيغَةٍ لَهُ لِلْعَمَلِ الشَّاقِ الطَّوِيلِ فَقَالَ ﴿ وَمَا
اسْتَكْبَرُوا لَهُ مِثْلًا ﴾ .

وبحر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَرَكَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا يَكْفُرُوا وَلَا يُجَاهِلُوا ﴾ [فصلت: ٣٠] وقوله في ليلة القدر:

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ [القدر: ٤].

فقال في الآية الأولى ﴿ تَتَرَكَّلُ ﴾ وقال في الثانية ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ بحذف
إحدى التاءين وذلك أنه لما كان التنزل في ليلة القدر إنما هو في ليلة واحدة
في العام كله حذف التاء للدلالة على قصر هذا الوقت، ولما كانت الوفيات
تحصل في كل يوم بل في كل لحظة على مدار السنة وإن الملائكة تنزل
على المتوفين من المؤمنين لتبشئهم وتبشرهم جاء بالفعل كاملاً غير محذوف
منه فناسب بين الفعل والزمن.

ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَنْبِئُوا مِنْ نَارِ رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِنَّ أَجَلَ رَبِّ قَدْ أَجَدْتُ ﴾ [المنافقون: ١٠].

وقوله على لسان إبليس ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّرْتَ عَلَىٰ لَيْسَ أَخْرَجْتَنِي إِذْ
بُورَ الْيَاقِينِ أَذْرَبْتَهُ وَلَا تَقْلَبُ ﴾ [الإسراء: ٦٢].

فقال في الآية الأولى ﴿ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي ﴾ بالياء وقال في آية الإسراء
﴿ لَيْسَ أَخْرَجْتَنِي ﴾ بحذف الياء والاجتزاء بالكسرة.

وذلك أنه لما كان طلب التأخير في الآية الأولى يريد المتكلم لنفسه
ليعود بالنفع عليه ويدفع الضرر عنه بخلاف طلب إبليس فإنه لا يريد من
أجل نفسه وإنما يريد ليضل ذرية آدم، ثم إن هذا الطلب لا يعود عليه بنفع
ولا يدفع عنه ضرراً وليس له مصلحة فيه بخلاف الطلب الآخر أظهر نفسه
في الطلب الأول دون الثاني. فلما كان طلب التأخير لمصلحة الطالب حقاً
وأنه ابتغاه لنفسه على وجه الحقيقة أظهر ضميره، ولما كان طلب إبليس
ليس من أجل نفسه ولا يعود عليه بالنفع حذف ضميره واجتزأ بالكسرة.

ثم إن كلام إبليس ليس طلباً في الحقيقة وإنما هو شرط دخل عليه القسم ﴿لَئِن أُنزِّلَتْ﴾ فهو من باب الطلب الضمني وليس من باب الطلب الصريح.

وأما قوله ﴿لَوْلَا أُنزِّلَتْ﴾ فهو طلب صريح، ففرق تبعاً لذلك بين التعميرين، فصرح بالضمير وأظهر نفسه في الطلب الصريح، وحذف الضمير واجتزأ بالإشارة إليه في الطلب غير الصريح، وهو تناظر جميل، ففي الطلب الصريح صرح بالضمير، وفي الطلب غير الصريح لم يصرح بالضمير.

ومن ذلك توسيع مساحة المعنى في (الإبدال)، فالعرب قد تبدل الحرف إلى حرف آخر كإبدال السين صاداً أو زايماً، وكالإبدال في (تفعل) في نحو (أزبن) و (يضرع) و (يصدق). والقرآن يستعمل مثل هذا الإبدال في توسيع مساحة المعنى، وذلك أنه يستعمل هذا البناء فيما تقاصر حده وبلغ فيه وذلك أن الأصل أطول مقاطع من الفعل المبدل ف (يضرع) مثلاً أطول من (يضرع) بمقطع واحد.

$$يَد + تَد + ضُرُ + زَر + ع = ٥ مقاطع$$

$$يَضُد + ضُرُ + زَر + ع = ٤ مقاطع$$

وإن الفعل المبدل فيه تضعيفان، تضعيف في فاء الفعل وتضعيف في العين، وإن الأصل فيه تضعيف واحد وهو تضعيف في العين، والتضعيف يفيد المبالغة والتكثير، فلما كان الأصل أطول مقاطع استعمل لما هو أطول في الزمن مشكلة للبناء مع الزمن. ولما كان المبدل فيه تضعيفان استعمله للمبالغة والتكثير وذلك نحو قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي لَوْلَا أُنزِّلَتْ إِلَيَّ آيَاتُ قُرْبَى فَأَسَدِّدُكُمْ﴾ [المنافقون: ١٠] ولم يقل (فأتصدق) ذلك أنه استعمل البناء القصير للأجل القصير فقد قال ﴿لَوْلَا أُنزِّلَتْ إِلَيَّ آيَاتُ قُرْبَى﴾، وأنه بالغ وضغف في البناء للدلالة على أنه سيبلغ ويكثر من الصدقات في هذا الوقت القصير، فوسع مساحة المعنى بهذا الإبدال.

ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْتَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّوْنَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا لِنُعَذِّبَ أَهْلَهَا بِالْبَاسِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

فقال في الآية الأولى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ وقال في آية الأعراف ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ وذلك أنه قال في الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾، وإن (إلى) تفيد الانتهاء و (في) تفيد الظرفية، فقولنا (أرسلنا إليه) لا يقتضي المكث وإنما يقتضي التبليغ. فمن المحتمل أن ترسل إلى أحد رسولاً فيبلغه ويعود.

وأما (في) فتقتضي الدخول والمكث، فانت تقول: أرسلت إليه رسالة ولا تقول: أرسلت فيه رسالة.

ف (أرسل إليه) مراعى فيه جانب التبليغ.

و (أرسل فيهم) مراعى فيه الدخول فيهم مع التبليغ.

وأما (يتضرعون) و (يضرعون) فإن بناء (يتضرعون) اللغوي أطول من (يضرعون) كما بينا، وإن (يضرعون) فيها تشديدان أحدهما في الضاد والآخر في الراء وفي (يتضرعون) تشديد واحد في الراء. والتشديد يقتضي التكثير والمبالغة كما ذكرنا.

فجاء بـ (يتضرعون) مع قوله (إلى أمم) لأن عددهم كثير وأنهم أكثر من القرية فزاد في البناء لما زادت الأمم.

وجاء بـ (يضرعون) لأنها أقل من ناحية، ومن ناحية أخرى إن فيه مبالغة في التضرع لأن بقاء الرسول بينهم يقتضي زيادة التضرع والله أعلم.

ومن طريف الإبدال واستعماله لتوسيع مساحة المعنى قوله تعالى في طالوت ﴿وَرَادِمٌ بِسَطَّةٍ فِي الْمَيْمِ وَالْجَنِيِّ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقوله في قوم عاد: ﴿وَرَادِكُمْ فِي الْمَلْئِكِ بِسَطَّةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩].

فقال في آية البقرة ﴿بِسَطَّةٍ﴾ بالسين وقال في آية الأعراف ﴿بِسَطَّةٍ﴾ بالصاد ذلك أنه في آية البقرة كانت البسطة في شخص واحد وفي آية الأعراف كانت البسطة في قوم، فأبدل السين صاداً لأن الصاد أقوى

وأظهر كما سبق أن ذكرنا. فجعل السين الذي هو أضعف لشخص واحد، وجعل الصاد الذي هو أقوى وأظهر لقوم. وهو استعمال فني بديع في توسيع مساحة المعنى، ونحو ذلك كثير.

ومن ذلك توسيع مساحة المعنى في (الإدغام والفك)، فقد يدغم الكلمة لمعنى ويفكها لمعنى آخر، والإدغام والفك لغتان، فإن الإدغام لغة تميم والفك لغة الحجاز فيستثمر كل لغة في معنى وذلك نحو قوله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ بالإدغام وقوله ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ بالفك، فيستعمل الفك حيث ورد ذكر الرسول، وحيث لم يرد ذكر الرسول يبل ورد ذكر الله وحده أدغم وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاكْرَبِ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣] وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [النساء: ١١٥] وقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٤] ولعله وخذ الحرفين في حرف واحد لأنه ذكر الله وحده وفكهما وأظهرهما لأنه ذكر الله والرسول فكانا اثنين^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

فقال في آية البقرة ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ﴾ بالفك وقال في آية المائدة ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ بالإدغام. ومن المعلوم أن الفك أثقل من الإدغام، جاء في (شرح الرضي على الشافية): «اعلم أنهم يستقلون التضعيف غاية الاستفحال إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه»^(٢) فجاء بالفعل الثقيل وهو (يرتدد) في الطرف الثقيل وهو الحرب والفتنة، قال تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ

(١) التعبير القرآني ١٩.

(٢) الرضي على الشافية ٢٣٩/٣.

اَسْتَظَلُّوا وَمَنْ يَرْتَدِ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَبِلَتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿ فهذه الردة بعد الفتنة والقتال، فجاء باللفظ
 الثقيل للموقف الثقيل، ثم إن لفظ (يرتد) يوحي بلفظ الهزيمة والتكوص
 والرجوع إلى الوراء لأن فك الإدغام معناه الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله
 عنه كما قرره علماء اللغة فهو أشبه شيء بالتراجع في الحرب، والمرتد عن
 دينه بسبب الحرب والفتنة منهزم ناكص إلى الوراء فناسب بين اللفظ
 والمقام. في حين أن الموقف في المائدة ليس كذلك فهو في موقف العافية
 والاختيار. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَبِلَ اللَّهُ
 بِقَوْلِهِمْ وَيُحْيِيهِمْ أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾.

فالموقف هنا غير الموقف الأول، فجاء باللفظ الخفيف للظرف
 الخفيف فناسب بين اللفظ والمقام.

ومن ذلك توسيع مساحة المعنى في استعمال الصيغ، فالقرآن الكريم قد
 يختص بعض الصيغ بمعانٍ خاصة كاستعمال الأعين والعيون واستعمال الصوم
 والصيام والقعود والقاعدين والرياح وغيرها. فلا يستعمل (العيون) إلا
 لعيون الماء نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَتْهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الشعراء: ٥٧]
 ولم يستعمل للباصرة إلا لفظ (الأعين) ﴿وَلَمْ أَعْيُنْ لَّا يَصِيرُونَ بِهَا ﴾
 [الأعراف: ١٧٩]. ويستعمل (الصوم) للصمت قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ
 صَوْمًا ﴿مریم: ٢٦﴾، وللعبادة المعروفة يستعمل الصيام قال تعالى: ﴿كُتِبَ
 عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴿البقرة: ١٨٣﴾.

ويستعمل الرياح في الخير ﴿وَمَنْ يَأْتِيهِمْ أَن يَبِئِلَ الرِّيحَ مُبْتَزِّتًا ﴿
 (الروم: ٤٦) ويستعمل (الريح) في الشر والعقوبات قال تعالى: ﴿رَوِّفَ كَاؤُ إِذْ
 أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿الذاريات: ٤١﴾.

فلا يستعمل بناءين مختلفين بمعنى واحد وذلك توسيع لرقعة المعنى
 واستثمار لطيف للصيغ والألفاظ.

ولا نريد أن نطيل الكلام في ذلك فإن المقام لا يسمح بأكثر مما

ذكرت.



رفع الاحتمال عن المعنى

في العربية تعبيرات تحتل أكثر من معنى كما سبق أن ذكرنا، فإذا أردنا رفع الاحتمال عن المعنى والنص على معنى واحد فهناك أدوات وطرائق لرفع الاحتمال، منها على سبيل المثال:

١- قد: قد يشترك التعبير بين الخبر والإنشاء وإن (قد) قد تزيل هذا الاشتراك في قسم من التعبيرات فتجعله خبيراً لا يحتمل الإنشاء وذلك نحو قولنا (جزاك الله خيراً) فهذا يحتمل الدعاء ويحتمل الإخبار بأن الله جزاه خيراً عن فعل خير فعله كما تقول (لقد فعلت خيراً فجزاك الله خيراً كما ترى). فإذا أدخلت (قد) على الجملة نقلت (قد جزاك الله خيراً) كانت خبيراً لادعاء، ونحوه قولك (رحمه الله) و (عافاه الله) فهذا يحتمل الدعاء والخير فإذا أدخلت عليه (قد) نقلت (قد رحمه الله) و (قد عافاه الله) كنت مخبراً لا داعياً^(١).

٢- السين وسوف: يشترك الفعل المضارع في الدلالة على الحال والاستقبال فإذا أدخلت عليه السين وسوف تعين للاستقبال نحو سأفعل وسوف أفعل.

وقد يشترك بين الخبر والدعاء فإذا أدخلت عليه السين أو سوف كنت مخبراً لا داعياً كما ذكرنا في (قد) وذلك نحو قولك (يجزيك الله خيراً) و (يرحمه الله). فإذا قلت: سيجزيك الله خيراً وسيرحمه الله، كنت مخبراً

(١) انظر المقنضب ٩٣، الأصول ٢٩٠/١.

ولست داعياً^(١).

٣- إن: إذا دخلت (إن) على الدعاء حولته خيراً لأن النواسخ لا تدخل على الجمل الدعائية وذلك نحو: سلام عليكم وويل له، فإذا قلت (إن السلام عليكم) و (إن الويل له) كنت مخيراً لا داعياً.

٤- الباء: وأعني بها الباء الزائدة لتوكيد النفي والباء الزائدة للتعجب، فقد يحتمل الكلام أكثر من دلالة، وإن الباء قد تزيل هذا الاحتمال وذلك نحو قولك (ما أخوك الذي حضر مقصراً) فهذا يحتمل أن خير (ما) (الذي) وتكون (مقصراً) حالاً، ويحتمل أن تكون (مقصراً) هي الخبر فتكون (الذي) صفة. فإن قلت (ما أخوك بالذي حضر مقصراً) تعين أن (الذي) هو الخبر، وإن قلت (ما أخوك الذي حضر بمقصر) تعين أن يكون (مقصراً) هو الخبر.

وكذلك الباء الزائدة للتعجب نحو (غزر علم محمد) فهذا يحتمل الإخبار ويحتمل التعجب. فإن قلت (غزر بعلم محمد) تعين الكلام للتعجب، ونحوه قولك (جاد شعرك) و (جاد بشعرك).

٥- لام الابتداء: إذا دخلت هذه اللام على الفعل المضارع عينته للحال عند الأكثرين. فكما أن (سوف) تخلصه للاستقبال فاللام عندهم تخلصه للحال نحو (إنه ليدرس) و (إنه ليسى على أبويه).

والراجع عندي أنها للتوكيد فقط ولا تخلص المضارع للحال بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل: ١٢٤]^(٢).

وهي تزيل الاشتراك بين ضميري الفصل والتوكيد في نحو قوله تعالى: ﴿وَوَيْلًا فَتَرَ آتِافُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْكَلِيمُ الْأَرْشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] ولولاها لاشتراك ضميرا الفصل والتوكيد، ذلك لأن اللام لا تدخل على التوكيد^(٣).

(١) انظر المقتضب ٩/٣، الأصول ٢٩٠/١.

(٢) انظر المغني ٢٢٨/١، معاني النحو ٣٤٤/١.

(٣) انظر المغني ٤٩٧/٢.

٦- من: وهي تزيل الاشتراك في إرادة الوحدة وإرادة الجنس في نحو قولنا (ما حضر اليوم رجل) و (ما رجل حاضراً) فهذا يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة، فإذا جئت بـ (من) وقلت (ما حضر اليوم من رجل) و (ما من رجل حاضراً) أزلت الاشتراك بينهما ونصصت على إرادة نفي الجنس.

وهي ترفع الاشتراك بين الحال والتمييز فيما احتمل ذلك من نحو قولنا (كفى به شاعراً) و (ما أحسنه كاتباً) فإن كلا من (شاعراً) و (كاتباً) تحتحل الحال والتمييز فإن جئت بـ (من) فقلت (كفى به من شاعر) و (ما أحسنه من كاتب) أزلت الاشتراك بينهما وتعين التمييز.

٧- لا: وهي ترفع الاحتمال في قسم من التعميرات وذلك نحو قولك (ما جاءني محمد وخالد) فهذا يحتمل أنه لم يأتك أي واحد منهما ويحتمل أنه أتاك أحدهما، فإذا قلت (ما جاءني محمد ولا خالد) فقد نفيت المجيء منهما على سبيل الانفراد والاجتماع، أي لم يأتك واحد منها على انفراد ولا مع صاحبه^(١).

٨- فاء الجواب: وهي تعين إرادة معنى الشرط فيما احتمل فيه الشرط وغيره وذلك نحو قولك (الشخص الذي يسبق له جائزة) و (الشخص الذي يسبق فله جائزة)، فإن الجملة الأولى تحتمل أن يراد بـ (الذي) معنى الشرط على معنى أن الجائزة مترتبة على السبق، ويحتمل أن لا يراد ذلك وإنما هو إخبار عن (الذي يسبق) بأن له جائزة وهو قد استحقها بسبب آخر غير السبق.

فإن أدخلت الفاء فقلت (الشخص الذي يسبق فله جائزة) تعين تضمن الموصول معنى الشرط وصارت الجائزة مترتبة على السبق.

وقد تعين الجواب فيما احتمل أكثر من جواب وذلك نحو قولك (الذي يؤمن بالله وبرسله وبالآخرة هو مؤمن مهتد له الجنة) فإذا قلت (الذي يؤمن بالله وبرسله وبالآخرة فهو مؤمن مهتد له الجنة) تعين الجواب وهو جملة (فهو مؤمن... إلخ).

(١) انظر المقضب ٢ / ١٣٤ - ١٣٥.

وإذا قلت (الذي يؤمن بالله وبرسله وبالأخرة هو مؤمن فمهدت له الجنة)
كان الجواب قولك (فمهدت له الجنة) وكانت جملة (وبالأخرة هو مؤمن)
معطوفة على ما قبلها.

وكذلك في جواب الشرط فقد يحتمل أن يكون الجواب أكثر من
موضع فتعنيه الفاء وذلك نحو قولك (إن أكرمت كريماً أعاده عليك بخير مما
فعلت) «فالجواب هنا (أعاده) ولكن إذا قلت (إن أكرمت فكريماً أعاده عليك
بخير مما فعلت) كان المعنى (إن أكرمت فقد أكرمت كريماً) وجملة (أعاده
عليك) صفة.

ولو قلت (إن أكرمت كريماً أعاده عليك بخير فمما فعلت) كان
المعنى: إذا أكرمت كريماً هذه صفة فهذا من فعلك.

وانظر إلى هذه الجملة كيف يتغير المعنى بتغير موضع الفاء:

إذا رأيت إبراهيم حاد عني.

إذا رأيت إبراهيم حاد فعني.

إذا رأيت إبراهيم حاد عني^(١).

٩- ضمير الفصل: وهو يزيل الاشتراك بين الخبر والصفة، ومن ذلك
على سبيل المثال قولك (هذا الفوز العظيم) فهذا يحتمل أن يكون (الفوز)
خبراً و (العظيم) صفة ويحتمل أن يكون (الفوز) بدلاً و (العظيم) خبراً. فإن
جئت بضمير الفصل تعين الخبر ورفع الاحتمال، فإذا قلت (هذا هو الفوز
العظيم) كان (الفوز) هو الخبر. وإن قلت (هذا الفوز هو العظيم) تعين أن
يكون (العظيم) هو الخبر.

ونحوه أن تقول (هذا الرجل الذي عاتبته فيه) فهذا يحتمل أن يكون
(الرجل) خبراً و (الذي) صفة. ويحتمل أن يكون (الذي) هو الخبر.

فإن جئت بضمير الفصل تعين الخبر، فإذا قلت (هذا هو الرجل الذي

(١) معاني النحو ٤ / ٤٨٤ - ٤٨٥.

عاتبتني فيه) كان (الرجل) هو الخبير. وإن قلت (هذا الرجل هو الذي عاتبتني فيه) كان (الذي) هو الخبير.

١٠- الذكر: قد يكون الذكر رافعاً للاحتمال وذلك إذا كان المحذوف يحتمل أكثر من معنى أو إذا تردد المعنى بين وجود محذوف أو لا، وذلك نحو ذكر ضمير العائد في نحو قوله ﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فهذا يحتمل أن تكون (ما) مصدرية ويحتمل أن تكون اسماً موصولاً فإن ذكرت العائد فقلت (فاصدع بما تؤمر به أزال الاحتمال وتعين أنها اسم موصول).

ونحو ذكر حرف الجر فيما احتتمل أكثر من حرف كقوله تعالى: ﴿وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ السُّلَيْمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، فهذا يحتمل أن يكون المحذوف اللام أو الباء، فإن ذكرت واحداً منهما فقلت (وأمرت بأن أكون من المسلمين) أو لأن أكون من المسلمين زال الاشتراك ورفع الاحتمال.

وكذكر الموصوف فيما احتتمل أكثر من معنى وذلك نحو قولك (بكى كثيراً) فهذا يحتمل أن يكون المعنى بكى بكاء كثيراً، ويحتمل أنه بكى زمناً كثيراً، فإن ذكر الموصوف زال الاشتراك ورفع الاحتمال.

ونحو ذلك كثير.

١١- الحذف: وقد يكون الحذف هو الذي يرفع الاحتمال وذلك نحو قولك (ما جاء أخوك ركباً) فهذا يحتمل أن أخاك لم يأت ركباً ولا غير ركب كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّبِعُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي لا يسألونهم ملحقين ولا غير ملحقين، ويحتمل أنه جاء غير ركب، فإن أردت المعنى الأول حذفت القيد فقلت (ما جاء أخوك).

١٢- تغيير الحالة الإعرابية: وهو من وسائل رفع الاحتمال أيضاً وذلك نحو قولك (أنا مكرم محمد) بالإضافة، فهذا يحتمل المضي والحال والاستقبال، فإن أردت الاستقبال تنصبها ورفع الاشتراك غيرت الحالة الإعرابية فقلت (أنا مكرم محمداً) بنصب (محمد) فهذا نص على الحال والاستقبال.

ونحوه قولك (كلُّ رجلٍ أكرمته عندك) برفع (كل) فهذا يحتمل

معنيين:

الأول: إن كل رجلٍ أكرمته هو عندك، فتكون جملة (أكرمته) صفة
و (عندك) هو الخبر، والمعنى الثاني أنك أكرمت كل رجلٍ عنده فتكون
جملة (أكرمته) هي الخبر.

فإن أردت المعنى الثاني تنصيحا ورفع الاشتراك في المعنى الأول قلت
(كلُّ رجلٍ أكرمته عندك) بنصب (كل) فيكون المعنى: أكرمت كل رجلٍ
عندك.

إلى غير ذلك من وسائل رفع الاحتمال.





الخيارات التعبيرية

كثيراً ما يجوز النحاة في العبارة أكثر من وجه فيقولون مثلاً بجواز التقديم والتأخير أو الذكر والحذف أو الإعمال والإلغاء أو بجواز أكثر من وجه إعرابي وغير ذلك من أحوال الجملة. وقد يرجحون وجهاً على وجه فيقولون مثلاً أن الإعمال ههنا أرجح من الإلغاء أو أن النصب أرجح من الرفع أو أن التقديم أولى وما إلى ذلك.

والحق أنه ليس وجه أرجح من وجه ولا مساوياً له ذلك لأن معنى كل تعبير مختلف عن الآخر. فإذا أردت معنى ما كان عليك أن تأتي بالوجه الذي يزدية. فليس الإعمال في قولنا (محمدًا ظننت مسافرًا) أرجح من الإلغاء، ولا الإلغاء في نحو (محمدًا مسافرًا ظننت) أرجح من الإعمال كما يرى النحاة لأن معنى العبارتين مختلف.

وليس الرفع في قولك (كيف أنت ومحمدًا؟) أرجح من النصب، ولا النصب في (زيدًا اضربه) أرجح من الرفع.

ولا يذهب بك الظن إلى أنك يمكن أن تختار أي وجه يجوزه لك النحاة لتؤدي المعنى نفسه، بل إن اختيار وجه ما يعني اختيار معنى معين، فإنك إذا قرأت في كتب النحو أنه يجوز كسر وفتح همزة (إن) في هذا الموضوع فلا يعني ذلك أنهما بمعنى واحد بل إذا اخترت فتح الهمزة فقد اخترت معنى معيناً، وإذا اخترت كسرها فمعنى ذلك أنك اخترت معنى آخر.

وهكذا شأن مسائل الجواز الأخرى.

ويستثنى من ذلك ما كان لغة، فإنه يمكن أن يؤدي معنى ما في لغة ما بتعبير يختلف عن اللغة الأخرى كالاختلاف بين لغتي الحجاز وتميم أو غيرهما من اللغات كما هو مدون في كتب النحو واللغة.

وعلى هذا يمكن أن ترجح لغة على أخرى فترجح النصحى من اللغات، كما أن ثمة تعبيرات حسنة وتعبيرات ضعيفة لمخالفتها للقياس أو لقلتها كما سبق أن ذكرنا فترجح الأقوى والأحسن، فقولك (جئت ومحمد) تعبير ضعيف والأفصح أن تفصل بين ضمير الرفع المتصل والمعطوف بفواصل ما نحو (جئت أنا ومحمد) أو (جئت اليوم ومحمد)، وقولك (إن أحداً لا يقول ذلك) ضعيف حيث كما يقول سيويه^(١) وذلك لأنك أوقعت (أحداً) في الإثبات.

إن لك في نحو هذا أن ترجح تعبيراً على تعبير وتختار الأفصح، أما ما كان اختياره مرتبطاً بالمعنى فلا يصح الترجيح فيه اعتباطاً.

كان على النحاة أن يوضحوا - وهم يذكرون مواطن الجواز - معنى كل تعبير فيقولوا: هذا التعبير معناه كذا، وهذا معناه كذا، فإن أردت المعنى الفلاني قلت العبارة على هذا النحو، وإن أردت المعنى الآخر قلتها على هذا النحو ولا سبيل غير هذا السبيل فيما أحسب.

واليك أمثلة توضح ذلك:

١- الإعمال والإلغاء في أفعال القلوب: يرجح النحاة الإعمال على الإلغاء إذا توسط فعل القلب بين المفعولين نحو قولك (محمداً ظننت قادمًا)، ويرجحون الإلغاء إذا تأخر نحو قولك (محمداً قادم ظننت) وكلا الوجهين جائز.

والحق أن لا وجه أرجح من وجه بل إن لكل تعبير معنى، فإن العبارة (محمداً ظننت قادمًا) تقال إذا كان المخاطب يعتقد أنك تظن أن القادم إبراهيم مثلاً لا محمد، فقدمت له محمداً لإزالة الوهم، فكأن هذه العبارة جواب عن سؤال: من ظننت قادمًا؟

(١) الكتاب ١/٣٦٣.

وأما قولك (محمداً قادمًا ظننت) فيقال إذا كان المخاطب يعتقد أنك
تظن أن إبراهيم مسافر مثلاً، فهنا حصل الوهم من جهتين: من جهة
الشخص وجهة الحدث فقدمتهما لإزالة الوهم.
فالنصب يفيد أن الكلام مبني على الظن.

وأما الرفع فيفيد أن الكلام مبني على اليقين ثم اعترضك الشك وأنت
تتكلم فقلت (محمداً ظننت قادم) أو أدركك بعدما أنهيت الكلام فقلت
(محمداً قادم ظننت)^(١).

جاء في (الهمع): «فإن بدأت لتخير بالشك أعملت على كل حال،
وإن بدأت وأنت تريد اليقين ثم أدركك الشك رفعت بكل حال»^(٢).

٢- كسر همزة (إن) وفتحها: يجوز النحاة كسر همزة (إن) وفتحها
في مواطن منها أن تقع بعد (إذا) الفجائية نحو (خرجت وإذا أن محمداً
قادم) أو تقع بعد فعل القسم وليس في جوابه اللام نحو (حلفت أنه مسافر)
وغيرهما من المواطن.

ومعنى الكسر غير معنى الفتح، فالفتح على إرادة معنى المصدر
والكسر على إرادة معنى الجملة. فإن أردت معنى المصدر فتحت الهمزة
وإلا كسرت. ومعنى العبارة الأولى بالفتح: خرجت فإذا قدوم محمد،
ومعناها بالكسر: خرجت وإذا محمد قادم. ومعنى العبارة الثانية بالفتح:
حلفت على سفره، ومعناها بالكسر: حلفت هو مسافر. جاء في (الأصول):
«والمواضع التي تقع فيها (أن) المفتوحة لا تقع فيها (إن) المكسورة فمتى
وجدتهما يتعان في موقع واحد فاعلم أن المعنى والتأويل مختلف»^(٣).

وجاء في (الكتاب): «وتقول (أما في الدار فإنك قائم) لا يجوز فيه
إلا (إن) تجعل الكلام قصة وحديثاً ولم ترد أن تخبر أن في الدار حديثه.

(١) انظر (معاني النحو) ٤٥١:٢ وما بعدها.

(٢) الهمع ١٥٣:١ وانظر حاشية يس على التصريح ٢٥٣/١.

(٣) الأصول ٣٢٣:١.

ولكنك أردت أن تقول: أما في الدار فأنت قائم. فمن ثم لم نقل (أَنْ) وإن أردت أن تقول: أما في الدار فحديثك وخبرك قلت: أما في الدار فأنت منطلق أي هذه القصة^(١).

وعلى هذا يكون الاختيار بحسب المعنى.

٣- نزع الخافض وعدمه في نحو (أشهد أنك كنت مسافراً) و (تواثقتنا أن ينصر بعضنا بعضاً).

ولا شك أن لك أن تذكر حرف الجر وهو الأصل ولكن نزع الخافض يكون في اختيار الكلام لأحد سببين:

١- التوسع في المعنى وذلك إذا صح تقدير أكثر من حرف فيتسع المعنى بتقدير ما يصح تقديره من الحروف، ففي الجملة الأولى يصح أن تقدر الباء و (على) أي أشهد بأنك كنت مسافراً أو على أنك كنت مسافراً.

وفي الجملة الثانية يصح أن تقدر الباء واللام وعلى فيكون المعنى: تواثقتنا بأن ينصر بعضنا بعضاً أو على أن ينصر بعضنا بعضاً أو لينصر بعضنا بعضاً.

٢- التوكيد وعدمه وذلك إذا لم يصح تقدير أكثر من حرف فإن ما ذكر فيه الحرف أكد مما لم يذكر نحو (أقسم أنه مسافر) أي على أنه مسافر، فإن ذكرت (على) كان الكلام أكد.

وهذا الذي ذكرناه في نزع الخافض لا يختص به هذا الموطن وإنما يشمل كثيراً من مواطن الذكر والحذف كما سبق أن ذكرنا.

٤- الذكر والحذف جوازاً في عامل المفعول المطلق في نحو (أنت سعيًا) و (أنت تسمى سعيًا) فإن هذا الحذف جائز عند النحاة^(٢) غير أن معنى الذكر والحذف مختلف فإن قولك (أنت سعيًا) بالحذف يعني أنك تسمى سعيًا متصلًا بعينه ببعض^(٣).

(١) الكتاب ١/ ٤٧٠.

(٢) انظر ابن عقيل ١/ ١٩٢.

(٣) انظر الكتاب ١/ ١٦٨ - ١٦٩.

وأما الذكر فلا يفيد إلا التوكيد ولا يفيد أن السعي متصل بعبءه ببعض بل يقال وإن كان سعى مرة واحدة.

فإن أردت اتصال الحدث واستمراره حذفته وإلا ذكرت.

٥- الرفع والنصب في المصدر التشبيهي في نحو (له بكاء بكاء الشكلى) فإنه يجوز في المصدر التشبيهي الرفع والنصب فلك أن تقوله بالنصب، ورجح بعضهم النصب وقال بعضهم الرفع والنصب متكافئان^(١).

والحق أنه لا تكافؤ ولا ترجيح فإن لكل تعبير معنى، ذلك أن معناه بالنصب أنك مررت به وهو يبكي وأما الرفع فمعناه أن بكاه بكاء الشكلى وذلك أمر قد عرفته منه وإن لم تمر به الآن، والمعنى أنه إذا بكى فبكاؤه بكاء الشكلى، فأنت تخبر عن أمر قد استقر فيه وعرفته له^(٢).

فإذا أردت أيًا من المعنيين قلت التعبير الذي يؤدبه.

٦- جواز الرفع والنصب في المفعول معه في نحو (كيف أنت وزيداً) و (كيف أنت وزيداً). والرفع عند النحاة أرجح لأن العطف يمكن بلا ضعف.

قال ابن مالك:

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق والنصب مختار لدى ضعف النسق والحق أنه لا وجه أولى من وجه لأن المعنى مختلف، ذلك أن معنى العطف أن السؤال عنه وعن زيد أي كيف أنت وكيف زيد؟

ومعنى النصب السؤال عن العلاقة بينهما، فإن أردت السؤال عن العلاقة بينهما نصبت لا غير، وإن أردت السؤال عن كل واحد منهما عطفت لا غير.

(١) انظر التصريح ١/٣٣٤.

(٢) انظر الكتاب ١/١٨١-١٨٢.

وكذلك شأن التقسيمات. التي يذكرها النحاة في المفعول معه والترجيح بينها فإنه لا وجه أرجح من وجه وإنما يكون ذلك بحسب القصد والمعنى^(١).

٦- ذكر (أن) وحذفها في أخبار أفعال الرجاء والمقاربة وذلك نحو (عسى زيد أن يحضر) و (عسى يحضر) و (كاد يحضر) و (كاد أن يحضر). وذكر (أن) وحذفها في نحو هذا جائز غير أن معنى الذكر يختلف عن الحذف كما سبق أن ذكرنا.

فإذا أردت التنصيص على الاستقبال جئت بـ (أن) لأن (أن) حرف استقبال وإن لم ترد ذلك حذف فتكون قد قربت الحدث من الحال إلى غير ذلك من مواطن الجواز. وقد أوردت في كتاب (معاني النحو) أمثلة كثيرة لمواطن الجواز وتبيين المعاني المختلفة للوجوه المختلفة فلا نعيد القول فيها.



(١) انظر معاني النحو ٦٦٨/٢ وما بعدها.



ظواهر دلالية وتعبيرية

في العربية ظواهر دلالية وتعبيرية مبثوثة في مواطن متعددة من الموضوعات النحوية واللغوية، من ذلك على سبيل المثال:

التفخيم والتعظيم:

ومن مواضعه:

١- الإضمار والتفسير:، وهو أن يتقدم ضمير الغائب ثم يؤتى بما ينسره، وذلك كضمير الشأن نحو ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ و ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْمَرِيضُ الْمَكِينُ ۝﴾ [النمل: ٩]، والضمير المفسر بتمييز نحو (ربه رجلاً أكرمت) و (نعم رجلاً سعد) و (يا له مراماً ما أبعده) و (يا له رجلاً) وكل ذلك يفيد التفخيم والتعظيم^(١). جاء في (شرح الرضي على الكافية): «وانما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسر عليه لأنه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مضمرة بقي مبهماً منكراً لا يعرف المراد به حتى يأتي تفسير بعده، وتكبيره خلاف وضعه.

فإن قلت: فأيش الحامل لهم على مخالفة مقتضى وضعه بتأخير مفسره عنه؟ قلت: قصد التفخيم والتعظيم في ذكر ذلك المفسر بأن يذكروا أولاً شيئاً مبهماً حتى تشوق نفس السامع إلى العثور على المراد ثم يفسروه فيكون أوقع في النفس. وأيضاً يكون ذلك المفسر مذكوراً مرتين بالإجمال

(١) انظر ابن يعيش ١١٤/٣، الرضي على الكافية ٢١٨/١، ٧٢/١، ٢٧/٢.

أولاً وبالتفصيل ثانياً فيكون أكده^(١).

وجاء في (دلائل الإعجاز): «إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار، ويدل على صحة ما قالوه: أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى: ﴿فَأَيُّهَا لَا تَمَسُّ الْأَبْصَارُ﴾ فخامة وشرفاً وروعة لا نجد منها شيئاً في قولنا (فإن الأبصار لا تسمى). وكذلك السبيل أبداً في كل كلام فيه ضمير قصة.

فقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُوا لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ﴾ يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل (إن الكافرين لا يفلحون) لم يفد ذلك، ولم يكن ذلك كذلك إلا لأنك تعلمه إياه من بعد مقدمة وتنبه أنت به في حكم من بدأ وأعاد ووطد ثم بين ولوح وصرح ولا يخفى مكان العزمية فيما طريقه هذا الطريق^(٢).

وليس كل تقديم للضمير على مفسره يفيد التفخيم ولكن ذلك هو الغالب فتقديم الضمير في باب التنازع مثلاً لا يفيد تفخيماً^(٣).

٢- تكرار المبتدأ بلفظه: وهو أكثر ما يكون في مواضع التفخيم نحو ﴿الْقَارِعَةُ﴾ (١) ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٢) و ﴿الْمَآئَةُ﴾ (١) ﴿مَا الْمَآئَةُ﴾ (٢) (و) (زيد) ما (زيد)^(٤).

جاء في (الكشاف) في قولنا (زيد ما زيد): «جعل لا تقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول: ما الغول وما العقواء؟ تريد أي شيء هو من الأشياء؟ هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم^(٥).

(١) الرضي على الكافية ٥/٢.

(٢) دلائل الإعجاز ١٠٢.

(٣) انظر الرضي على الكافية ٦/٢.

(٤) انظر شرح ابن عقيل ٩٣/١، حاشية الخضري ٩٣/١، الرضي ٤٧/٢، الخصائص

٥٤/٢، حاشية الصبان ١٩٦/١.

(٥) الكشاف ٤٠/٢.

٣- ما الاستفهامية: نحو ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَطَلَّةُ ۝﴾ نَارُ اللَّهِ السُّوْفَةُ ﴿١﴾ [الهمزة: ٥، ٦] وقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝﴾ [القدر: ٢] جاء في (شرح الرضي على الكافية): «ما الاستفهامية تفيد التفضيم كما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝﴾ [١] ﴿الْقَارِعَةُ ۝﴾ [٢]»^(١).

٤- ما الإبهامية: وهي التي تقع بعد النكرات: فقد تفيد التعظيم والتفضيم نحو (لأمر ما يسود من يسود)^(٢).

٥- أي الكمالية والاستفهامية نحو (مررت برجل أي رجل) و (أي شاعر هو؟) ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۝﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

٦- حذف الجواب: فقد يحذف الجواب للتفضيم والتعظيم نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ نُفِثُوا عَلَىٰ النَّارِ ۝﴾ [الأنعام: ٢٧] أي لرأيت أمراً فظيماً لا بوصف.

جاء في (شرح الرضي على الكافية): «حذف الجزاء لتفضيم الأمر غير عزيز الوجود كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا النَّمَاةُ انشَقَّتْ ۝﴾ [الانشقاق: ١] أي يكون أمور لا يقدر على وصفها»^(٣).

٧- الإبهام نحو قوله تعالى: ﴿فَنَسِيحُهُم مِّنَ اللَّيْمِ مَا غَيَّبَهُمْ ۝﴾ [طه: ٧٨] وقوله ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَىٰ عِبَادِهِ مَا أَنزَلْنَا ۝﴾ [النجم: ١٠] وكقولك (ماذا فعل فلان اليوم؟) تقولها مبهما تعظيماً للفعلة.

٨- الألفاظ الدالة على التنزيه نحو حاشا وسبحان وتعالى ونحوها نحو ﴿حَسْبُ لِي مَا مَنَّا بِشَرٍّ إِذْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٣١] ونحو ﴿وَيَحْمَلُونَ بِهِ الْبُنْتِ سُبْحَتَهُمْ ۝﴾ [النحل: ٥٧]. و (حاشا لفلان أن يفعل ما تقول) ونحو قوله: ﴿سُبْحَتَهُمْ وَقَتْلَانِ عَمَّا يَقُولُونَ عَلْوًا كَبِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٤٣].

(١) الرضي على الكافية ٢٢٤/١.

(٢) انظر الرضي ٥٤/٢، الأشباه والنظائر ١٢٣/٢.

(٣) الرضي ١١٢/٢ وانظر البرهان ١٨٣/٣.

٩- ذكر الواحد بلفظ الجمع نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ [مريم: ٤٠]، ومنه مخاطبة الواحد بلفظ الجمع «فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري... قال الله جل ثناؤه: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي﴾ [المؤمنون: ٩٩]»^(١).

١٠- قصر الصفة على الموصوف نحو: ما شاعر إلا أحمد، وما كاتب إلا خالد.

١١- الإيضاح بعد الإبهام نحو قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِنَّكَ يَا رَبِّهِمْ مَقْلُوعٌ مُصَيَّبِينَ﴾ [الحجر: ٦٦] ونحو ﴿مَلَّ أَذْكَرٌ عَلَنَ يَمْزِرُ شَيْبَكَ بَيْنَ عَذَابِ إِلَهٍ تَوَسَّوْنَ بِأَفْرِ رَسْمِهِ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

١٢- التعجب نحو ما أكرمه وأحلمه، وحسبك بالبحثري شاعراً. وغير ذلك من المواطن.

التقليل والتحقيق:

وله مواطن منها:

١- قد الداخلة على الفعل المضارع نحو (قد يصدق الكذوب) و (قد وجود البخيل). وقد تأتي للتكثير نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] وقول الشاعر:

قد أترك القرن مصفراً أنامله^(٢)

٢- رب: وهي حرف يفيد التقليل دائماً عند الأكثرين، جاء في (المقتضب): «ورب معناه الشيء يقع قليلاً»^(٣).

وذهب آخرون إلى أنها للتكثير دائماً، وذهب قسم آخر إلى أنها قد

(١) الصاحبي ٢١٣، فقه اللغة للثعالبي ٤٨٩-٤٩٠، الرضي ٧/٢، ٢٢٧/٢.

(٢) انظر المغني ١/١٧٤.

(٣) المقتضب ٤/١٣٩.

ترد للتكثير والتقليل^(١). ومن ورودها للتقليل (يا رب صائمه لن يصومه ويا رب قائمه لن يقومه) وقولك (ربما صدق الكذوب) وقول الشاعر:

ألا رب مولود وليس له أب وذوي ولد لم يلبده أبوان

٣- إنما: وهي تفيد التقليل والتحقيق نحو (إنما أنا عبدك) و(إنما أنا بشر): جاء في (الأصول) في (إنما): «إذا رفعت ما بعدها فيصير فيها معنى التقليل تقول (إنما أنا بشر) إذا أردت التواضع»^(٢).

وجاء في (لسان العرب) أن (إن) مفردة للتحقيق «إذا دخلتها (ما) كافة صارت للتحقيق كقولك: إنما أنا عبدك»^(٣).

وجاء في (شرح ابن يعيش) في (إنما) أن «معناها التقليل فإذا قلت (إنما زيد بزاز) فأنت تقلل أمره. وذلك أنك تسلبه ما يدعى عليه غير البز، ولذلك قال سيويه في (إنما سرت حتى أدخلها) أنك تقلل»^(٤).

وجاء في (الأشباه والنظائر) أن (إنما) تفيد التحقيق «نحو قولك لمن يدعي النحو: إنما قرأت الجمل»^(٥).

وجاء في (شرح السيرافي على الكتاب): «إن (إنما) تكون على وجهين:

أحدهما تحقير الشيء.

والآخر الاختصار عليه...

وأما تحقير الشيء فنقولك لمن تحقر صنيعاً له: إنما تكلمت فسكت، وإنما سرت ففقدت، لم يعتد بكلامه ولا بسيره»^(٦).

(١) انظر المعنى ١ / ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) الأصول ٢ / ٢٣٠.

(٣) لسان العرب (قل) ١٤ / ٨٢.

(٤) ابن يعيش ٨ / ٥٦.

(٥) الأشباه والنظائر ٢ / ١٢٤.

(٦) شرح السيرافي بهامش الكتاب ١ / ٤١٥.

٤- كم وإلا: نحو كم. كتبك إلا خمسة، وكم رجل معك إلا عشرة، إذا كنت تستقل ذلك. جاء في (الأصول): «وتقول: كم مالك إلا درهمان؟ إذا كنت تستقله، وكم عطاؤك إلا خمسون. كأنك قلت: كم درهماً مالك إلا درهمان، وكم درهماً عطاؤك إلا خمسون. فهذا في الاستقلال كقول القائل:

هل الأمير إلا عبد الله؟ وهل الدنيا إلا شيء زائل.

وتقول: كم ثلاثة ستة إلا ثلاثان، وكم خمسة عشرة إلا خمستان.

وكم رجلاً أصحابك إلا خمسون، إذا كنت تستقل عددهم، ويكون ما بعد (إلا) تفسيراً لكم وترفعه إذا كانت (كم) رفعاً، وتنصب إذا كانت (كم) نصباً وتجرحه إذا كانت (كم) جزأً. يقول: كم ثلاثة وجدت ستة إلا ثلاثين، وبكم درهماً أرضك إلا ألف... تجعل ما بعد (إلا) بدلاً من كم^(١).

٥- قصر الموصوف على الصفة نحو: ما أنت إلا شاعر، وما أنت إلا بشر يخطيء ويصيب. فإن هذا يفيد تقليل شأنه بخلاف قصر الصفة على الموصوف فإنه للتعظيم نحو (ما شاعر إلا أنت).

٦- ما الإبهامية نحو (هل أعطيتَه إلا عطية ما) بمعنى أنك أعطيتَه عطية لا تعرف من حقارتها^(٢)، و (أكلت شيئاً ما) أي أكلت شيئاً قليلاً.

٧- لو: وذكر بعضهم أنها قد تأتي للتقليل نحو (تصدقوا ولو بظلف محرق)^(٣).

و (الشمس ولو خاتماً من حديد).

والذي أريد أن أذكره هنا أن التعبير الواحد قد يأتي في مقامين مختلفين وتعرف الدلالة من السياق والقرائن، فإنك قد تقول عبارة واحدة

(١) الأصول ١/ ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) انظر الرضي ٥٤/٢.

(٣) انظر المغني ١/ ٢٧٦، الهمع ٢/ ٦٦.

في مقامي المدح والذم، والتقليل والتكثير، فقد تقول (أي فعل تفعل) وأنت
تعظم فعله أو تستكر عليه أن يفعله.

وقد تأتي بلو أو بـ (ما) الإبهامية أو قد أو غيرها في مقام التقليل وفي
مقام التعظيم نحو قوله (لا يأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا) وغير ذلك مما
ورد ذكره.

وغير ذلك من المواطن.

الإيضاح بعد الإبهام:

ومن مواطنه:

١- التمييز وذلك نحو (طاب محمد نفساً) و (تصبب عرقاً) فقولك
(طاب محمد) فيه إبهام لعدم تبيين جهة الطيب ثم أزلت الإبهام بقولك
(نفساً) فقد فسرت بعدما أبهمت^(١).

٢- منصوب الصفة المشبهة نحو محمد حسن وجهه وحسن الوجه^(٢)
وهو قريب مما مر.

٣- الضمير المفسر بما بعده نحو ﴿فَأَيُّهَا لَا تَمَى الْأَنْصَرُ﴾
[الحج: ٤٦] ونحو (ويحه رجلاً) ونحو ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْتَضِيهِ بَيْنَ الْمُتَدَابِ أَنْ
يَمَّرُ﴾ [البقرة: ٩٦] فقد جاء بالضمير أولاً ثم نسر المقصود به فأوضح
بعدهما أبهم.

٤- البدل وعطف البيان نحو (أقبل العالم محمود) و (أقبل رجل زيد)
ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَوُؤَسَةً فَمَا
فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] فأبهم المثل أولاً ثم أوضحه بالبدل، وكقوله: ﴿فَأَخْرَجَ
لَهُمْ عِجْلًا جَسَكًا لَّهُمَّ حَوَازٍ﴾ [الأعراف: ١٤٨] فأوضح بعد ما أبهم.

(١) انظر الرضي ٢٢٣/١.

(٢) انظر الرضي ٢٣١-٢٣٢، معاني النحو ١٧٣/٣.

ونحو (أكلت الرغيف ثلثه) و (أعجيني أخوك علمه) فهذا كله يفيد الإيضاح بعد الإبهام^(١).

٥- الجملة التفسيرية وذلك نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجِ يُسُفُكُ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْتُونَهُ بِاللَّهِ وِرْثًا﴾ [الصف: ١٠، ١١] ففسر التجارة بعدما أبهمها. وكقوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] ففسر التجوى بعدما أبهمها.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] فأوضح الميثاق بعد إبهامه.

إلى غير ذلك من مواطن الإيضاح بعد الإبهام.

القلب:

وهو أن تنسب شيئاً إلى شيء والمراد غيره وأكثر وروده في الشعر وذلك نحو قول الشاعر:

أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما خصفن بآثار المطي الحوافر
يريد خصفن بالحوافر آثار المطي، وقوله:

ومهمه منبزة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه
أي كأن السماء بلون الأرض.

وهو وارد قليلاً في كلام العرب وذلك نحو (أدخلت القلنسوة في رأسي) و (أدخلت الخاتم في إصبعي) والمراد: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلت إصبعي في الخاتم^(٢).

وجعله سيوييه مما جرى على سعة الكلام، قال: «وأما قوله (أدخل فوه الحجر) فهذا جرى على سعة الكلام، والجيد: أدخلت في القلنسوة

(١) انظر الرضي ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) انظر معاني القرآن ١٨٢/٣، المغني ٦٩٥/٢ وما بعدها، الأشباه والنظائر ٢٩٣/١.

رأسي^(١).

وقد أنكره جماعة وقبله آخرون مطلقاً بشرط عدم اللبس، وفضل آخرون فقالوا: إذا تضمن اعتباراً لطيفاً قبل وإلا فلا^(٢).

والرأي الأخير أرفق وأقرب إلى طبيعة اللغة فإنه إذا تضمن اعتباراً لطيفاً كان شأنه شأن كثير من الأساليب التي تخرج عن الظاهر كالمجاز والكتابات وغيرها بشرط أمن اللبس.

وأما من حيث وروده في القرآن الكريم فإن ما اطلعت عليه مما أوردوه على أنه قلب ليس من على الحقيقة وإنما هو جارٍ على ظاهر الكلام بلا تأويل وإن كان لا يبعد - والله أعلم - أن يكون فيه تعبير جارياً على القلب لاعتبار معنى لطيف شأن كثير من الأساليب.

فما أوردوه مثلاً على أنه من القلب قوله تعالى: ﴿قَالَ يَقْوَاهُ آذَانَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ يَتَّقُونَ مِنْ رَبِّي وَرَأَيْتُمْ عَذَابَ مَنْ عَدُوهُ فَغَيَّبَتْ عَنْكُمْ آذَانَكُمْ وَأَسْرَتْ لَهَا كَرَاهُونَ﴾ [هود: ٢٨] قالوا هذا من القلب، والأصل: نعميتم عنها. جاء في (معاني القرآن) في هذه الآية: «وسمعت العرب تقول: قد غمى عليّ الخير وغمى عليّ بمعنى واحد. وهذا مما حوّلت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره. ألا ترى أن الرجل الذي يعنى عن الخير أو يُعنى عنه ولكنه في جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم في يدي والخف في رجلي. وأنت تعلم أن الرجل التي تُدخّل في الخف والإصبع في الخاتم. فاستخفوا بذلك إذا كان المعنى معروفاً لا يكون لذا في حال ولذا في حال. إنما هو لواحد. فاستجازوا ذلك لهذا^(٣)».

وليس في هذا قلب على الحقيقة فإن معنى ﴿غَيَّبَتْ عَنْكُمْ﴾ فلبست عليكم أو أخفيت عنكم، ولو أراد المعنى الذي ذكره الفراء لقال: نعميتم

(١) الكتاب ٩٢/١.

(٢) انظر البرهان ٢٢٨/٣، الإيضاح ٧٧/١.

(٣) معاني القرآن ١٢/٢.

عنها، يقال (عمي الرجل عن الأمر وعمي عن الحجة) بإسناد العمى إلى الرجل إذا لم يصرفها أو لم يعرفها.

ويقال (عمي عليه الأمر) بإسناد العمى إلى الأمر بمعنى التيسر عليه الأمر. جاء في (لسان العرب): «عمي عليه الأمر التيسر ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَيِّمْتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ [القصص: ٦٦] والتعمية أن تعني على الإنسان شيئاً فتلبسه عليه تليسا»^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] قالوا: هو بمعنى لكل كتاب أجل^(٢).

وهذا التفسير غريب فإن المعنى على ظاهره واضح والمعنى لكل أجل كتاب كتبه الله وحده، وأما قولهم (لكل كتاب أجل) فهو بمعنى آخر وهو أن للكتاب أجلاً ينتهي عنده، وليس هذا المقصود فإن المقصود (الأجال مكتوبة) وليس المقصود (الكتب مؤجلة). جاء في (البحر المحيط) في هذه الآية: «وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لفظ عام في الأشياء التي لها آجال لأنه ليس منها شيء إلا وله أجل في بدنه وفي خاتمه وذلك الأجل مكتوب محصور.

وقال الضحاك والفراء: لكل كتاب أجل. ولا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر وأما هنا فالمعنى في غاية الصحة بلا عكس ولا قلب بل ادعاء القلب هنا لا يصح المعنى عليه إذ ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية»^(٣).

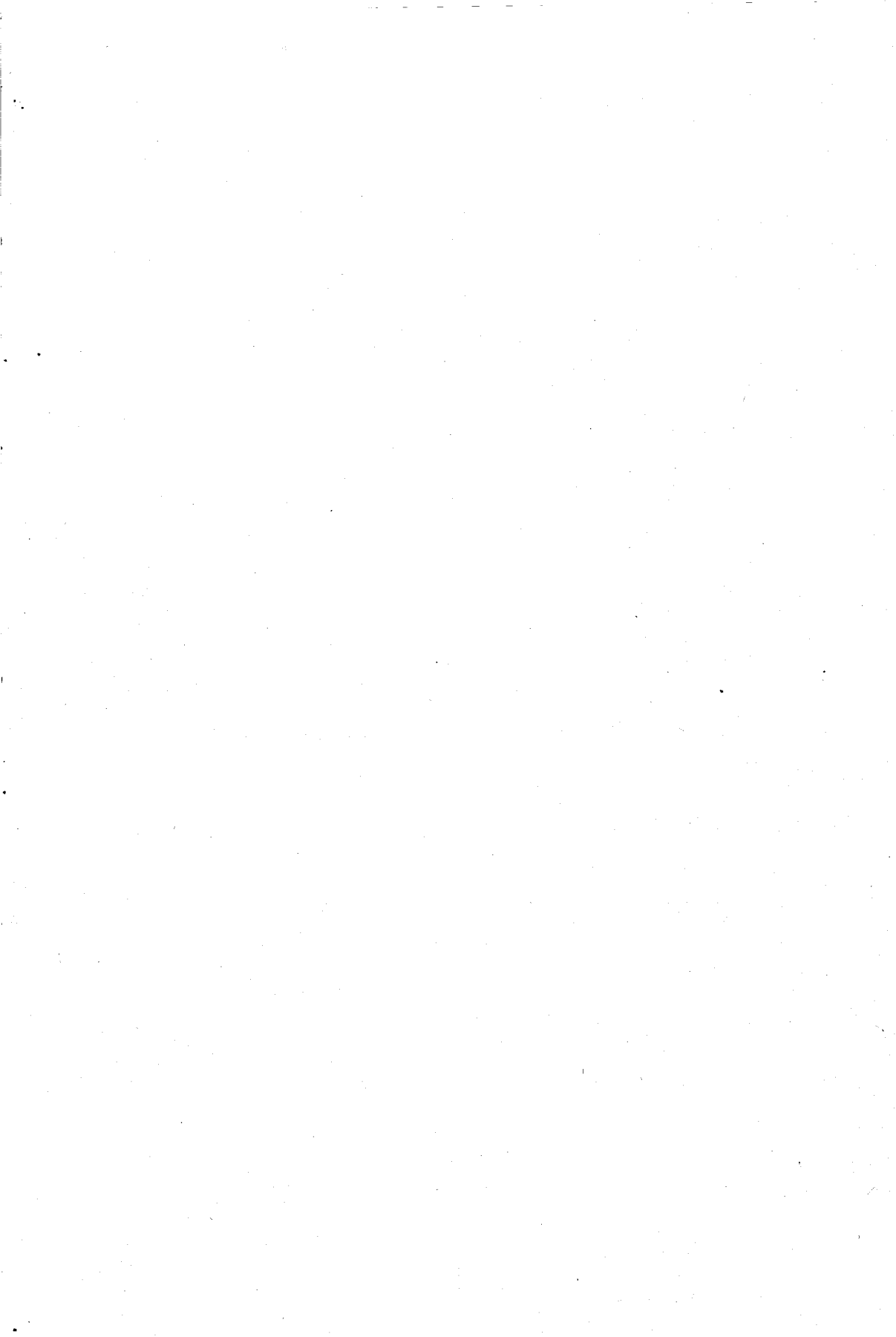
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تُرَى فِي سَيْلِهِ دَرَعًا مَبْعُوثَةً دَرَأًا فَأَسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] قالوا: «والمعنى ثم اسلكوا فيه سلسلة ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة وأدخلتها في رأسي. والخاتم يقال: الخاتم لا يدخل في يدي، واليد هي التي فيه تدخل»^(٤).

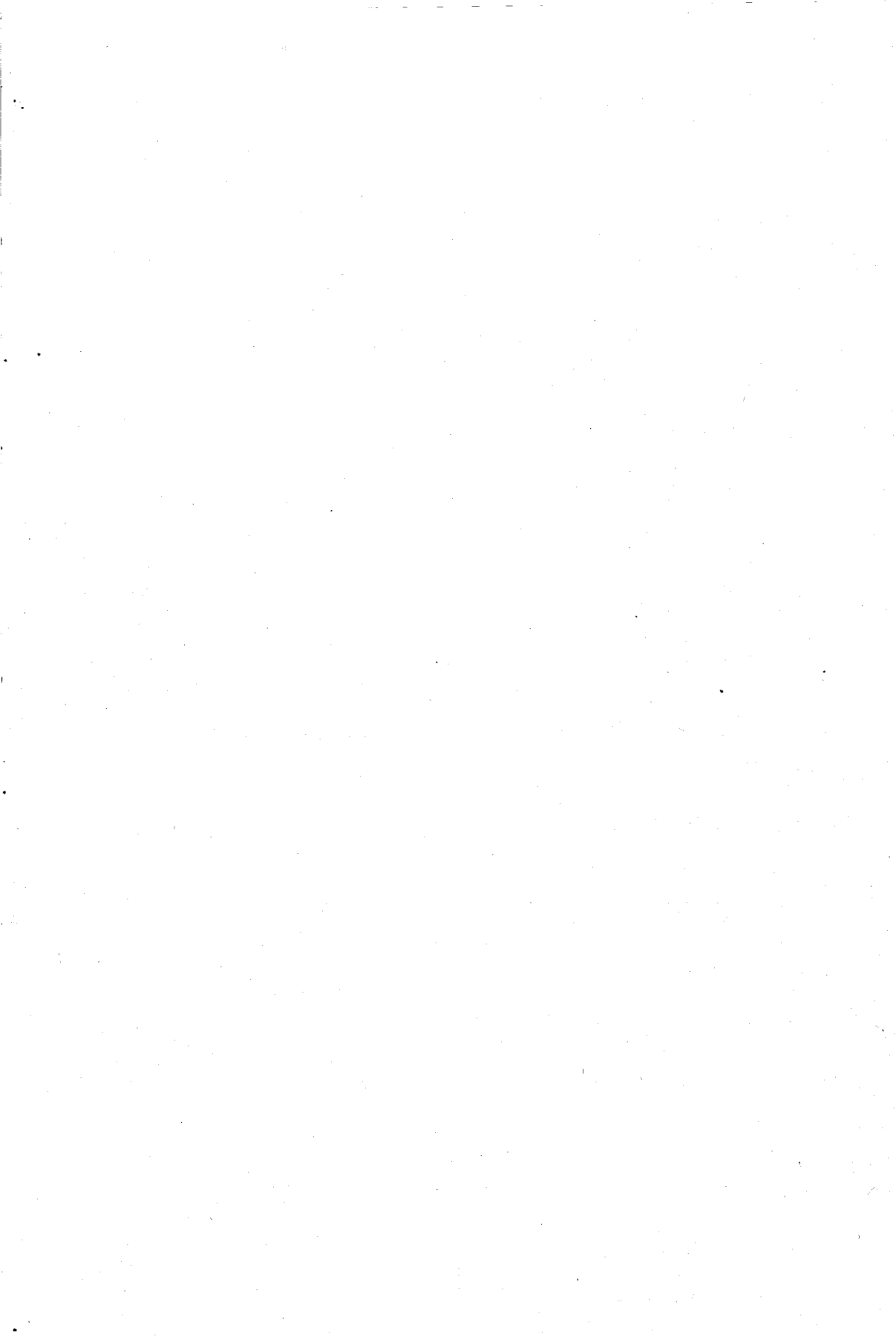
(١) لسان العرب (عمي) ٣٣٤/١٩.

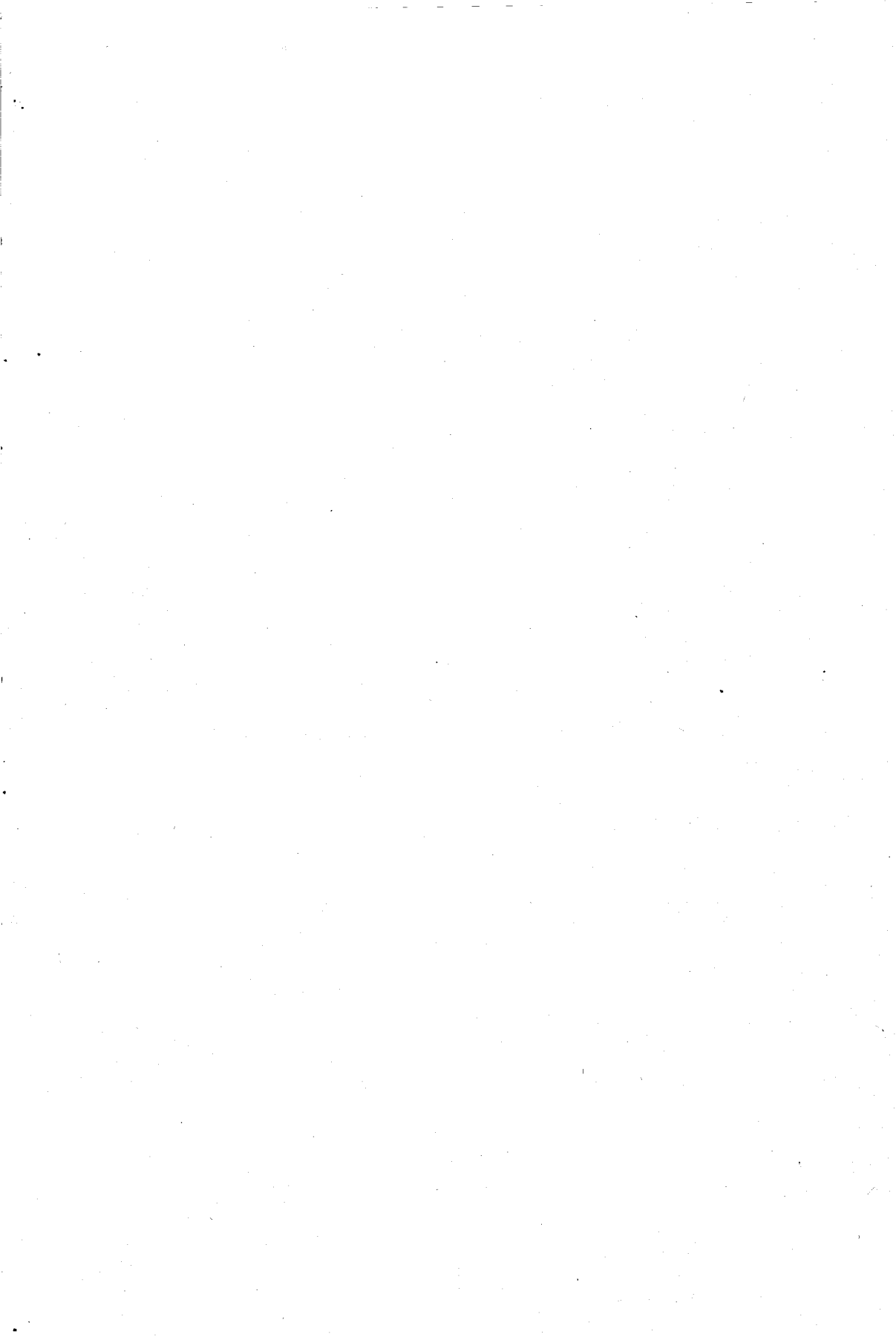
(٢) معاني القرآن ٦٥/٢ - ٦٦ وانظر البرهان ٢٩٠/٣.

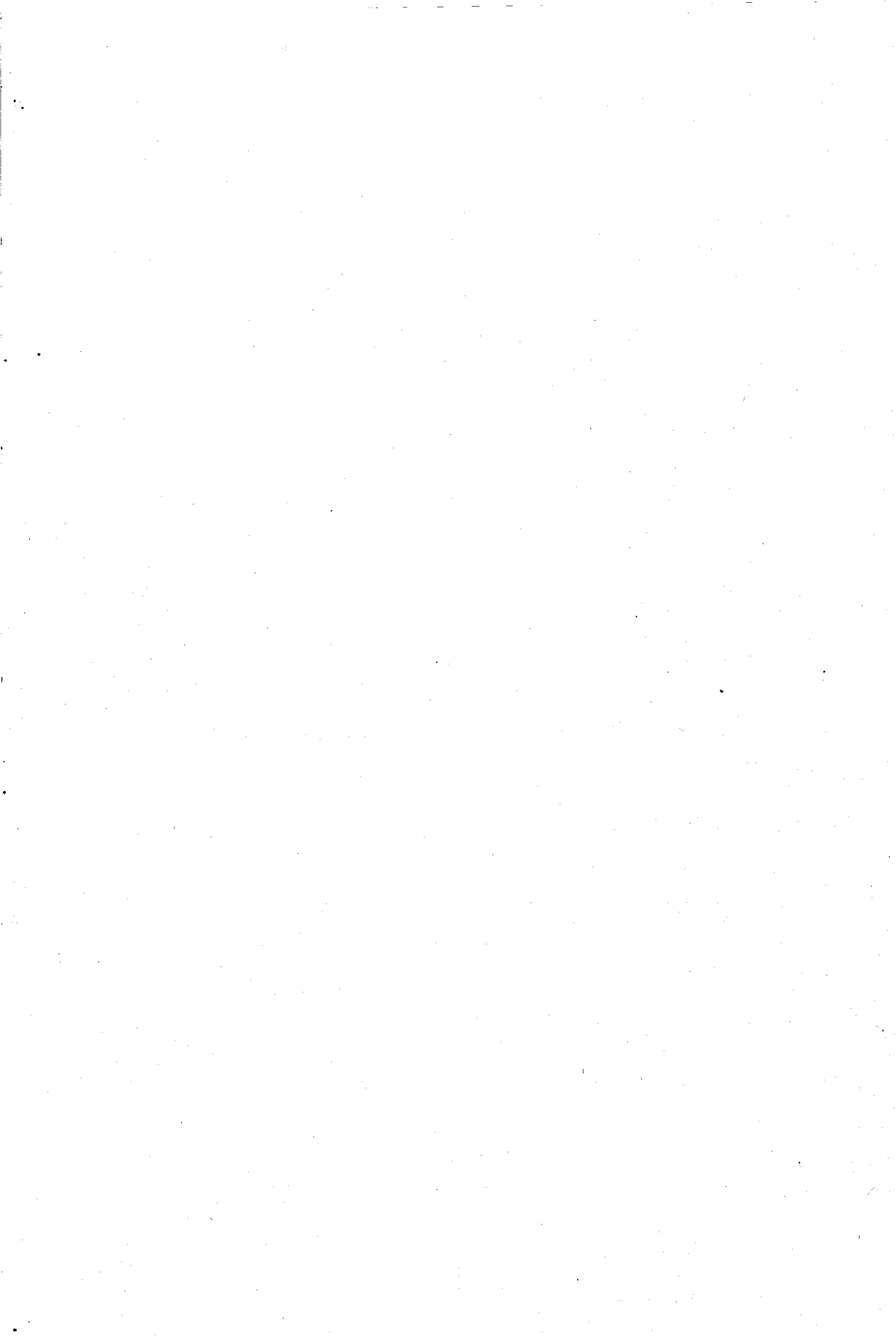
(٣) البحر المحيط ٣٩١/٥.

(٤) معاني القرآن ١٨٢/٣، المفتي ٦٩٥/٢، البحر المحيط ٣٢٦/٨، الأشياء والنظائر









المعنى، أو إذا حذفنا فعل الظن عادت بقينا صحيح المعنى.

إنه شبه بهذا قول النحاة أن النواسخ تدخل على المبتدأ والخبر فتسوخ حكمهما، فهم لا يعنون أننا إذا حذفنا النواسخ عادت الجملة مبتدأ وخبراً صحيحة المعنى وإنما يعنون أن الجملة إذا حذفت منها النواسخ رجعت مرفوعة الركتين، ولا يعنون أنها تكون صحيحة المعنى دائماً.

إن الجمل ليست كلها نظير قولنا:

ما حضر محمد	حضر محمد
لا يأتي أخوك غداً	يأتي أخوك غداً
ليس محمد مسافراً	محمد مسافر
ليت محمداً حاضراً	محمد حاضر
ظننت أخاك مسافراً	أخوك مسافر
لا رجل في الدار	في الدار رجل

أي إذا حذفت النواسخ أو حروف النفي عادت الجملة صحيحة المعنى.

إن هناك جملاً إذا حذفنا منها النفي لم يصح المعنى، فقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْمَعِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] لا يصح حذف حرف النفي منه، وقولك (لا يعود الميت إلى الدنيا) و (لا خلود في الدنيا) و (ليس للفيل جناح) لا يصح حذف حرف النفي منها، إنها تصح منفية ولا تصح مثبتة.

وكذلك التمني وغيره فقولك (ليت الميت يخبرنا بما حدث له) و (ليت الشباب يعود) و (ظننت الشجرة رجلاً) و (حسبت النقط ماء) ونحوها لا يصح حذف النواسخ منها. هذا أمر واضح، ومع ذلك فهناك قسم من النحاة ذهب بهم الوهم إلى أن المقصود بالأصل أننا إذا حذفنا ما دخل على الأصل عاد الأصل صحيح المعنى، فلا يصح النفي إلا إذا كان صحيحاً في الإثبات. جاء في (الإتقان):

أزعم بعضهم أن شرط صحة النفي عن الشيء صحة اتصاف المتنفي

عنه بذلك الشيء، وهو مردود بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِمُنْفِلٍ عَنَّا يُتْلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نِيٓئًا﴾ [مريم: ٦٤] ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٥] ونظائره.

والصواب أن انتفاء الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلاً وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه^(١).

وقد ردّ السهيلي على جمهور النحاة الذين ذهبوا إلى أن ظن وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر بأنه لا يصح حذف (ظننت) من قولنا (ظننت زيدا عمراً)، جاء في (الهمع): «وأنكر السهيلي دخولها على المبتدأ والخبر أصلاً، قال: بل هي بمنزلة (أعطيت) في أنها استعملت مع مفعولها ابتداءً، قال: والذي حمل النحويين على ذلك أنهم أرادوا^(٢) أن هذه الأفعال يجوز أن لا تذكر فيكون من مفعولها مبتدأ وخبر قال: وهذا باطل بدليل أنك تقول (ظننت زيدا عمراً) ولا يجوز أن تقول (زيد عمرو) إلا على جهة التشبيه وأنت لم ترد ذلك مع (ظننت) إذ القصد أنك ظننت زيدا عمراً نفسه لا شبه عمرو.

قال أبو حيان: والصحيح قول النحويين وليس دليلهم ما توهمه بل دليلهم رجوع المفعولين إلى المبتدأ والخبر إذا ألغيت هذه الأفعال^(٣).

وأيد رأي السهيلي بعض المحدثين. قال الدكتور شوقي ضيف تعقياً على استدلال السهيلي: «وواضح أن باب ظن وأخواتها بذلك أصبح متداخلاً ولم تعد هناك حاجة لفتح باب له في كتب النحو^(٤).

وهذا استدلال غريب فإن السهيلي والدكتور شوقي ضيف وغيرهما يقرّون أن (إن) وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر^(٥) ولم يعترض واحد

(١) الإتيان ٧٧/٢.

(٢) كذا في المطبوع ولعل الأصل (رأوا).

(٣) الهمع ١٥١/١ وانظر التصريح ٢٤٦/١، المساعد ٣٥٢/١.

(٤) تجديد النحو ١٧.

(٥) انظر تجديد النحو ١٧.

منهم على ذلك بامتناع حذفها في كثير من التعبيرات كامتناع حذف (ظن). فنحن نقول (ليت العقيم تلد) و (ليت الميت يعود) و (ليت الفرس تطير) و (ليت هذه الدار تتكلم) كل ذلك على معنى التمني ولا يصح حذف (ليت) في كل ذلك، فلم لم يمنع ذلك من أن يكون أصل الكلام مبتدأ وخبراً؟ ذلك لأن المتكلم متمن ولا يسوغ حذف التمني فإنه إذا حذف التمني تغير الكلام.

وكذلك (كأن) فنحن نقول (كأنك تمشي بلا رجلين) ونقول (تبني وتشيد كأنك تخلد في الدنيا) ولا يصح إسقاط (كأن) فلم لم يأخذ السهلي وغيره على النحاة قولهم بأن (إن) وأخواتها تدخل على المبتدأ والخبر بحجة أننا لو أسقطنا قسماً من هذه الأحرف لم يصح الكلام؟

ذلك أن المتكلم يريد التشبيه، وليس معنى قول النحاة أن (كان) تدخل على المبتدأ والخبر أن الكلام كان أصله متألفاً من مبتدأ وخبر من دون تشبيه ثم دخل عليه التشبيه، فلم يقل أحد إن أصل الكلام في الجملتين السابقتين (أنت تمشي بلا رجلين) و (أنت تخلد في الدنيا) ثم دخل عليه معنى التشبيه وإنما بني الكلام على التشبيه ابتداءً وكذلك ثم، فإن الكلام بني على الظن ابتداءً، وكما لا يصح حذف ليت أو حذف كان ههنا لا يصح حذف (ظنت) ثم.

وكذلك (لعل) في نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أْتَيْتُكَ مِنَ الْأَسْبَابِ السَّمَوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] فلا يصح أن يقال (أنا أبلغ أسباب السموات)، وتقول (لعلك تخلد) قال تعالى: ﴿وَتَسْتَفِيدُونَ مَصَائِفَ تَقْلُكُم مِّنْ دُونِهَا﴾ [الشعراء: ١٢٩] و (لعلك تنفذ من أقطار السموات والأرض) وكل هذا لا يصح حذف (لعل) منه.

وكذلك النفي نحو قولك (ما الشيطان ملكاً) و (ما الشيطان بإنسان) و (لا الجمل فيل ولا الثور حصان) فهذا كله مبتدأ وخبر أو أصله مبتدأ وخبر ولا يصح حذف (ما) أو (لا) لإثبات صحة ذلك.

فالجمله تؤخذ بكل قيودها كما هو واضح^(١).

انه يصح أحياناً كما ذكرنا أن تكون الجمله مثبتة ومنفية فتقول (محمد حاضر) و (ما محمد حاضرأ) ويصح أحياناً أن تكون الجمله متمنة وغير متمنة نحو (ليت محمداً معنا) و (محمد معنا)، ويصح أن تكون الجمله مظلونة وغير مظلونة نحو (ظننت محمداً قادمأ) و (محمد قادم).

ولكن من الجمل ما تصح منفية ولا تصح مثبتة، ونصح متمنة ولا تصح غير متمنة، وتصح مظلونة ولا تصح غير مظلونة فتقول (لا يرذ المبت البكاء) ولا يصح أن تقول (يرذ الميت البكاء) وتقول (ليت الشاب يعود) ولا يصح أن تقول (الشباب يعود) وتقول (ظننت الشجرة رجلاً) ولا يصح أن تقول (الشجرة رجل).

فليس الكلام أصله مثبت صحيح المعنى، ثم نفي فإذا حذف الثاني عاد صحيح المعنى، وليس الكلام غير متمنى ثم تُعني فإذا حذف التمني عاد صحيح المعنى، وليس الكلام مبتياً على اليقين ثم دخله الظن فإذا حذف الظن عاد إلى اليقين.

إن الكلام قد يكون منفيأ ابتداء وقد يكون مثبتأ ابتداء، وقد يكون متمنى ابتداء وقد يكون متيقناً ابتداء وقد يكون مظلوناً ابتداء فليس الكلام بعضه أصل لبعض على سبيل الدوام.

انه لم يقل أحد إن كل ما كان أصله مبتداً وخبرأ إذا حذف ما دخل عليه صح ذلك في المعنى بل المقصود أن أصله مبتداً وخبر في التأليف لا في المعنى.

وهذا من الوضوح بمكان^(٢).

انه لا يمكن الإقرار بأن أصل الكلام الإيجاب أو أن أصل الكلام

(١) انظر كتابنا (تحقيقات نحوية) - ظن وأخواتها.

(٢) انظر كتابنا (تحقيقات نحوية) - ظن وأخواتها.

الخبر أو أن أصل المنسوخات المبتدأ والخبر على معنى أن الكلام كان موجباً فني أو كان خيراً فأصبح إنشاء أو كان غير منسوخ فصار منسوخاً، ولكن هذا أمر افتراضي - كما ذكرنا - وليس حقيقة تعبيرية على معنى أننا إذا حذفنا أدوات النفي صار الكلام إثباتاً، وإذا حذفنا التواسخ صار الكلام مبتدأ وخبراً من غير نظر إلى بقاء المعنى صحيحاً أو غير صحيح، إننا إذا حذفنا التواسخ من قولنا (ليس الفيل حصاناً) و (لا خلوة في الدنيا) عاد الكلام مبتدأ وخبر أي متألماً من اسمين مرفوعين فنقول (الفيل حصان) و (في الدنيا خلوة) سواء كان المعنى مستقيماً أم لا.

وبهذا اتضح أن هذا الحكم إنما هو متعلق بالتعبير من حيث ترتيب الكلمات وتأليفها لا من حيث الأصل التعبيري المنطوق فملاً والذي يؤدي معنى صحيحاً.

إننا نستطيع أن نقر بأصل التعبير حقيقة في التقديم والتأخير فإننا لا بد أن نعترف بأصل تعبيرٍ محدد يكون أساساً لما نسميه بالتقديم والتأخير وإلا لم يكن تقديم وتأخير.

فإننا نقر أن المبتدأ أصله التقديم والخبر أصله التأخير فإذا قلت (محمد حاضر) جرى ذلك على الترتيب الأصلي للتعبير فإن قدمت الخبر فقلت (حاضر محمد) كان في الكلام تقديم وتأخير.

وكذلك إن الأصل أن يتقدم الفعل فالفاعل فالمنعول به، فإن حصل أي تغيير في هذا الترتيب كان من باب التقديم والتأخير وإنبنى على ذلك تغيير ما في المعنى، فإن أصل الكلام أن تقول مثلاً (ذبح خالدٌ خروفاً) وهذا هو التعبير الأصلي، فإن أجريت أي تغيير في موقع الكلمات كان خروجاً عن الأصل، وكان من باب التقديم والتأخير. فإن قلت (خالدٌ ذبح خروفاً) أو (خروفاً ذبح خالد) أو (ذبح خروفاً خالد) كان ذلك من باب التقديم والتأخير، ولا بد أن يكون ثمة سبب دعا إلى هذا التغيير.

ويمكن القول بأصل التعبير حقيقة في قسم من مواطن الذكر والحذف فنقول إن أصل الكلام أن يكون على هذه الصورة حقيقة وذلك نحو قوله

تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ أَوْ عَشِيرَةٌ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا أُمَّةٌ أَوْ عَشِيرَةٌ مِمَّنْ سَفَرُوا مِنْ أَجْلِ الْفِتْنَةِ أَوْ لِيُتَمَرَّقُوا﴾ [البقرة: ١٨٤] فلا بد أن يكون أصل الكلام (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فأفطر فعليه صيام عدة من أيام أخرى) وإلا لم يستقم المعنى.

وفي نحو قولك (خبيراً ولحماً) لمن قال لك: ماذا تأكل؟

فإنه لا بد أن يكون التقدير (أكل خبيراً ولحماً).

أما في أغلب ما يذكره النحاة من الأصول التعبيرية فهو افتراض محض.

وأما ما يتعلق برأي سيويه من أن أول الكلام النداء فهذا على افتراض أن الكلام كله قائم على مخاطبة شخص لآخر أو آخرين. ولا شك أنه ليس الكلام كله على هذا النحو، فإن هناك كلاماً يخرج عن هذا النحو فلا يصح فيه ما قال سيويه وذلك نحو قولك (الحمد لله رب العالمين) و (سبحان ربي العظيم)، وكقولك متحسراً (ذهب الشباب فما له من عودة). وكقول مريم عليها السلام وقد أجاهها المخاض إلى جذع النخلة ﴿يَلْتَمِسُنَّ مِنْ قَدْحٍ مَدِينًا﴾ [مريم: ٢٤] فهي تكلم نفسها ولا تخاطب أحداً.

فلا أرى أن ما قاله سيويه يصح باطراد، والله أعلم.



ملحق في شرح قسم من الجمل

هذا ملحق في شرح قسم من الجمل غير المشهورة أو التي أرى أنها تحتاج إلى شرح ولا أدعي أنها جميع ما يحتاج إلى شرح ولا شطره ولكنها اختيارات لا تخلو من فائدة، ويمكن جمع أضعاف أضعافها من كتب اللغة والمعجمات.

١- أنك ما وخيراً: معناها أنك مع خير^(١).

٢- مما أن يفعل: نحو (إني مما أن أصنع) أي إني من الأمر أن أصنع فـ (ما) ههنا اسم^(٢) ومعناها (شيء)، وتفسير الجملة: إني من شيء هو الصنع أي أنه مخلوق من شيء هو الصنع، و (أن أصنع) بدل من (ما).

وهذا التعبير يفيد المبالغة، جاء في (المغني): «قولهم إذا أرادوا المبالغة في الإخبار عن أحد بالاكثار من فعل كالكتابة (إن زيدا مما أن يكتب) أي أنه من أمر كتابة أي أنه مخلوق من أمر، وذلك الأمر هو الكتابة، فـ (ما) بمعنى (شيء) وإن وصلتها في موضع خفض بدل منها^(٣).

٣- أعمد من: نحو قولهم (أعمد من قوم كفافهم أخوهم) و (أعمد من سيد قتله قومه) أي هل زاد على ذلك، أو هل كان إلا هذا^(٤)؟

(١) الكتاب ١/١٥٢.

(٢) الكتاب ١/٣٧.

(٣) المغني ١/٢٩٨.

(٤) لسان العرب (عمد) ٤/٢٩٩، المزهر ١/٦٧.

٤- كما تفعل وكما أنك تفعل: تقول (هو يلسع كما تلسع العقرب)
أي هو يلسع كلسعتها، فإنك تشبه لسعته بلسعة العقرب.

وتقول (هو يلسع كما أن العقرب تلسع) فانت لا تريد أن تشبه لسعت
بلسعتها ولكنك تريد أن تقول: كما أن العقرب تلسع فهو يلسع أيضاً،
ونحوه أن تقول (إنه لحق مثلما تنطقون) وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ بَيِّنٌ مَّا
أَنْتُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] ومعنى العبارة الأولى إنه لحق كما تقولون،
فهو تصديق لقولهم أي إنكم تقولون الحق، ومثله قولك (إنه لصدق كما
ذكرت).

وأما معنى الآية فإنه يريد أن هذا الأمر حق كما أن نطقكم واقع لا
شك فيه، أي أن كونكم تنطقون حق لا شك فيه فكذلك هذا الأمر، جاء
في (معاني القرآن) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ بَيِّنٌ مَّا أَنْتُمْ تَنطِقُونَ﴾: «وقد
يقول القائل كيف اجتمعت ما وأن وقد يكفى بإحداهما عن الأخرى؟»

فإن المعنى لو أفرد ب (ما) لكان كأن المنطق في نفسه حق لا كذب
ولم يُزَدَ به ذلك. إنما أرادوا أنه لحق كما حق أن الآدمي ناطق.

ألا ترى أن قولك: أحق منطقك؟ معناه: أحق هو أم كذب؟

وإن قولك: أحق أنك تنطق؟ معناه: أَلإنسان المنطق لا لغيره،
فادخلت (أن) ليفرق بها بين المعنيين^(١).

٥- كما وكان: كما وكان للتشبيه غير أنك تستعمل (كما) لما هو
واقع و (كان) لما لم يقع. تقول (افعل كما فعل سعيد) والمعنى أن سعيداً
فعل شيئاً وأنت تطلب من المخاطب أن يفعل مثله. قال تعالى: ﴿وَأَنَّا بَيِّنٌ
لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنزِيلُهُ كَمَا ءَامَنَ الشُّعْبَاءُ آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الشُّعْبَاءُ﴾
[البقرة: ١٣] فالناس آمنوا والله يريد من المخاطبين أن يؤمنوا مثل إيمان
الآخرين.

(١) معاني القرآن ٣ / ٨٤ - ٨٥.

وتقول (اكتب كأن سعيداً كتب) والمعنى أن سعيداً لم يكتب ولكنك
تطلب من المخاطب أن يكتب كما لو أن سعيداً كتب.

ونحوه أن تقول (اقرأ كما قرأ سعيد) أو (كما يقرأ سعيد) والمعنى أن
سعيداً قرأ أو يقرأ وأنت تطلب من المخاطب أن يفعل مثله.

وتقول (اقرأ كأن سعيداً قرأ) أو (كأن سعيداً يقرأ) والمعنى أن سعيداً
لم يقرأ ولكن تطلب من المخاطب أن يقرأ كما لو أن سعيداً يقرأ.
٦- كما أنت زيداً: أي انتظره، وكما أنتي أي انتظري^(١).

و (كما أنت) وهنا اسم فعل بمعنى: انتظر.

٧- ألت صاحبنا أو جليتنا؟

ألت صاحبنا أو لست جليتنا؟

تقول (ألت صاحبنا أو جليتنا) إذا كان المخاطب أحياناً جليتك
وأحياناً مصاحبك.

وتقول (ألت صاحبنا أو لست جليتنا) إذا كان ممن يصاحبك
ويجالسك على الدوام، جاء في (الكتاب): «وإذا قلت (أو لست أخانا أو
صاحبنا أو جليتنا) فإنك إنما أردت أن تقول: ألت في بعض هذه
الأحوال وإنما أردت في الأول (يعني ألت أخانا أو لست صاحبنا أو أما
أنت أخانا أو أما أنت صاحبنا) أن تقول ألت في هذه الأحوال كلها. ولا
يجوز أن تريد معنى ألت صاحبنا أو جليتنا أو أخانا وتكرر (لست) مع
(أو) إذا أردت أن تجعله في بعض هذه الأحوال»^(٢).

٨- ما أدري أقام أم قعد.

وما أدري أقام أو قعد.

(١) انظر معاني القرآن ١/٣٢٣.

(٢) الكتاب ١/٤٩١.

تقول (ما أدري أقام أم قعد) إذا لم تعلم أيهما فعل.

وتقول (ما أدري أقام أو قعد) إذا لم يكن بين قيامه وقعوده فاصل فكأنه لم يقم على الحقيقة ولم يقعد لأنه لم يستثن لك أحدهما.
جاء في (الكتاب): «وتقول (ما أدري أقام أم قعد) إذا أردت ما أدري أي ذاك كان.

وتقول (ما أدري أقام أو قعد) إذا أردت أنه لم يكن بين قيامه وقعوده شيء كأنه قال: لا أدعي أنه كان في تلك الحال قيام ولا قعود.
أي لم أعدّ قيامه قياماً ولم يستثن لي قعوده بعد قيامه وهو كقول الرجل: تكلم ولم يتكلم^(١).

٩- مررت بزيد أخيك وصاحبك.

ومررت بزيد أخيك فصاحبك.

إذا كان الممرور به واحداً قلتها بالواو، فزيد هو الأخ والصاحب. فإن قلتها بالفاء كان الممرور به اثنين ولا يصح أن تقولها بالفاء وأنت تريد شخصاً واحداً^(٢). ونحو أن تقول (أتانا هذا الحديث عن أبي حفص والفاورق) تريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٣).

١٠- مررت بعبداً ورجلاً ما شئت من رجل: تقول ذلك إذا كان الرجل هو عبداً، فإن قلتها بجر (الرجل) كان الرجل شخصاً آخر فكأنك قلت: مررت بعبداً ورجل آخر^(٤).

١١- محمد قريباً منك.

ومحمد قريب منك.

(١) الكتاب ٤٨٣/١.

(٢) انظر الكتاب ١٩٩/١.

(٣) معاني القرآن ٥٨/٢.

(٤) انظر معاني القرآن ٢٣٣/٢.

إذا قلتها بالنصب كان (قريباً) ظرف مكان أي هو في مكان قريب منك
وإن قلتها بالرفع كان محمد هو القريب تقول (قربت منك) فأنا قريب.
وبعد عنك فهو بعيد. يقال إن قريباً منك زيداً إذا جعلت (قريباً منك)
موضِعاً.

وإذا جعلت الأول هو الآخر قلت: إن قريباً منك زيداً^(١).

١٢- عنك في الأرض، وعنك شيئاً: ومعناها (امض) و (جز)، جاء
في (لسان العرب): «والعرب تقول: سر عنك وانفذ عنك.
أي امض وجز. لا معنى لـ(عنك)»^(٢) أي زائدة.

١٣- (كذب) للإغراء^(٣): تقول: كذبتك كذا وكذب عليك كذا.

بمعنى الزمه نحو (كذبك العمل) أي الزم العمل. و (كذب عليكم
الحج) أي الزمهم.

١٤- ما أمك وأم الباطل، أي ما أنت والباطل^(٤).

١٥- يا شيء مالك ويا هيء مالك ويا عبد مالك ويا شيء مالي ويا
هيء مالي: ومعناه كله الأسف والتلهف والحزن.

و (ما) في كلها موضع رفع تأويله يا عجباً مالك ريا عجباً مالي
ومعناه التلهف والأسى^(٥). وغير ذلك.

والحمد رب العالمين



(١) الأمالي الشجرية ٢٥٥/١.

(٢) لسان العرب (عنن) ١٧٠/١٧.

(٣) انظر المزهري ١/ ٦٦-٦٧، الرضي على الكافية ٦٧/٢.

(٤) المزهري ١/ ٥١٣.

(٥) انظر لسان العرب (شيء) ١٠١/١، الصاحبي ٦٩، المزهري ٦٨/١.



مراجع الكتاب

- ١ - الإتيقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ط ٣ / ١٣٢٧هـ - ١٩٥١م
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- ٢ - أدب الكاتب لابن تتيبة تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ط ٤ / ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- ٣ - أساس البلاغة لجارالله الزمخشري - مطابع الشعب ١٩٦٠م.
- ٤ - الاستغناء في أحكام الاستثناء - شهاب الدين القرافي - تحقيق الدكتور طه محسن - مطبعة الإرشاد - بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٥ - أسرار البلاغة - عبدالقاهر الجرجاني - أصدرتها دار المنار ط ٤ / ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.
- ٦ - أسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري - تحقيق محمد بهجة البيطار - مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- ٧ - الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي ط ٢ / حيدر آباد - الدكن - سنة ١٣٥٩هـ.
- ٨ - الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس.
- ٩ - إعراب الجمل وأشباه الجمل - د/نخر الدين قباوة - نشر دار الأصمعي بحلب ط ١ / ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١٠ - الأمالي الشجرية لأبي السعادات هبة الله بن الشجري ط ١ - مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد - الدكن ١٣٤٩هـ.
- ١١ - الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط ٣ - مطبعة السعادة.
- ١٢ - أنوار التنزيل - القاضي الفيضوي - المطبعة العثمانية ١٣٠٥هـ.

- ١٣ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ط ٣ / ١٣٨٤م - ١٩٦٤م
مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.
- ١٤ - الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق مازن المبارك - ط ٢ / ١٣٩٣م - ١٩٧٣م بيروت.
- ١٥ - الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق لجنة من أساتذة الأزهر - مطبعة السنة المحمدية.
- ١٦ - البحر المحيط لأبي حيان ط ١ سنة ١٣٢٨م مطبعة السعادة بمصر.
- ١٧ - البرهان في علوم القرآن لبدو الدين الزركشي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ط ١ / ١٣٧٦م - ١٩٥٧م. دار إحياء الكتب العربية.
- ١٨ - تاج العروس شرح القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي منشورات مكتبة الحياة - بيروت، تصوير الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٦م.
- ١٩ - تجديد النحو للدكتور شوقي ضيف - دار المعارف.
- ٢٠ - تحقيقات نحوية - الدكتور فاضل صالح السامرائي.
- ٢١ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك - تحقيق محمد كامل بركات ١٣٨٧م - ١٩٦٧م دار للكتاب العربي للطباعة والنشر.
- ٢٢ - التطور النحوي للغة العربية للأستاذ برجستراسر - أخرجه وعلق عليه الدكتور رمضان عبدالنواب - مطبعة المجد ١٤٠٢م - ١٩٨٢م.
- ٢٣ - التعمير القرآني - د/فاضل صالح السامرائي - مطابع جامعة الموصل ١٩٨٩م.
- ٢٤ - التمرينات - السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر/ ١٣٥٧م - ١٩٣٨م.
- ٢٥ - تفسير فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ط ١ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٤٩م.
- ٢٦ - التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أويس الندوي - مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٦م - ١٩٧٣م.
- ٢٧ - التفسير الكبير لفخر الدين الرازي - المطبعة البهية - مصر.
- ٢٨ - تفسير ابن كثير طبع بدار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٢٩ - الجمل لأبي القاسم الزجاجي ط ٢ سنة ١٩٥٧م - ١٣٧٦م - مطبعة كلنكسيك - ١١ شارع ليل.
- ٣٠ - الجنى الداني في حروف المعاني تأليف حسن بن قاسم المرادي - تحقيق طه

- محسن - مطابع جامعة الموصل ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٣١ - حاشية الأمير على المغني - مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٣٧٢هـ.
- ٣٢ - حاشية الخضري على شرح ابن عقيل - مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- ٣٣ - حاشية الدسوقي على مغني اللبيب - مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بمصر.
- ٣٤ - حاشية السيد الشريف أبي الحسن الجرجاني على الكشاف - طبع مع الكشاف.
- ٣٥ - حاشية الشمني علي المغني - المطبعة البهية بمصر.
- ٣٦ - حاشية الصبان على شرح الأشموني - دار إحياء الكتب العربية.
- ٣٧ - حاشية على شرح التصريح للشيخ يس العليمي الحمصي طبع مع شرح التصريح.
- ٣٨ - حاشية على المطول للسيد الشريف مطبوعة مع المطول - مطبعة أحمد كامل سنة ١٣٣٠هـ.
- ٣٩ - الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار - مطبعة دار الكتب المصرية.
- ٤٠ - الدراسات النحوية واللفوية عند الزمخشري - د/فاضل صالح السامرائي مطبعة الإرشاد - بغداد ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
- ٤١ - دلائل الإعجاز - عبدالقاهر الجرجاني - ط ٣ أصدرتها دار المنار بمصر سنة ١٣٦٦هـ.
- ٤٢ - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم لشهاب الدين السيد محمود الألويسي - إدارة الطباعة المنيرية - دار إحياء التراث العربي.
- ٤٣ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٤ - شرح التصريح على التوضيح لخالد بن عبدالله الأزهرى - دار إحياء الكتب العربية.
- ٤٥ - شرح الدماميني على المغني - طبع مع حاشية الشمني - المطبعة البهية - مصر.
- ٤٦ - شرح الرضي على الكافية - رضي الدين الاسترابادي - مطبعة (الشركة الصحافية العثمانية) سنة ١٣١٠هـ.
- ٤٧ - شرح السيرافي على كتاب سيويه مطبوع بهامش الكتاب.
- ٤٨ - شرح الشافية لرضي الدين الاسترابادي تحقيق محمد محيي الدين وجماعة - مطبعة حجازي بالقاهرة.
- ٤٩ - شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها: مصطفى محمد ط ١١ سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

- ٦٨ - شرح ابن عقيل - دار إحياء الكتب العربية.
- ٦٩ - شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٩ سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
- ٧٠ - شرح المنفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش - طبع ونشر إدارة الطباعة المنيرية.
- ٧١ - الصاحبي في فقه اللغة لإحمد بن فارس - مطبعة المؤيد - القاهرة ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
- ٧٢ - العربية لبوهان فك - ترجمة دكتور عبد الحليم النجار - مطبعة دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.
- ٧٣ - فقه اللغة لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٧٤ - القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادي ط ٥ شركة فن الطباعة - مصر.
- ٧٥ - الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق الدكتور زكي مبارك ط ١ / ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- ٧٦ - كتاب الأصول لابن السراج تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي - مطبعة النعمان - النجف الأشرف.
- ٧٧ - كتاب سيويه مصور على طبعة بولاق - نشر مكتبة المشى ببغداد.
- ٧٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل لجار الله الزمخشري، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.
- ٧٩ - الكليات لأبي البقاء الحسيني الكفوي طبعة بولاق ط ٢.
- ٨٠ - لسان العرب لابن منظور مصور على طبعة بولاق.
- ٨١ - لمسات فنية في نصوص من التنزيل - د/فاضل صالح السامرائي.
- ٦٤ - المزهري في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وجماعة - دار إحياء الكتب العربية ط ٤ سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م.
- ٦٥ - المساعد على تهليل الفوائد لابن عقيل، تحقيق محمد كامل بركات طبع دار الفكر بدمشق ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٦٦ - المستصفي من علم الأصول لأبي حامد الغزالي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / ط ٢.
- ٦٧ - المصباح المنير للفيومي - المكتبة العلمية - بيروت.

- ٦٨ - المطول لمحمد بن عبدالرحمن القزويني المعروف بالخطيب الدمشقي - مطبعة أحمد كامل سنة ١٣٣٠هـ.
- ٦٩ - معاني الأبنية في العربية - د/فاضل صالح السامرائي - ط ١ / ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار الرسالة بيروت.
- ٧٠ - معاني القرآن لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء - مطبعة دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ٧١ - معاني النحو، د/فاضل صالح السامرائي - مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر المرصل ط ١.
- ٧٢ - معجم القراءات القرآنية د/عبد العال سالم مكرم ود/أحمد مختار عمر ط ١ سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م/ ذات السلاسل - الكويت.
- ٧٣ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د/أحمد مطلوب - مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٧٤ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ٧٥ - المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد الميرد - تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة - القاهرة ١٣٨٦هـ.
- ٧٦ - المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني - تحقيق جايد زيدان - مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ١٩٨٣م.
- ٧٧ - من أسرار اللغة - إبراهيم أنيس.
- ٧٨ - موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي - شركة خياط للكتب والنشر - بيروت.
- ٧٩ - النشر في القراءات العشر - لابن الجزري - مطبعة مصطفى محمد بمصر.
- ٨٠ - النكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم الشتمري - ط ١ / الكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٨١ - مع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي، ط ١ سنة ١٣٢٧هـ - مطبعة السعادة بمصر.



الموم
الفق
الجم
دلال
الإ
الف
لمن
الم
نأدي
الك
هل
ال
ال
الث
ال
نو
ال
ال

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	الجملة والمعنى
١٢	دلالة الجملة العربية
٣٠	الإعراب
٥٩	القرينة
٦٩	أمن اللبس
٨٣	الجمل ذات الدلالات المتعددة
٨٨	الجمل ذات الدلالات المتضادة
٩٤	الجمل المختلف في دلالتها
١٠٠	نأدية المعنى الواحد بطرائق متعددة
١٠٩	الكلام المحمول على المعنى
١١٧	هل يكون للجمليتين المختلفتين معنى واحداً؟
١٢٤	الحمل على اللفظ والمعنى
١٤٢	الاحتياط للمعنى
١٦٣	التوسع في المعنى
٢٠٣	المبالغة في المعنى
٢٢١	توليد المعاني
٢٣٧	مساحة التعبير عن المعنى
٢٦٤	رفع الاحتمال عن المعنى

الصفحة	الموضوع
٢٧٠	الخيارات التمييزية
٢٧٦	ظواهر دلالية وتمييرية
٢٨٨	أصل الكلام
٢٩٦	ملحق في شرح قسم من الجمل
٣٠١	مراجع الكتاب
٣٠٧	فهرس الموضوعات

